# شرح لمعة الاعتقاد

# الهادي إلى سبيل الرشاد

لموفق الدّين بن قدامة المقدسي رحمه الله


لفضيلة الشيخ

خالد بن عبد الله المصلح



www.almosleh.com

# شرح لمعة الاعتقاد

# الهادي إلى سبيل الرشاد

**لموفق الدّين بن قدامة المقدسي رحمه الله**

**لفضيلة الشيخ**

خالد بن عبد الله المصلح

الدرس الأول

**www.almosleh.com**

قال الإمام موفق الدين أبو محمد عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي رحمه الله تعالى:

**(بسم الله الرحمن الرحيم**

**الحَمْدُ للهِ المحمُودِ بكُلِّ لِسانٍ، المعبودِ في كُلِّ زَمانٍ، الَّذِي لا يَخْلُو مِنْ عِلْمِهِ مَكانٌ، ولا يشغَلُه شانٌ عن شانٍ، جلَّ عَنِ الأشباهِ والأنْدادِ، وتَنَزَّهَ عَنِ الصَّاحِبَةِ والأولادِ، ونَفَذَ حُكْمُهُ في جميعِ العبادِ، لا تُمَثِّلُهُ العقولُ بالتفكيرِ، ولا تَتَوَهَّمُهُ القلوبُ بالتصويرِ، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ﴾،[1] لَهُ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى والصفاتُ العُلا، ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى (٥) لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى (٦) وَإِن تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى (٧)﴾،[2] ﴿أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾،[3] وقَهَرَ كلَّ مخلوقٍ عِزَّةً وحُكْمًا، ووسعَ كلَّ شيءٍ رحمةً وعِلمًا، ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾،[4] مَوْصوفٌ بما وَصَفَ به نفسَهُ في كتابِهِ العظيمِ، وعلى لسانِ نَبِيِّهِ الكريمِ).**

بسم الله الرحمـٰـن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وأصلي وأسلم على نبينا محمد المبعوث رحمة للعالمين، وعلى آله وأصحابه ومن اتبع سنته واقتفى أثره بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فهذا الدرس سنقرأ فيه إن شاء الله تعالى هذه العقيدة المباركة التي ألفها الإمام الموفق عبد الله بن محمد بن قدامة المقدسي رحمه الله في هذا المتن المختصر من متون الاعتقاد وهو متن لمعة الاعتقاد.

هذا الكتاب كتاب مختصر في العقيدة ألفه مؤلفه رحمه الله وضمّنه مباحث فيما يتعلق بالإيمان بالله عز وجل، والإيمان بكتبه، والإيمان برسله، والإيمان باليوم الآخر، والإيمان بالقدر. هذا غالب ما ذكره المؤلف رحمه الله في هذا الكتاب.

---

(1) سورة: الشورى (١١).

(2) سورة: طــه (٥-٧).

(3) سورة: الطلاق (١٢).

(4) سورة: طه (١١٠).

وقد جرت سنة أهل العلم من أهل السنة والجماعة فيما يؤلفونه من مؤلفات في الاعتقاد أن ينسجوا مؤلفاتهم ويرتِّبوا كتبهم فيما يكتبون في مسائل الاعتقاد على ضوء ما جاء في حديث جبريل[1] في ذكر أصول الإيمان حيث إن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ سأله جبريل عن الإيمان فقال: ((**أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره**)).

فإذا تأملت في المؤلفات والمتون والعقائد التي كتبها أهل العلم تجدها منسوجة على نحو هذه الأصول.

فإن العلماء يكتبون في الإيمان بالله، وفي الإيمان بالكتب، وفي الإيمان بالرسل، والإيمان باليوم الآخر، والإيمان بالملائكة، والإيمان بالقدر خيره وشره.

قد يركزون في مؤلفاتهم على نوع من أنواع الإيمان نتيجة لشدة الحاجة إلى بيان ما يتعلّق بذلك الأصل، أو جواباً على شبه شاعت في هذا الأصل؛ لكنهم من حيث الأصل إذا تناولوا مسائل الاعتقاد يأتون ببيان أصول الإيمان التي جاءت في حديث جبريل.

ولا غرابة في هذا، فإن مباحث الاعتقاد عند أهل السنة والجماعة مبنية على شرح الأصول الستة: الإيمان بالله، والإيمان بالكتب، والإيمان بالرسل، والإيمان بالملائكة، والإيمان باليوم الآخر، والإيمان بالقدر. لكن لما كان بعض هذه الأصول لم يكن فيه خلاف كبير ولم تنتشر فيه المخالفات قلّ كلام أهل العلم فيه في هذه المتون وهذه العقائد وهذه المؤلفات.

فمثلاً الإيمان بالملائكة لا يتكلم عنه المؤلفون في كتب الاعتقاد كلاماً موسعاً؛ بل يختصرونه ويقتصرون على جمل فيه، وبعضهم قد لا يذكره بالكلية بناءً على وضوحه وظهوره.

وهكذا كل المؤلفات في العقيدة الغالب أنها جاءت استجابة لحاجةٍ إلى التأليف:

إما بيان وتجلية منهج أهل السنة والجماعة وما كان عليه السلف الصالح ليتميّز عن طريق أهل البدعة.

وإما في الجواب والرد على الشبه التي يثيرها خصوم هذا السبيل خصوم أهل السنة والجماعة فيما يتعلق بمسائل الاعتقاد.

هذه العقيدة من العقائد المشهورة المعروفة عند أهل العلم وهي من تأليف الإمام عبد الله بن محمد بن قدامة، وهو من أئمة فقهاء الحنابلة وعلمائهم، له مؤلفات مشكورة مشهورة في الفقه؛ لكن هذا المؤلف

(1) **البخاري**: كتاب الإيمان، باب سؤال جبريل النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن الإيمان..، حديث رقم (٥٠).
**مسلم**: كتاب الإيمان، باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان.. حديث رقم (٨). واللفظ له.

مما يتعلق بالاعتقاد، كما أنه رحمه الله كتب عدة كتابات في مسائل الاعتقاد في غير هذا المؤلَّف، فمما كتبه في ذلك ما اشتهر عنه في كتاب ذم التأويل؛ فإنه من الكتب المشهورة التي يستفاد منها في رد وإبطال شبه المنحرفين عن أهل السنة والجماعة في مسائل الاعتقاد؛ لأنه ألّفه في بيان ذم التأويل وأدلة ذلك من الكتاب والسنة وما كان عليه سلف الأمة.

كذلك له رسالة في العلو.

كذلك له كتاب باسم: تحريم النظر في كتب أهل الأهواء.

هذا الاعتقاد الذي في هذه الرسالة اعتقاد مختصر، ولذلك سماه المؤلف رحمه الله بـــ(**لمعة الاعتقاد**).

(**لمعة**) واللمعة هي البلغة والشيء اليسير من العيش، هذا من حيث اللغة. وهذه العقيدة نبذة وشيء يسير مما يعتقده أهل السنة والجماعة، فهو نُبَذ مختصرة في مسائل الاعتقاد.

وقال بعض أهل العلم: إن تسمية المؤلف رحمه الله لهذا الكتاب بـــ(**لمعة الاعتقاد**)؛ لأن ما ذكره من العقائد ظاهر واضح تدل عليه الأدلة من الكتاب والسنة، فأدلته من أظهر ما يكون وأوضح ما يطلب، ولذلك سماها بـــ(**لمعة**) من لمعان الشيء وهو ظهوره وعدم خفائه.

وعلى كل حال يصح أن يكون المقصود من هذا الاسم المعنيين؛ يصح أن يكون المقصود من تسمية الكتاب بلمعة الاعتقاد:

- أنه نبذة مختصرة.
- وأنه نبذة ظاهرة واضحة جلية في تقرير اعتقاد أهل السنة والجماعة.

أما (**الاعتقاد**) فمعنى الاعتقاد هو الحكم الذهني الجازم، ولا يلزم من الاعتقاد أن يكون صحيحاً؛ لكنه اعتقاد وحكم ذهني جازم؛ أي لا تردد فيه ولا ارتياب، قد يكون مطابقاً للواقع فيكون اعتقاداً صحيحاً، وقد يكون مخالفاً للواقع فيكون اعتقاداً فاسداً.

فالاعتقاد يصح أن يكون موافقاً للحق فيوصف بأنه اعتقاد صحيح، وقد يكون مجانباً للصراط المستقيم والحق فيكون اعتقاداً باطلاً فاسداً.

المراد أنه لا يلزم من الاعتقاد في جميع موارده أن يكون صحيحاً.

قول المؤلف رحمه الله في تسمية هذا الكتاب: (**لمعة الاعتقاد**) أي بيان ما ظهر من مسائل الاعتقاد عند أهل السنة والجماعة.

في قوله: (**الهادي**) قال رحمه الله: (**الهادي إلى سبيل الرشاد**) في عنوان كتابه وعنوان هذه العقيدة المختصرة، (**الهادي**) أي الدال والمبين والموضح، (**إلى سبيل الرشاد**) يعني إلى الطريق الذي يحصل به الرشد، وقوله: (**الرشاد**) ضد الغي والهداية ضد الضلال فجمع المؤلف رحمه الله في وصف كتابه وتسميته بهذا الاسم، جمع فيه هذه الأوصاف وهي: الهداية والرشاد والوضوح والظهور.

يقول رحمه الله في افتتاح هذه الرسالة المباركة: (**بسم الله الرحمٰن الرحيم**)، وهذه الجملة جملة تامة، ومعنى جملة تامة أي: إنها كاملة يحصل بها الإفادة، مع أنه من حيث النظر الإعرابي للكلمات الموجودة لا تستقل الكلمات الموجودة بإفادة معنى إلا لا بد فيه من تقدير، ولذلك (**بسم الله الرحمٰن الرحيم**) لابد فيها من مُقَدَّر، هذا المقدر اختلف فيه العلماء رحمهم الله على قولين:

- منهم من قدره باسم.
- ومنهم من قدره بفعل.

هذا التقدير وهذا الاختلاف ناشئ عن الاختلاف: هل جملة البسملة جملة فعلية أو جملة اسمية.

فمن قال: إنها جملية فعلية قدره بفعل.

ومن قال: إنها جملة اسمية قدره باسم.

على كل حال كلا الوجهين صحيح وكلا الوجهين مقبول، يصح أن يقدر باسم، ويصح أن يقدر بفعل والمسألة قريبة، الاختلاف فيه ليس بكبير الشأن.

أكثر العلماء رجحوا تقديره بالفعل.

وذهب جماعة من العلماء إلى تقديره بالاسم.

لكن ينبغي في هذا المقدَّر أن يكون مناسباً، يعني أن يكون تقديره مناسباً لحال القائل أو لحال الكاتب لهذه الجملة.

فمثلاً عند قراءة الكتاب ماذا نقدر؟ بسم الله الرحمن الرحيم قراءتي أو أقرأ.

عند دخول المسجد بسم الله الرحمن الرحيم دخولي أو أدخل.

عند الذبح بسم الله الرحمن الرحيم أذبح وهلمّ جرّاً.

عند الكتابة بسم الله الرحمن الرحيم كتابتي أو أكتب.

وهذا التقدير يناسب أن يكون في آخر الكلام لا في أوله تيمناً بالبداءة بـــ(بسم الله الرحمن الرحيم) ويصح أن يأتي مقدماً كما في قوله تعالى: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾[1] ما قال: باسم ربك اقرأ؛ لأن التقديم في هذه الصورة مناسب، وذلك أن المقصود الأكبر هو القراءة، فلذلك قدمه على البسملة.

لكن في غالب موارد البسملة ومجيئها الأنسب أن يكون المقدر المضمر مؤخراً، فيقول: بسم الله الرحمن الرحيم قراءتي، بسم الله الرحمن الرحيم أقرأ.

قال المؤلف بعد ذلك: (**الحَمْدُ للهِ المحْمُودِ بِكُلِّ لِسانٍ**) وهذا شروع في الرسالة بالحمد بعد البسملة.

واعلم أن الرسائل والكتب ،الكلام يفتتح إما بالبسملة وإما بالحمد غالباً وإما أن يفتتح بهما –يعني بالبسملة والحمد– كما فعل المؤلف رحمه الله في هذه الرسالة، فإنه افتتح هذه الرسالة بالبسملة وافتتحها أيضاً بالحمد.

و(**الحمد**) هو الإخبار بمحاسن المحمود محبةً وتعظيماً، فقول القائل: (الحمد لله) يخبر بمحاسن المحمود وهو الله جل وعلا محبة له وتعظيماً له جل وعلا.

ولذلك تلاحظ أنه بعد ذكر (الحمد) في كتاب الله عز وجل وفي غالب الكلام أن يأتي ذكر أوصاف المحمود أو ذكر أفعاله، والأفعال في معنى الصفات.

فهنا قال المؤلف رحمه الله: (**الحَمْدُ للهِ المحْمُودِ بِكُلِّ لِسانٍ**) وهذا من صفاته جل وعلا أنه محمود بكل لسان، وهذا يدل على عظيم استحقاقه للحمد؛ لأنه ما من لسان إلا حمد الله جل وعلا، واللسان هنا يشمل في الأصل والابتداء لسان المقال ويشمل لسان الحال، فما من أحد إلا وهو حامد لله عز وجل بلسان الحال وبلسان المقال.

قال: (**المعبودِ في كُلِّ زَمانٍ**)، (**المعبود**) أي المستحق للعبادة في كل زمان، فهو جل وعلا المعبود على مر العصور وتعاقب الدهور وتوالي الأيام وكرِّ الليالي، فهو جل وعلا المستحق للعبادة الذي يعبده العابدون من الإنس والجن والملائكة وغيرهم من خلق الله عز وجل على توالي الزمان.

(**الَّذِي لا يَخْلُو مِنْ عِلْمِهِ مَكانٌ**) أي لا يشغر ولا يتعطل مكان من الأمكنة عن علمه؛ بل أحاط جل وعلا علمه بكل شيء، وسع كل شيء رحمة وعلماً.

---

([1]) سورة: العلق (١).

قال: (**ولا يشغَلُه شانٌ عن شانٍ**) وهذا من بديع صفات الله عز وجل لا يشغله أمر عن أمر (**شأن**) هنا بمعنى أمر، لا يشغله أمر عن أمر؛ بل هو جل وعلا الذي لا تكرثه المسائل، ولا تشغله المطالب، يسمع سؤال كل سائل، ويعطي كل من سأله ودعاه، وهو جل وعلا يدبّر أمر الكون، فما من شيء إلا بمشيئته وتقديره سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، لا يشغله إعطاء هذا عن إعطاء غيره، ولا إحياء هذا عن إماتة غيره، ولا تدبير هذا عن تدبير غيره؛ بل كل شيء بقضاء وقدر، وكل شيء بمشيئته وتقديره، فهو على كل شيء قدير، أحاط بكل شيء جل وعلا، فلا خروج لشيء من خلقه عن قدره ومشيئته وعلمه جل وعلا، ﴿هُوَ الأَوَّلُ وَالآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (٣)﴾.[١]

(**جلَّ عَنِ الأشباهِ**) أي عظم عن الأشباه، فهو جل وعلا عظيم عن أن يشبهه شيء أو أن يكون له ند، و(**الأشباه**) جمع شبيه، و(**الأندادِ**) جمع ند.

فالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى متعالٍ عن أن يكون له مثيل، ومتعالٍ عن أن يكون له ند، والند يطلق على المِثْل ويطلق على الضد، فهو ليس له مثيل جل وعلا وليس له مضاد؛ بل هو الواحد الأحد الصمد الذي لم يلد و لم يولد.

قال رحمه الله: (**وتَنَزَّهَ**) أي تقدس (**عَنِ الصَّاحِبَةِ والأولادِ**)، (**الصَّاحِبَةِ**) يعني الزوجة، والأولاد يعني عن أن يتفرّع منه شيء سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أن يكون له ولد، فليس له ولد جل وعلا: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (١) اللَّهُ الصَّمَدُ (٢) لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ (٣)﴾.[٢]

قال: (**ونَفَذَ حُكمُهُ في جميعِ العبادِ**)، (**نَفَذَ**) يعني مضى، والحكم هنا حكمه القدري، فحكم الله القدري جل وعلا نافذ في كل أحد، لا خروج لأحد عن حكم الله عز وجل، كل شيء بقضاء وقدر، ما من شيء إلا ويجري عليه حكم الله جل وعلا.

(**لا تُمَثِّلُهُ العقولُ بالتفكيرِ**) أي لا تدرك العقول مثالاً له مهما قضت من الوقت في النظر والتأمل والتفكر والتدبر، فإن العقول لا تصل إلى تمثيله، (**لا تُمَثِّلُهُ العقولُ بالتفكيرِ**) أي لا تصل العقول إلى مثله بالتفكير.

---

[١] سورة: الحديد (٣).

[٢] سورة: الإخلاص (١ –٣) .

(**ولا تَتَوَهَّمُهُ القلوبُ بالتصوير**) أي لا تستطيع القلوب أن تدرك صورته جل وعلا؛ أي أن تجعله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى في صورة من الصور، فالعقول تعجز عن تصويره سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، لماذا؟ قال: ﴿**لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ**﴾[1] لأنه جل وعلا ليس له مثيل فليس له ما يمثَّل به ولا ما يلحق به في الصورة، ﴿**لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ**﴾. وقد قال الله جل وعلا في نفي المثل عنه: ﴿**هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيّاً**﴾[2] أي ليس له سمي؛ ليس له نظير، ﴿**وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ**﴾،[3] ﴿**فَلا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَاداً**﴾،[4] وما أشبه ذلك من الآيات التي نفى الله جل وعلا فيها عن نفسه الكفْو والند والنظير، له المثل الأعلى سبحانه وبحمده.

قال بعد هذا: (**لَهُ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى والصفاتُ العُلا**) يعني ما تقدم من كونه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ليس له شبيه وليس له صاحبة ولا ولد وأنه لا تمثله العقول ولا تتوهمه القلوب بالتصوير، لا يعني أنه لا يوصف، لا يعني أنه ليس له أسماء ولا صفات؛ بل له جل وعلا الأسماء والصفات، ولذلك بعد أن ذكر ما تقدم من نفي المثل والند والشبيه وأنه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لا تمثله العقول ولا تتوهمه القلوب بالتصوير، قال: (**لَهُ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى والصفاتُ العُلا**) فذكر أسماءً وصفاتٍ، والله جل وعلا (**لَهُ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى**) أي البالغة في الحسن منتهاها، هذا معنى (**الْحُسْنَى**) أي التي بلغت في الحسن المنتهى والغاية، فلا حسن فوق أسمائه، وقد انتهت أسماؤه إلى الحسن جل وعلا، فجمعت كمال المعنى وجمال اللفظ. قال: (**والصفاتُ العُلا**) فله جل وعلا الصفات العليا التي لا شيء فوقها.

قال الله تعالى في ذكر الأسماء: ﴿**الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى (٥) لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى (٦) وَإِن تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى (٧)**﴾،[5] ذكر هذا المؤلف رحمه الله لبيان شيء من أسماء الله وصفاته التي يثبتها أهل السنة والجماعة.

---

(1) سورة: الشورى (١١).

(2) سورة: مريم (٦٥).

(3) سورة: الإخلاص (٤) .

(4) سورة: البقرة (٢٢).

(5) سورة: طـه (٥-٧).

ثبوت الأسماء لله عز وجل من أدلة كثيرة من ذلك قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الأسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾.[1]

ثبوت الصفات العلا له من أدلة كثيرة ومنها قوله تعالى:﴿وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الأعْلَى﴾،[2] المثل معناه الصفة، فقوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الأعْلَى﴾ يعني له الصفة العليا.

فهذا دليل أن له الأسماء الحسنى وله الصفات العلا.

قال رحمه الله: ﴿أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾،[3] أحاط الله جل وعلا بكل شيء علماً، فما من شيء من الخلق إلا وقد أحاط به علم الرب جل وعلا؛ بل إنّ علم الله جل وعلا أحاط بكل شيء، فلا خروج لشيء عن علم الله، علم الله أحاط بالماضي والمستقبل، أحاط بالممكن والمستحيل.

لذلك قال العلماء: صفة العلم أعظم وأوسع الصفات تعلقاً. فهي تتعلق بكل شيء: تتعلق بالماضي والمستقبل، تتعلق بالممكن والواجب والمستحيل، تتعلق بما كان وبما لم يكن.

فالله جل وعلا أحاط علمه بكل شيء، فلا شيء يخرج عن علم الله عز وجل.

قال رحمه الله: (**وقَهَرَ كلَّ مخلوقٍ عِزَّةً وحُكْمًا**) وهذا فيه كمال صفاته، مع ما تقدم من الصفات قهر كل مخلوق عزة وحكماً، فهو جل وعلا العزيز الحكيم، لا خروج لأحد عن عزته ولا خروج لأحد عن حكمه (**وسِعَ كلَّ شيءٍ رحمةً وعِلمًا، ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾**[4]).

بعد هذه المقدمة التي ذكر المؤلف رحمه الله فيها الصفات العظيمة للرب جل وعلا على وجه الإجمال، قال رحمه الله في ابتداء ذكر ما يتعلق بالأصل الأول من أصول الإيمان وهو الإيمان بالله عز وجل، قال: (**مَوْصوفٌ بما وَصَفَ به نفسَهُ في كتابِهِ العظيمِ، وعلى لسانِ نَبيِّهِ الكريمِ**) هذا فيه إثبات الصفات على وجه الإجمال، وهذا المسلك تلاحظه في كلام العلماء في عديد من الكتب والمؤلفات: أنهم إذا ذكروا العقيدة يذكرون في أول اعتقادهم الإيمان المجمل، يعني الذي ينتظم كل شيء، الذي لا يخرج عنه شيء، بحيث يكون كالمظلة التي يستظل بها جميع ما جاء من مسائل في هذا الأمر، ففيما يتعلق بالصفات يجب على المؤمن أن يؤمن بما وصف اللهُ به نفسه في كتابه وبما وصفه به رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في سنته،

---

([1]) سورة: الأعراف (١٨٠).

([2]) سورة : النحل (٦٠).

([3]) سورة: الطلاق (١٢).

([4]) سورة: طه (١١٠).

هذا إيمان مجمل يشمل كل ما يتعلق بصفات الله عز وجل مما أدركه الإنسان وعلمه أو خفي عليه و لم يعلمه أو أنه لم يتبين له معناه، فهذا هو الإيمان المجمل وقد ذكر ذلك النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في حديث جبريل، فإن حديث جبريل تضمن الإيمان المجمل الذي يجب على كل أحد.

الإيمان ينقسم إلى قسمين من حيث الإجمال والتفصيل:

إيمان مجمل: وهو الإيمان بكل ما جاءت به الرسل.

إيمان مفصل: وهو الإيمان بتفاصيل ما جاءت به الرسل.

مثلاً إذا قال الإنسان في مثل ما ذكر المؤلف رحمه الله: (**مَوْصوفٌ بما وَصَفَ به نفسَهُ في كتابهِ العظيمِ، وعلى لسانِ نَبيِّهِ الكريمِ**) هذا الإيمان بجميع الصفات، الإيمان بكل ما أخبر الله به عن نفسه، بكل ما أخبر به رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن ربه.

أما الإيمان المفصل: فهو أن تعلم بأن الله سميع بصير قدير عليم قوي متين، أن له وجهاً، أن له يدين، وما إلى ذلك من سائر ماجاء به التفصيل في الكتاب والسنة.

في أول عتبات الإيمان يجب على المؤمن أن يؤمن بكل ما أخبر الله به ورسوله مما يتعلق بالأسماء والصفات وغيرها؛ لكن نحن نتكلم فيما يتكلم به المؤلف رحمه الله فيما يتعلق بالإيمان بالصفات، نؤمن بكل ما أخبر الله به ورسوله مما جاء في الكتاب أو صحت به السنة.

**(وكلُّ ما جاءَ في القرآنِ أو صَحَّ عنِ المصطفى عليه السلامُ منْ صفاتِ الرحمـٰنِ وَجَبَ الإيمانُ بهِ وتَلَقِّيهِ بالتَّسْليمِ والقَبُولِ، وتَرْكُ التَّعَرُّضِ لَهُ بالرَّدِّ والتَّأْويلِ، والتَّشْبيهِ والتَّمْثِيلِ. وما أَشْكَلَ مِنْ ذلك وَجَبَ إثْباتُه لفْظاً، وتَرْكُ التَّعَرُّضِ لِمعْناه، ونرُدُّ عِلْمَه إلى قائله، ونجعلُ عُهْدَتَهُ على ناقِلِه،اتِّباعاً لطريقِ الرَّاسِخِينَ في العِلْمِ، الّذين أثْنَى اللهُ علَيْهِم في كتابهِ المُبين بقوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُوا الأَلْبَاب (٧)﴾،[1] وقال في ذَمِّ مُبْتَغِي التَّأْويلِ لمتشابهِ تَنْزِيلِهِ: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاء الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاء تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللّهُ وَالرَّاسِخُونَ﴾،[2] فَجَعَلَ ابْتِغاءَ التَّأْويلِ علامَةً عَلَى الزَّيْغِ وقَرَنَهُ بابْتِغاءِ الفِتْنَةِ**

(1) سورة : آل عمران (٧).

(2) سورة : آل عمران (٧).

في الذَّمِّ، ثم حَجَبَهُمْ عمَّا أَمَّلُوهُ، وقَطَعَ أَطْمَاعَهُمْ عمَّا قَصَدُوهُ، بقوله سبحانه: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلا اللَّهُ﴾ [1]).

المؤلف رحمه الله ذكر في هذا المقطع ما يجب العمل به فيما يتعلق بالأسماء والصفات، فقال رحمه الله: (وكلُّ ما جاءَ في القرآنِ أو صَحَّ عنِ المصطفى عليه السلامُ منْ صفاتِ الرحمـٰنِ وَجَبَ الإيمانُ بِهِ) أي وجب اعتقاده والإقرار به والطمأنينة له.

الإيمان هو الإقرار المستلزم للإذعان والقبول ولذلك قال:(وَجَبَ الإيمانُ بِهِ وتَلَقِّيهِ بالتَّسْليمِ والقَبُولِ، وتَرْكُ التَّعَرُّضِ لَهُ بالرَّدِّ والتَّأْويلِ، والتَّشْبِيهِ والتَّمْثِيلِ) . فالواجب فيما يتعلق بخبر الله في كتابه أو ما جاء به الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من صفات الله عز وجل يجب الإيمان بذلك، أن نقر به وأن نصدِّقه وأن تطمئن قلوبنا له وأن نقبله كما ذكر المؤلف رحمه الله، نتلقاه بالتسليم والقبول.

ثم بعد أن بيّن الواجب فيما يتعلق بالأسماء والصفات في كلام الله وفي كلام رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذكر المؤلف رحمه الله ضلال من ضل وطريق من أخلّ بمنهج أهل السنة والجماعة، منهج الصحابة الذين تلقوه عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. قال رحمه الله: (وَجَبَ الإيمانُ بِهِ وتَلَقِّيهِ بالتَّسْليمِ والقَبُولِ، وتَرْكُ التَّعَرُّضِ لَهُ بالرَّدِّ والتَّأْويلِ، والتَّشْبِيهِ والتَّمْثِيلِ) . وهذه الطرق الذي ذكرها رحمه الله أربعة طرق:

- الرد.
- والتأويل.
- والتشبيه.
- والتمثيل.

حقيقتها ترجع إلى طريقين:

- التعطيل.
- والتمثيل.

فهذا التفصيل –الرد والتأويل والتشبيه والتمثيل– يرجع إلى طريقين بهما يحصل الزيغ فيما يتعلق بخبر الله عن نفسه أو خبر النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن ربه.

---

([1]) سورة : آل عمران (٧).

**التعطيل**: وهو إبطال ما جاءت به النصوص إما إبطالاً كليّاً أو إبطالاً جزئيّاً.

**والثاني التمثيل**: هو أن يجعل ما أخبر الله به عن نفسه أو أخبر به رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن ربه نظير ومثل ما للمخلوق. وهذا لا شك أنه من أعظم المحرمات؛ لأنه شرك بالله عز وجل.

فالمؤلف أحسن في بيان ما يجب حيث قال: (**وَجَبَ الإيمانُ بِهِ وتَلَقِّيهِ بالتَّسْليمِ والقَبُول**)، ثم ذكر بعد ذلك طرق الغي والضلال والزيغ فيما يتعلق بمسائل الاعتقاد، فقال: (**وتَرْكِ التَّعَرُّضِ لَهُ بالرَّدِّ والتَّأْويلِ، والتَّشْبِيهِ والتَّمْثِيلِ**).

قال ابن القيم رحمه الله في نونيته في بيان طريق أهل الضلال وسلامة طريق أهل الحق:

فالجحـــد والإعراض والتـــــأويل والتجهيل حظ النص عند الجاني

أربعة طرق: الجحد، والإعراض، والتأويل، والتجهيل، (حظ النص) يعني نصيب النص، هكذا يقابل أهل الزيغ نصوص الكتاب والسنة: إما بالجحد، وإما بالإعراض، وإما بالتأويل، وإما بالتجهيل. كل هذا مؤداه واحد وهو عدم العمل بالنص، ترك العمل بالنصوص، هذا حظ النص عند الجناة من أهل التأويل الذين خالفوا طريق أهل السنة والجماعة –طريق سلف الأمة– في معرفة ما يجب لله عز وجل وما أخبر الله به في كتابه أو أخبر به رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في سنته.

عند أهل السنة والجماعة:

لكن لدينا حظــه التســـليم مـــع حسن القبول وفهم ذي إحسان

هكذا طريق أهل السنة والجماعة: التسليم مع حسن القبول، فهو ليس تسليماً مع ضيق وضجر وقلق ورفض؛ بل تسليم مع قبول حسن، ولذلك قال بعد التسليم: (مع حسن القبول وفهم ذي إحسان):

لكن لدينا حظــه التســـليم مـــع حسن القبول وفهم ذي إحسان

هكذا ينبغي أن نعامل النصوص.

يقول رحمه الله: (**وتَرْكُ التَّعَرُّضِ لَهُ بالرَّدِّ**)، (**الرد**) منه التكذيب ومنه الإبطال، و(**التأويل**) صرف اللفظ عن ظاهره، تفسيره بما لم يرده الله ورسوله، هذا التأويل، معنى التأويل هنا تفسير النص بما لم يُرده الله ورسوله، (**والتَّشْبِيهِ والتَّمْثِيلِ**) متقاربان، والمقصود بالتشبيه هو أن يجعل الله عز وجل شبيهاً فيما لا يجوز أن يكون له فيه شبيه.

فالتشبيه: هو جعل الشبيه لله عز وجل فيما لا يجوز. وانظر إلى قولنا: (فيما لا يجوز)؛ لأنه ليس كل تشبيه ممنوعاً، ولذلك نهج بعض العلماء من المحققين استعمال (التمثيل) كما جاء في الكتاب والسنة و لم

يستعملوا لفظ (التشبيه)؛ لأن التشبيه لفظ غير مطابق للواقع، فإن ما أخبر الله به عن نفسه أو أخبر به رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عنه لا بد فيه من قدر من المشابهة في المعنى العام الذي يحصل به فهم النص، فليست كل مشابهة منتفية، ولذلك ليس في القرآن أنه لا شبيه له؛ بل الذي في القرآن ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾[1] والمماثلة أمر زائد على مطلق المشابهة.

لأن المماثلة هي المساواة من كل وجه، أما المشابهة فهي اتفاق من بعض الوجوه.

فمثلاً: علو الله عز وجل: العلو مفهوم المعنى، وهو الارتفاع على الغير؛ لكن ما له من العلو ليس كما للمخلوق من العلو.

السمع مفهوم المعنى وهو إدراك الأصوات، فسمع الله معناه إدراك الأصوات؛ لكن ما يسمعه الله أو الصفة التي اتصف بها سبحانه وتعالى ليست كسمع المخلوق.

إذاً المحظور في التمثيل أو في التشبيه؟ المحظور في التمثيل، أما التشبيه فلا بد منه، لا بد منه في قدر، وهو الاشتراك في المعنى العام.

ونقول: إن مراد المؤلف رحمه الله بـــ(**التشبيه**) هنا التمثيل، ولذلك فيما تقدم قال رحمه الله: (**جلَّ عَنِ الأشباهِ والأنْدادِ**) فمقصوده أنه تعاظم عن أن يكون له مثيل سبحانه وتعالى.

فملخص ما في هذه النقطة أن نقول: إن طريق أهل السنة والجماعة إثبات للنصوص كما أثبتها الله أو أثبتها رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل، فلا نكيف صفات الله ولا نمثل الله بخلقه ولا نعطل النصوص بتحريف أو تأويل؛ بل نثبت النصوص كما جاءت في الكتاب والسنة من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكييف ولا تمثيل.

بعد أن بين المؤلف رحمه الله الواجب في أسماء الله وصفاته، انتقل رحمه الله إلى بيان أن ما جاءت به النصوص مما يتعلق بصفات الله عز وجل منه ما هو مشكل ولذلك قال: (**وما أَشْكَلَ مِنْ ذلك وَجَبَ إثْباتُه لفْظاً**).

النصوص من حيث دلالتها تنقسم إلى قسمين:

نصوص واضحة الدلالة بينة؛ ما فيها لبس فهي واضحة في اللفظ، واضحة في المعنى، وهذه التي تسمى المحكم.

---

([1]) سورة: الشورى (١١).

القسم الثاني من النصوص ما فيه اشتباه؛ بمعنى أنّ معناه فيه نوع غموض وخفاء، هذا الغموض والخفاء شيء منه يرجع إلى اللفظ كأن يكون اللفظ مجملاً مثلاً، وشيء منه يرجع إلى الفهم والعلم، فالمتشابه من النصوص هو ما احتمل أكثر من معنى.

ما الواجب في المحكم الذي لا يحتمل إلا معنى واحداً؟ الواجب الإيمان به، وإثباته.

أما المتشابه فالواجب ما ذكره المؤلف رحمه الله مما سنقرؤه في كلامه.

لكن قبل أن نفرغ من هذه النقطة نقول: إن النصوص في القرآن والسنة تنقسم إلى قسمين من حيث الدلالة والمعنى:

منها ما هو محكم، هذا النوع هو الواضح الذي لا يحتمل إلا معنى واحداً.

النوع الثاني من النصوص الذي يحتمل أكثر من معنى.

تمثل: قول الله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾[1] هذا النص متشابه أو محكم؟ محكم، لماذا؟ لأنه يدل على معنى واحد وهو أن الله أحد جل وعلا؛ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ هذا معناه واضح يدركه كل من عرف لسان العرب.

من النصوص المتشابهة التي يمثل بها العلماء للنص المتشابه قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ (٩)﴾[2] ﴿إِنَّا نَحْنُ﴾ المتكلم بالقرآن من؟ المنزل له من؟ كم هو؟ واحد، هنا يقول: ﴿إِنَّا نَحْنُ﴾ فأتى بضمير الجمع، فهــذا الضمير يحتمل أن المنزل للقرآن أكثر من واحد والمتكلم بالقرآن أكثر من واحد، أليس كذلك ؟ ويحتمل أنه أراد تعظيم نفسه وبيان عظيم قدره لما أتى بهذا الضمير الذي يدل على الجمع؛ لأن العرب تستعمل ضمير الجمع في حق من كان عظيم القدر رفيع المنزلة والمكانة، فهذا يحتمل هذا المعنى ويحتمل هذا المعنى.

النصارى يقولون: إنكم تقرون التعدد وأن الله ليس بواحد والدليل قوله في كتابكم: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ (٩)﴾[3] و(إنَّا) ما يمكن أن تدل على واحد، هذا من المتشابه أو من المحكم؟ من المتشابه، ما الواجب في المتشابه ؟ الواجب أن نرد هذا المتشابه إلى المحكم ايش المحكم في كلام الله عز

---

[1] سورة : الإخلاص( ١).

[2] سورة : الحجر (٩).

(٣) سورة : الحجر (٩).

وجل؟ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾[1] فنوقن أن قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ ونظائر هذا من الألفاظ التي جاء فيها حديث كلام الله عز وجل عن نفسه بضمير الجمع أن ذلك على وجه التعظيم؛ لأن العرب تستعمل هذا.

إذاً النصوص الواضحة يجب الإيمان بها والنصوص المتشابهة يجب ردها إلى المحكم والإيمان بها.

طيب هنا إشكال: القرآن وصفه الله بأنه حكيم كما قال الله تعالى: ﴿كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ (١)﴾،[2] فأخبر بأن القرآن محكم.

وأخبر أيضاً بأن القرآن متشابه: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَاباً مُتَشَابِهاً﴾.[3]

بينما في آية سورة آل عمران قسّم الله عز وجل القرآن إلى قسمين: إلى محكم ومتشابه، قال الله تعالى:﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ﴾،[4] فقسم آيات القرآن إلى قسمين: محكم ومتشابه.

فهل هنا تعارض ؟ الجواب: لا؛ لأن الإحكام والتشابه ينقسم إلى قسمين:

- إحكام عام وتشابه عام.
- والقسم الثاني إحكام خاص وتشابه خاص.

الإحكام العام والتشابه العام المراد به إتقان الكلام وتصديق بعضه لبعض، ما فيه تعارض، فقول الله تعالى: ﴿كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ﴾ أي أُتقنت آياته، وقوله تعالى: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا﴾،[5] المقصود به إيش؟ أي: إنه يصدق بعضه بعضاً ما فيه تعارض ما فيه أن آخره ينقض أوله أو أن بعضه يرد على بعض؛ بل كله يصدق بعضه بعضاً كما قال الله جل وعلا: ﴿أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ اخْتِلاَفًا كَثِيرًا (٨٢)﴾،[6] فالقرآن لا اختلاف فيه يصدق بعضه

---

(1) سورة : الإخلاص (١).

(2) سورة : هود (١).وقال تعالى :{يس(١)والقرآن الحكيم(٢)}.سورة : هود(١-٢).

(3) سورة : الزمر (٢٣).

(4) سورة : آل عمران: (٠٧).

(5) سورة : الزمر (٢٣).

(6) سورة : النساء (٨٢).

بعضاً؛ ﴿لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾.[1]كل هذا من حيث الوصف العام للقرآن؛ لكن الآيات: منها ما هو محكم ومنها ما هو متشابه، فالإحكام والتشابه الخاص هو أن بعضها واضح المعنى جلي المقصد والغاية، ومنها ما يحتمل أكثر من معنى فلا تعارض بين الإحكام العام والتشابه العام وبين الإحكام الخاص والتشابه الخاص.

فما أشكل يجب رده إلى ما تبين، والمشكل وغير المشكل هو في حق الآيات من حيث المعنى، أما من حيث تصديق الكلام بعضه لبعض ومن حيث اتساق المعاني وتوافقها فهذا وصف لكل القرآن.

نقتصر على هذا، ونكمل إن شاء الله تعالى بيان ما ذكره المؤلف في قوله: (**وما أَشْكَلَ**) في الدرس القادم إن شاء الله تعالى.

(1) سورة : فصلت (٤٢).

# شرح لمعة الاعتقاد

# الهادي إلى سبيل الرشاد

لموفق الدّين بن قدامة المقدسي رحمه الله


لفضيلة الشيخ

خالد بن عبد الله المصلح


الدرس الثاني


www.almosleh.com

## بسم الله الرحمن الرحيم

قال الإمام موفق الدين أبو محمد عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي رحمه الله تعالى:

**(وما أَشْكَلَ مِنْ ذلك وَجَبَ إثْباتُه لفْظاً، وتَرْكُ التَّعَرُّضِ لِمعْناه، ونرُدُّ عِلْمَه إلى قائله، ونجعلُ عُهْدَتَهُ على ناقِلِه، اتِّباعا لطريقِ الرَّاسِخِين في العِلْمِ، الّذين أثْنَى اللهُ علَيْهِم في كتابِهِ المُبين بقوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُوا الألْبَابِ (٧)﴾،[1] وقالَ في ذَمِّ مُبْتَغِي التَّأْوِيلِ لمتشابهِ تَنْزِيلِهِ: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ في قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاء الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاء تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللّهُ وَالرَّاسِخُونَ﴾[2].**

**فَجَعَلَ ابْتِغَاءَ التَّأْوِيلِ علامَةً الزَّيْغِ وقَرَنَهُ بابْتِغَاءِ الفِتْنَةِ في الذَّمِّ، ثم حَجَبَهُمْ عمَّا أَمَّلُوهُ، وقَطَعَ أَطْمَاعَهُمْ عمَّا قَصَدُوهُ، بقوله سبحانه: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ﴾.[3]).**

بسم الله الرحمـٰـن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وأصلي وأسلم على نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه أجمعين.

أما بعد:

فتقدم الكلام على جزء من هذا المقطع وقلنا: إن نصوص الكتاب تنقسم إلى قسمين من حيث الدلالة:

- ما هو واضح الدلالة.
- وما هو خفي الدلالة.

واضح الدلالة: الذي لا يحتمل إلا معنًى واضحاً هو المحكم.

وأما ما خفيت دلالته أو احتمل أكثر من معنى فإنه المتشابه.

الواجب في المحكم الإيمان به والعمل، والواجب في المتشابه الإيمان به وردّ معناه إلى ما دل عليه المحكم، وهذا هو سبيل الراسخين في العلم.

---

(1) سورة : آل عمران (٧).

(2) سورة : آل عمران (٧).

(3) سورة : آل عمران (٧).

يقول رحمه الله: (**وما أَشْكَلَ مِنْ ذلك**) أي ما وقع فيه إشكال، (**أَشْكَلَ**) أي اشتبه في دلالته ومعناه، (**مِنْ ذلك**) المشار إليه آيات الصفات، وهو منهج عام في آيات الصفات وفي غيرها؛ لكن الكلام لما كان في هذا الموضع في آيات الصفات فإن البحث فيها بالذات والخصوص، أما من حيث الأصل فإنه يشمل البحث في آيات الصفات وفي غيرها.

يقول رحمه الله: (**وما أَشْكَلَ مِنْ ذلك وَجَبَ إثْباتُه لفْظاً**) هـٰذا لا إشكال فيه، لا يمكن أن يلغي أحد شيئاً من كتاب الله عز وجل ولا من سنة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا ثبتت وصحت؛ لكن البحث في المعنى.

يقول: (**وَجَبَ إثْباتُه لفْظاً، وتَرْكُ التَّعَرُّضِ لِمعْناه**) أي وجب إثبات اللفظ، وأما المعنى فيجب ترك التعرض لمعناه؛ بمعنى أننا نُعْرِض عن قول شيء لم يتبين لنا فيه حجة أو برهان. فلا نقول في آيات الله ولا في ما جاء عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من قِبَلِ أنفسنا أو آرائنا؛ بل ما أشكل علينا إذا أمكن أن نرده إلى المحكم فذاك المطلوب، وهذا الذي ينبغي أن يكون.

إذا لم نتمكن من ترجيح شيء في معنى هذا المشكل، فالواجب ألا نقول فيه شيئاً ليس لنا فيه حجة وليس لنا فيه برهان؛ بل نقف ونقول: الله أعلم بمراده. وهذا معنى قول المؤلف رحمه الله: (**وتَرْكُ التَّعَرُّضِ لِمعْناه**) أي يجب علينا أن نقف في المعنى، وليس مقصود المؤلف ومعنى كلامه أننا نقول: إنه ليس له معنى.

ليس في كلام الله عز وجل ما لا معنى له، كل كلام الله عز وجل له معنى؛ لأن الله عز وجل خاطبنا بلسان عربي مبين يُدْرَك معناه ويُعْرف مبتغاه؛ لكن إذا اشتبه علينا شيء من المعنى وجب علينا الوقوف في هذا المعنى، الوقوف في تحديد المعنى، وليس أن نقول: إنه ليس له معنى.

إذاً ما أشكل من الآيات، ما أشكل من الأحاديث، فلم نفهم المعنى، يجب علينا إثبات ما جاء به النص، وأما معنى هذا النص فالواجب علينا أن نتوقّف فيه حتى يأتينا برهان أو حجة نستطيع من خلالها أن نقول: إن معنى الآية كذا وكذا.

هذا معنى قول المؤلف رحمه الله: (**وَجَبَ إثْباتُه لفْظاً، وتَرْكُ التَّعَرُّضِ لِمعْناه**).

وبعض الناس ظن أن المؤلف رحمه الله أراد بقوله: (**وتَرْكُ التَّعَرُّضِ لِمعْناه**) نفي المعنى؛ أي أنه ليس له معنى، وهذا يأباه سياق الكلام، فإن المؤلف رحمه الله يتكلم عن الآيات المشكلة، وإنما جاء الإشكال

لكون المعنى فيها غير واضح، فهو لم يقل: ليس لها معنى. أو أنها كلام لا يقصد منه شيء، إنما أراد المؤلف أن المشتبه من المعاني الواجب فيه -إذا لم يتبين- التوقف.

إذاً إذا أشكل عليك شيء من كلام الله ومن كلام رسوله فما هو الطريق الذي تسلكه؟

الطريق الذي تسلكه أن تطلب حل هذا الإشكال من كلام الله ومن كلام رسوله، إن وفقت إلى ذلك فالحمد لله وهذا المطلوب والمبتغى.

إذا حيل بينك وبين هذا و لم تتوصل إلى المعنى فعند ذلك تثبت أن الكلام له معنى؛ لأن الله خاطبنا بما له معنى، نثبت هذا المعنى ونقول: الله أعلم بمراده، كما سيأتي في كلام الشافعي رحمه الله الذي نقله المؤلف، ليس في كلام الله ولا في كلام رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ما لا معنى له.

ومن قال: إن آيات الصفات لا معنى لها. أو إن كلها معناها لا نعلمه. فقد بخس القرآن حقه وجنى على النصوص. وهو ما أشار إليه ابن القيم رحمه الله في قوله:

فالجحـــد والإعراض والتـــأويل والتجهيل ....................

أي أنه ليس له معنى، هذا معنى قوله رحمه الله: (والتجهيل)

................................ ......... حظ النص عند الجاني

فكل من أعرض عن الكتاب، كل من جحد ما جاءت به النصوص من الصفات، كل من أول وحرّف كلام الله عن مواضعه، كل من قال: إن النصوص ليس لها معنى، أو إن لها معنى لا نعلمه في جميع مواردها. فإنه قد جنى على النصوص، فكل هذا من أنواع الجنايات على كلام الله وكلام رسوله.

يقول رحمه الله: (**ونرُدُّ عِلْمَه إلى قائله**) يعني علم هذا المعنى، ومعنى أنه إذا كنا سنرد العلم إلى قائله معنى هذا أن الكلام له معنى أو ليس له معنى؟ له معنى.

قال: (**ونجعلُ عُهْدَتَهُ على ناقِلِه**)، (العهدة) هي الدَّرَك وما يترتب على الشيء، فنجعل عهدة الكلام ما يترتب عليه من إثبات ما يُثْبَت ونفي ما يُنْفَى ودَرَك هذا الكلام على ناقله الذي نقله إلينا، وهذا في نصوص السنة النبوية.

قال: (**اتِّباعا لطريقِ**) يعني ونحن في هذا متبعون ولسنا مبتدعين، ولذلك يقول: (**اتِّباعا لطريقِ الرَّاسِخِين في العِلْمِ**)، والرسوخ في العلم هو أن يكون المرء مدركاً لمعاني كلام الله وكلام رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، عالماً بمقاصد الكتاب والسنة.

فكلما كان الإنسان راسخ القدم في فهم كلام الله وكلام رسوله فإنه من الراسخين في العلم؛ لأن الرسوخ أصله الثبوت والقرار، ولا يكون ذلك إلا لمن عقَل عن الله وعن رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

(**اتِّباعا لطريقِ الرَّاسِخِين في العِلْمِ، الّذين أثنَى اللهُ عليْهِم في كتابِهِ المُبين بقوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾**)اللهم اجعلنا منهم (**﴿يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا﴾**[1]) **﴿آمَنَّا بِهِ﴾** أي آمنا بهذا القرآن، **﴿كُلٌّ﴾** أي كلّ ما في هذا القرآن من محكم الآيات ومتشابهها **﴿مِّنْ عِندِ رَبِّنَا﴾**، فلا نؤمن ببعض ونكفر ببعض سبيل الذين حرَّفوا الكلم عن مواضعه. إنما نؤمن بكل ما في القرآن ما عقَلنا معناه واتضح فالحمد لله، وما لم يتبين لنا معناه آمنا به على مراد الله وعلى مراد رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

يقول رحمه الله: (**وقالَ في ذَمِّ مُبْتَغِي التَّأْوِيلِ**) أي قال الله تعالى (**في ذَمِّ مُبْتَغِي التَّأْوِيل**) التحريف وطلب المعنى (**لمتشابِهِ تَنْزيلِهِ**) يعني لما لم يتبين من القرآن **﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ﴾** أي انحراف وميل عن الحق إلى الضلال **﴿فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ﴾** أي يفرحون بالمتشابه ويتمسكون به **﴿ابْتِغَاء الْفِتْنَةِ﴾** أي هذا الفعل منهم إنما أرادوه وفعلوه لأجل أن يوقعوا الفتنة، والفتنة منها ما يتعلق بالشهوات ومنها ما يتعلق بالشبهات.

وهنا المراد بالفتنة ما يتعلق بالشبهات التي تُزيغ عن الحق وتصرف عن الهدى، **﴿وَابْتِغَاء تَأْوِيلِهِ﴾** أي وطلب معناه، مع أنّ معناه ليس بميسورٍ لهم، **﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ﴾** أي وما يدرك معناه وتفسيره﴿ إلا الله والراسخون في العلم﴾. فالراسخون في العلم يدركون تأويله، وعلى هذه الطريقة في القراءة يكون معنى التأويل في الآية التفسير، **﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ﴾** أي تفسيره وكشف معناه وبيانه إلا الله والراسخون في العلم، فالراسخون في العلم يعلمون معنى كلام الله وكلام رسوله، ويردُّون ما اشتبه عليهم من المعاني إلى ما اتضح فيتبين لهم المعنى.

قال رحمه الله: (**فَجعَلَ ابْتِغَاءَ التَّأْوِيلِ**) أي ابتغاء التفسير في المشكل مع عدم العلم علامة على الزيغ وقرنه بابتغاء الفتنة في الذم؛ لأنه قال: **﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاء الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاء تَأْوِيلِهِ﴾**.

---

([1]) سورة : آل عمران (٧).

يقول: (**ثم حَجَبَهُمْ عمَّا أَمَّلُوهُ**)، (**حَجَبَهُمْ**) أي منعهم (**عمَّا أَمَّلُوهُ**) من إدراك المعاني مع الزيغ الذي في قلوبهم، (**وقطعَ أَطْمَاعَهُمْ عمَّا قَصَدُوهُ، بقوله: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلا اللَّهُ﴾**[1]). أي ما يعلم حقيقة ما أخبر الله به عن نفسه إلا الله.

وأما على القراءة الثانية: **﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾** هذا فيه أيضاً أن أصحاب الزيغ لا يتوصَّلون إلى فهم المعاني؛ لأنه لم تصح مقاصدهم؛ بل مقاصدهم تحريف الكلم عن مواضعه، ولذلك لا يمكن أن يصل الإنسان إلى الحق بنية فاسدة؛ بل لا بد في التوصل إلى الحق من نية صالحة وعقل سليم، فمن فقد النية الصالحة فمهما كان في العقل والنظر فإنه لا يصيب الحق؛ لأن النيات الفاسدة تحجب وتمنع من الوصول إلى الحق.

قال رحمه الله:

**(فَجعَلَ ابْتِغَاءَ التَّأْويلِ علامَةً عَلَى الزَّيْغِ وقَرَنَهُ بابْتِغَاءِ الفِتْنَةِ في الذَّمِّ، ثم حَجَبَهُمْ عمَّا أَمَّلُوهُ، وقَطَعَ أَطْمَاعَهُمْ عمَّا قَصَدُوهُ، بقوله سبحانه: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلا اللَّهُ﴾.[2]**

**قالَ الإمامُ أبو عبدِ الله أحمدُ بنُ محمدِ بن حنبلٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ في قولِ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((إنَّ اللهَ ينزلُ إلى سماءِ الدُّنْيا))،[3] و((إنَّ الله يُرى في القيامَةِ))[4] وما أشبه هذه الأحاديث، قال: نؤمِنُ بها ونُصَدِّقُ بها لا كَيْفَ ولا مَعْنَى ولا نَرُدُّ شيئاً منْها، ونَعْلَمُ أنَّ ما جاءَ به الرَّسولُ حقٌّ، ولا نَرُدُّ على رسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولا نَصِفُ اللهَ بأكْثَرَ مما وَصَفَ بهِ نفسَهُ، بلاَ حَدٍّ ولا غايَةٍ، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ﴾.[5] ونقولُ كما قالَ، ونَصِفُهُ بما وَصَفَ بهِ نَفْسَهُ، لا نَتَعَدَّى ذلك، ولا يَبْلُغُهُ وصفُ الواصِفِينَ، نُؤْمِنُ بالقرآنِ كُلِّهِ مُحْكَمِهِ ومُتَشَابِهِهِ، ولا نُزيلُ عَنْهُ صفةً مِنْ صفاتِه لشَنَاعَةٍ شُنِّعَتْ، ولا نَتَعَدَّى القرآنَ والحديثَ، ولا نَعْلَمُ كيفَ كُنْهُ ذلك إلاَّ بتصديقِ الرَّسولِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وتَثْبِيتِ القرآنِ) .**

---

([1]) سورة : آل عمران (٧).

([2]) سورة : آل عمران (٧).

([3]) **البخاري**: كتاب التهجد، باب الدعاء في الصلاة من آخر الليل..، حديث رقم (١١٤٥).

**مسلم**: كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب الترغيب في الدعاء والذكر في آخر الليل.. حديث رقم (٧٥٨).

([4]) **مسلم**: كتاب الإيمان، باب إثبات رؤية المؤمنين في الآخرة ربهم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، حديث رقم (١٨١)، بمعناه.

([5]) سورة : الشورى (١١).

هذا الكلام الذي نقله المؤلف رحمه الله عن الإمام أحمد بن حنبل بيان لمنهج أهل السنة والجماعة في آيات الصفات، وقد نقل رحمه الله عن جماعة من أئمة السلف في هذا لبيان القاعدة التي يسير عليها الإنسان في ما يتعلق بالأسماء والصفات.

الإمام أحمد رحمه الله قال في الأحاديث التي جاء فيها الخبر عن صفات الله عز وجل كحديث النزول ((إنَّ اللهَ ينزِلُ إلى سماءِ الدُّنْيا)) وحديث ((إنَّ الله يُرى في القيامَةِ)) قال رحمه الله: (نؤمِنُ بها ونُصَدِّقُ بها لا كَيْفَ ولا مَعْنَى)، فرح كثير من المبتدعة بهذا المنقول عن الإمام أحمد رحمه الله، وهو مما نقله حنبل عن الإمام أحمد رحمه الله (لا كَيْفَ ولا مَعْنَى)، (لا كَيْفَ) لا إشكال فيها أي: إننا نثبت ما أخبر الله به من هذه الصفات دون النظر في كيفية ذلك، فإنّ الكيفيات لا سبيل إلىٰ إدراكها ولا إلى علمها؛ بل هي مما اختص الله بها نفسه، فلا سبيل إلى علم كيفية نزول الله عز وجل، ولا سبيل إلى معرفة كيفية سائر ما أخبر الله به من الصفات عن نفسه؛ بل الواجب الإيمان بتلك الصفات دون التعرض للكيفيات؛ لأن الكيفية كيفية الشيء فرع عن معرفة الشيء نفسه، فإذا كنت لا تعرف الشيء ولا تحيط به فأنت جاهل بكيفيته؛ لأن الكلام في الكيفية فرع عن الكلام في الذات وفي الشيء نفسه.

فإذا قال لك قائل :كيف سمع الله؟ قل: كيف الله؟ فإذا قال: لا أعرف. وهو الذي لا يمكن أن يتكلم الإنسان بغيره. فنقول: كذلك صفاته لا تُعْرَف. ولا يمكن أن يدركها الإنسان لقصر عقله وضعفه عن إدراك ذلك.

فإن الله لم يطلب منا الإيمان بكيفيات الصفات، إنما طلب منا الإيمان بالصفات نفسها لا بكيفياتها؛ بل كيفياتها تدخل في قول الله تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللّهُ﴾،[1] أي حقيقة ما أخبر الله به عن نفسه لا يُعلم إلا من طريق الله عز وجل والله لم يعلمنا ذلك فلا سبيل إلى علم هذا.

ثم قوله: (ولا مَعْنَى)؛ أي لا تأويل، وليس المراد نفي المعنى مطلقاً، فإن هذا مما ينبغي أن يعرف وأن يعلم أن مراد الإمام أحمد رحمه الله بقوله: (لا مَعْنَى)؛ أنّا لا نعرف معنى ما أخبر الله به عن نفسه من الصفات؛ بل إن كلام الإمام أحمد رحمه الله صريح صراحة واضحة بأن آيات الصفات لها معانٍ، وقد صرح بذلك في مواضع عديدة، وقد بين رحمه الله أنه إنما ينكر تأويلات الجهمية وليس الإنكار للمعاني؛ بل المعاني ثابتة.

---

(1) سورة : آل عمران (٧).

المفوضة الذين قالوا: إن الله تكلم بكلام لا نعلم ولا ندرك معناه أو أنه ليس له معنى، فرحوا بقول الإمام أحمد وما نقل عنه من قوله: (**ولا مَعْنَى**) فظنوا أن المعنى المنفي هنا هو أصل المعنى والتفسير لآيات الصفات وأحاديثها، وخفي عليهم أن ما نقل عن الإمام أحمد في هذا الكلام يرد عليهم –كما سيأتي بعد قليل– كما أن المنقول عن الإمام أحمد رحمه الله يدلّ دلالة واضحة على أن مراده (**ولا مَعْنَى**)؛ أي لا تأويل وتحريف للكلم عن مواضعه الذي يسلكه الجهمية ومؤولة الصفات.

فمعنى قوله: (**لا كَيْفَ ولا مَعْنَى**) أي لا نكيفها ولا نحرّفها بالتأويل، فنقول: معناها كذا وكذا دون أن يكون عندنا من الله في ذلك برهان.

قال رحمه الله: (**ولا نَرُدُّ شيئاً منْها، ونَعْلَمُ أنَّ ما جاءَ به الرَّسولُ حقٌّ، ولا نَرُدُّ على رسولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**)؛ بل الواجب فيما جاء عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الإيمان لا الرد، فكل من رد ما جاء عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فإنه قد زاغ عن الصراط المستقيم ووقع في مهلكة؛ لأن من رد قول الله عز وجل يوشك أن تدركه الفتنة كما قال الله جل وعلا: ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً﴾،[1] ومن أعظم الفتنة رد قول رسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قال رحمه الله: (**ولا نَصِفُ اللهَ بأكْثَرَ مما وَصَفَ بِهِ نفسَهُ**) وهذا لا إشكال فيه فكل من وصف الله بأكثر مما وصف الله به نفسه فقد زاغ عن الصراط المستقيم؛ لأنه لا سبيل إلى معرفة صفات الله إلا من طريق خبر الله عن نفسه أو خبر رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عنه، فلا نزيد في الصفات أكثر مما جاءت به النصوص بل يجب التوقف والتزام ما جاءت به النصوص.

قال رحمه الله: (**بِلاَ حَدٍّ ولا غايَةٍ**)، (**بِلاَ حَدٍّ**) أي إننا لا نحدّ لذلك حدّاً من قبَل أنفسنا، (**ولا غايَةٍ**) أي ولا نهاية من قِبَل أنفسنا؛ ولا يعني هذا الكلام أن صفات الله جل وعلا ليس لها حد، فإن أول من قال: إنه لا حد للصفات ولا غاية ولا نهاية جهم بن صفوان.

يقول أبو سعيد عثمان بن سعيد الدارمي رحمه الله في كتابه ردي على الجهمية: لم يعلم عن أحد من العالمين أنه تكلم بهذا الكلام قبل جهم بن صفوان.

ومراد جهم بن صفوان بقوله في الصفات : إنه لا حد لها ولا غاية، مراده تعطيل الله عن صفاته.

---

[1] سورة : الأنفال (٢٥).

ولذلك قال: من قال: لا حد ولا غاية فقد قال بأنه لا إلـــه وأن الله لا شيء. لأنه ما من شيء إلا له حد وغاية.

وقد سئل الإمام أحمد رحمه الله عن بعض صفات الله عز وجل فقيل له: بحد أو لا؟ قال: بحد. واستدل لذلك بقول الله تعالىٰ: ﴿وَتَرَى الْمَلائِكَةَ حَافِّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾[1] قال: ﴿حَافِّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ﴾ أي محدقين، وهذا حد، وأهل السنة والجماعة متفقون على أن الله فوق سماواته على خلقه بائن من خلقه سبحانه وتعالىٰ، ولاشك أن هذا حد.

ولذلك اتفق سلف الأمة على إثبات أن للصفات حدّاً وأن لها غاية لكنهم نفوا أن يكون لهذه الصفات حد يعلمه الإنسان، ولذلك قالوا: له حد لا يعلمه غيره.

كما ذكر ذلك أبو سعيد رحمه الله قال: ولا يجوز لأحد أن يتوهم لحده غاية؛ ولكن نؤمن بالحد ونكل علمه إلى الله تعالى فافهم معنى قول الإمام أحمد رحمه الله: (**بِلاَ حَدٍّ ولا غايَةٍ**) مقصود الإمام أحمد من هذا أنه ليس لنا أن نحد حدّاً أو أن نفرض منتهى لصفاته؛ لكن هل لصفاته حد أو ليس لها حد؟ لها حد كما اتفق على ذلك سلف الأمة، ونقل ذلك شيخ الإسلام رحمه الله، وأيضاً نقله قبله أبو سعيد عثمان بن سعيد الدارمي رحمه الله، ونُقل عن ابن المبارك وعن الإمام أحمد وعن جماعة من أهل العلم.

قال رحمه الله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾.[2] يقول: (**ونقولُ كما قالَ**) أي كما قال الله تعالىٰ وكما قال رسوله، (**ونَصِفُهُ بما وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ، لا نَتَعَدَّى ذلك**) أي لا نتجاوز الكتاب والسنة، (**ولا يَبْلُغُهُ وصفُ الواصِفِينَ**) أي لا يدرك حقيقة صفاته وما له من بديع الصفات وصف الواصفين؛ بل هو العليم الخبير لا يحيط الخلق به سبحانه وبحمده.

قال رحمه الله: (**نُؤْمِنُ بالقرآنِ كُلِّهِ مُحْكَمِهِ ومُتَشَابِهِهِ**) المؤلف رحمه الله قسم القرآن إلى قسمين: المحكم والمتشابه.

**المحكم** ما هو؟ المحكم هو الذي لا يحتمل إلا معنى واحداً.

**والمتشابه**؟ ما فيه غموض وخفاء، أو أنه يحتمل أكثر من معنى.

---

(1) سورة : الزمر (٧٥).

(2) سورة : الشورة (١١).

طيب، قال رحمه الله: (**ولا نُزِيلُ عَنْهُ صفةً مِنْ صفاتِه لشَنَاعَة شُنِّعَتْ**) يعني لا نعطِّل الله عن صفاته لأجل ما يشنعه ويشغبه أهل التشبيه وأهل الزيغ الذين يصفون أهل السنة بصفات لينفّروا الناس عن الحق الذي جاؤوا به وقالوا به، حيث إنهم يصفون أهل السنة والجماعة بأنهم حشوية وأنهم مجسمة وأنهم لا علم عندهم، وما أشبه ذلك من الأوصاف التي تنفر عن الحق.

ولا يغرينك ما يخلعه أهل الباطل على منهجهم من البهرج حيث يقولون: نحن أهل العقول والبصائر، أهل النظر والفكر والعلم، وأما الذين يثبتون الصفات فهم حشوية مجسمة مشبهة ممثلة، وما أشبه ذلك من الألفاظ التي ينفرون بها من ينفرون عن الحق.

هذا معنى قول الإمام أحمد: (**لا نُزِيلُ عَنْهُ صفةً مِنْ صفاتِه**) يعني لا يمكن أن نعطل الله عز وجل عما أخبر به عن نفسه أو أخبر به رسوله لأجل قول من يقول: إنكم مشبهة، إنكم مجسمة، إنكم، إنكم.

إنما نقول بما قال الله وبما قال رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

(**ولا نَتَعَدَّى القرآنَ والحديثَ، ولا نَعْلَمُ كيفَ كُنْهُ ذلك**)؛ أي كيف حقيقة ذلك، الكنه هو الحقيقة، لا نعلم كيف كيفية الصفات ولا حقيقتها فإن علمها إلى الله عز وجل.

(**ولا نَعْلَمُ كيفَ كُنْهُ ذلك إلاَّ بتصديقِ الرَّسولِ وتَثْبيتِ القرآنِ**). (**إلاَّ**) هنا منقطعة؛ يعني لكن نصدّق الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ونثبت القرآن؛ أي نثبت ما جاء في الكتاب والسنة من الخبر عن الله عز وجل دون أن نلج في معرفة كيفيات ذلك.

(**قالَ الإمامُ أبو عبدِ اللهِ محمدُ بنُ إدريسَ الشَّافعيُّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: "آمنتُ باللهِ وبما جاءَ عَنِ اللهِ على مُرادِ اللهِ، وآمنتُ برسولِ اللهِ وبما جاءَ عَن رسولِ اللهِ على مُرادِ رسولِ اللهِ"**).

وهذا من عميق فقه الإمام الشافعي رحمه الله أنه يجب على المؤمن أن يَقَرَّ في قلبه وأن يطوي فؤاده على هذا العقد: (**آمنتُ باللهِ وبما جاءَ عَنِ اللهِ على مُرادِ اللهِ**)؛ يعني على مقصود الله جل وعلا، وعلى ما أراده سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لا على ما أتوهمه أو أظنه أو أتخيله، إنما على مراد الله عز وجل (**وآمنتُ برسولِ اللهِ وبما جاءَ عَن رسولِ اللهِ على مُرادِ رسولِ اللهِ**) وهكذا يجب أن يكون المؤمن في كلام الله عز وجل في المحكم وفي المتشابه.

وهذا هو معنى كلام المؤلف رحمه الله الذي تقدم معنا في قوله: (**وما أَشْكَلَ مِنْ ذلك وَجَبَ إثْباتُه لفْظاً، وتَرْكُ التَّعرُّضِ لِمعْناه**) معنى (**تَرْكُ التَّعرُّضِ لِمعْناه**) أن نقول: (**آمنتُ بالله وبما جاءَ عَن الله على مُرادِ الله، وآمنتُ برسولِ اللهِ وبما جاءَ عَن رسولِ اللهِ على مُرادِ رسول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**).

يقول رحمه الله:

(**وعلى هــٰذا دَرَجَ السَّلَفُ وأَئِمَّةُ الخَلَفِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُم، كُلُّهُمْ مُتَّفِقُونَ على الإقْرارِ، والإمْــرارِ والإثْباتِ لما وَرَدَ مِن الصِّفاتِ في كتابِ اللهِ وسُنَّةِ رسولِهِ، مِنْ غَيْرِ تَعَرُّضٍ لتأْويلِهِ.**

**وقد أُمِرْنا بالاقْتِفاءِ لآثارِهِمْ والاهتداءِ بمنارِهِم، وحُذِّرْنا المُحْدَثاتِ، وأُخْبِرْنا أَنَّها مِنَ الضَّــلالاتِ، فقالَ النبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((عَلَيْكُم بسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرّاشِدِينَ المَهْدِيّينَ مِنْ بَعْدِي، عَضّوا عَلَيْهَا بِالنّوَاجِذِ، وَإِيّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الأمُورِ، فَإِنّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكلَّ بِدْعَةٍ ضَلاَلَةٌ)).**[1]

**وقالَ عبدُ اللهِ بنُ مسعودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: "اتَّبِعُوا ولا تَبْتَدِعُوا فَقَدْ كُفِيتُمْ"**).

يقول رحمه الله: (**وعلى هــٰذا**) أي ما تقدم من النقل عن أبي عبد الله أحمد بن حنبل رحمه الله وأبي عبد الله محمد بن إدريس الشافعي رحمه الله، (**وعلى هــٰذا دَرَجَ السَّلَفُ وأَئِمَّةُ الخَلَفِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُم، كُلُّهُمْ مُتَّفِقُونَ على الإقْرارِ**) أي الإثبات، (**والإمْرارِ**) أي وعدم التعرض لما جاءت به النصوص برد أو تأويل أو تجهيل أو إعراض، (**والإثْباتِ لما وَرَدَ مِن الصِّفاتِ في كتابِ اللهِ وسُنَّةِ رسولِهِ، مِنْ غَيْرِ تَعَرُّضٍ لتأْويلِهِ**).

قوله رحمه الله: (**مِنْ غَيْرِ تَعَرُّضٍ لتأْويلِهِ**) يحتمل معنيين:

**المعنى الأول**: من غير تعرض لطلب كيفيته وحقيقته، وهذا يشمل المحكم والمتشابه، ما أخبر الله به عن نفسه، وما أخبر به رسوله عنه نثبته دون التعرض لتأويله، ما معنى (التأويل)؟ دون طلب الكيفية، هذا المعنى الأول.

---

(١) **سنن الترمذي**: كتاب العلم عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، باب ما جاء في الأخذ بالسنة واجتناب البدع، حديث رقم ٢٦٧٦. وقال: حسن صحيح.

**سنن أبي داود**: كتاب السنة، باب في لزوم السنة، حديث رقم ٤٦٠٧.

**سنن ابن ماجه**: باب اتباع سنة الخلفاء الراشدين المهديين، حديث رقم ٤٢، ٤٣.

قال الشيخ الألباني: صحيح.

**المعنى الثاني**: (**مِنْ غَيْرِ تَعَرُّضٍ لتأْوِيلِهِ**) أي من غير تعرض لتفسيره، هل هذا في جميع آيات الصفات وأحاديث الصفات؟ في المتشابه فقط.

فانتبه إلىٰ الكلام: قوله رحمه الله: (**مِنْ غَيْرِ تَعَرُّضٍ لتأْوِيلِهِ**) إن كان المقصود جميع آيات الصفات وجميع أحاديث الصفات فالمقصود بالتأويل هنا التكييف؛ علم الكيفيات، حقيقة ما أخبر الله به عن نفسه أو أخبر عنه رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم.

إن كان المقصود هنا بالتأويل التفسير فإن هذا يختص المتشابه من آيات وأحاديث الصفات لا الجميع.

قال رحمه الله: (**وقد أُمِرْنا بالاقْتِفَاءِ لآثارِهِمْ** ) أي آثار السلف (**والاهتداء بمنارِهِم، وحُذِّرْنا المُحْدَثاتِ، وأُخبِرْنا أنَّها مِنَ الضَّلالاتِ**) أين ذلك؟ قال رحمه الله: (**فقالَ النبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((عَلَيْكُم بِسُنّتِي وَسُنّةِ الْخُلَفَاءِ الرّاشِدِينَ المَهْدِيّينَ مِنْ بَعْدِي**). ((**عَلَيْكُم بسنّتِي**)) أي الزموا سنتي، وسنته هي طريقته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، هي هديه بأبي هو وأمي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آله وَسَلَّمَ ((**عَلَيْكُم بِسُنّتِي**)) أي الزموها وتمسكوا بها ((**وَسُنّةِ الْخُلَفَاءِ الرّاشِدِينَ المَهْدِيّينَ**)). (**الْخُلُفَاء**) هنا أول وأحق من يصدق عليه هذا الوصف هم الخلفاء الأربعة: أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، رضي الله عنهم أجمعين، ويدخل فيهم كل من تحقق بالرشد والهداية من علماء الأمة؛ لأن علماء الأمة خلفاء رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في أمته، فإنّ النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: ((**العلماء ورثة الأنبياء**)).[1] فالعلماء هم خلفاء الرسل في أممهم.

يقول رحمه الله: نعم في الحديث: (**فقالَ النبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((عَلَيْكُم بِسُنّتِي وَسُنّةِ الْخُلَفَاءِ الرّاشِدِينَ المَهْدِيّينَ**))، وإنما يكون راشداً مهدياً من سَلِمَ من الغي ومن سلم من الضلال.

فالراشد هو السالم من الغيّ.

والمهدي هو من سلم من الضلال.

ومن سلم من هاتين الآفتين الغي والضلال كمل علمه وصح عمله، فكمال العلم وكمال العمل في الرشد والهداية.

---

([1]) **سنن الترمذي**: كتاب العلم عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، باب ما جاء في فضل الفقه على العبادة، حديث رقم ٢٦٨٢.

**سنن ابن ماجه**: باب فضل العلماء والحث على طلب العلم، حديث رقم ٢٢٣.

قال الشيخ الألباني: صحيح.

ولذلك كلّ من سلم من الغيّ وكل من سلم من الضلال فقد كمُل واستقام عمله؛ لأن المانع من الحق أحد وصفين أو أحد أمرين:

**الأمر الأول**: عدم العلم.

**الأمر الثاني**: اتباع الهوى.

فمن كان مهديّاً فقد حصل العلم، ومن كان راشداً فقد سلم من اتباع الهوى، وإذا تحقق للإنسان الرشد والهدى فقد فاز بإصابة الحق وصلاح العمل، ولذلك ذكر الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هـذين الوصفين، فذكر هـذين الوصفين ليس عبثاً ولا لغواً، وليست أوصافاً مترادفة إنما هي أوصاف مقصودة لتكشف من هم الذين ينبغي للإنسان أن يسلك سبيلهم وأن يتمسك بهديهم.

هذا الحديث يفيدنا أن سنة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وسنة الخلفاء الراشدين المهديين تسع الإنسان في السّلامة من كل ضلال. فكل من لم يسعه هدي النبي و لم يسعه هدي الخلفاء الراشدين فإنه ضال لا محالة.

ولذلك ينبغي للمؤمن أن يقتصر في قوله وعند موارد الاشتباه على ما دلّ عليه الكتاب والسنة وما كان عليه سلف الأمة ما كان عليه الخلفاء الراشدون المهديون.

قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في بيان عظيم وجوب التمسك بهذا، قال: ((**عَضّوا عَلَيْهَا بِالنّوَاجِذِ**)) أي الأضراس، ((**وَإِيّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الأمُورِ**)) حذّر رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من محدثات الأمور، ((**فَإِنّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكلَّ بِدْعَةٍ ضَلاَلَةٌ**)) كل محدثة في الدين بدعة، وكل بدعة ضلالة يحصل بها الزيغ عن الصراط المستقيم والخروج عن هدي خير المرسلين صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ثم قال رحمه الله: (**وقالَ عبدُ الله بنُ مسعودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: "اتَّبِعُوا ولا تَبْتَدِعُوا فَقَدْ كُفِيتُمْ"**). (**اتَّبِعُوا**) أي اتبعوا سنة من قبلكم من الأئمة المهديين، (**ولا تَبْتَدِعُوا**) أي لا تحدثوا، (**فَقَدْ كُفِيتُمْ**) قد كفاكم الله أن تحدثوا شيئاً في الدين، أو أن تقولوا فيه ما لم يقل لكم أو لم يأت به الخبر عن نبيكم، فإن الله قد أتم الدين وأكمله، قال الله تعالى: ﴿**الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا**﴾.[1] فكل من لم يقتصر على ذلك فإنه يزعم أن الدِّين لم يكتمل وأنه بحاجة إلى مزيد.

---

([1]) سورة : المائدة (٣).

قال رحمه الله:

(وقالَ عمرُ بنُ عبدِ العزيزِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ كلامًا معناهُ: "قِفْ حيثُ وَقَفَ القومُ، فَإِنَّهُم عَــنْ عِلْــمٍ وَقَفُوا، وببَصَرٍ نافِذٍ كَفُّوا، ولَهُمْ عَلَى كَشْفِها كانوا أَقْوَى، وبالفَضْلِ لوْ كانَ فيها أَحْرَى، فَلَئِنْ قُلْتُمْ: حَدَثَ بَعْدَهُم. فَمَا أَحْدَثَهُ إلا مَنْ خَالَفَ هَدْيَهُمْ، وَرَغِبَ عَنْ سُنَّتِهِمْ، ولقَدْ وَصَفُوا مِنْهُ مــا يَشْــفِي، وتَكَلَّمُوا مِنْه بما يَكْفي، فَما فَوْقَهُم مُحَسِّرٌ، وما دونهم مُقَصِّرٌ، لَقَدْ قَصَّرَ[1] عَــنْهُم قَــوْمٌ فَجَفَــوْا، وَتَجاوَزَهُمْ آخَرُون فَغَلَوْا، وإِنَّهُمْ فِيما بَيْنَ ذَلِكَ لَعَلَى هُدًى مستقيمٍ".

وقالَ الإمامُ أبو عمْرٍو الأوزاعيُّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: "عليْكَ بآثارِ مَنْ سَلَفَ وإنْ رَفَضَكَ النّاسُ، وإيّاك وآراءَ الرِّجالِ وإنْ زَخْرَفُوهُ لَكَ بالقوْلِ".

وقالَ محمدُ بنُ عبدِ الرحمنِ الأَذْرَمِيُّ لرَجُلٍ تكَلَّمَ ببدْعَةٍ وَدَعَا الناسَ إليها: هَلْ عَلِمَهَا رســولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأبو بكْرٍ وعمرُ وعثمانُ وعليٌّ أوْ لَم يعلموها؟ قال: لَم يعلَموها، قال: فَشَيْءٌ لَم يعلَمْه هؤلاء أَعلِمْتَهُ أنتَ؟ قال الرَّجلُ: فإنّي أقولُ: قدْ علِمُوها، قال: أَفَوَسِعَهُمْ أنْ لا يتَكَلَّمُوا به ولا يدْعُوا الناسَ إليه، أمْ لَم يَسَعْهُمْ؟ قال: بلى وَسِعهُمْ، قال: فَشَيْءٌ وَسِعَ رسولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وخلفاءَه، لا يَسَعُكَ أنتَ؟ فانْقَطَعَ الرَّجلُ، فقال الخليفةُ، وكان حاضِراً: لا وَسَّعَ اللهُ على مَنْ لَم يَسَعْهُ ما وَسِعَهُمْ) .

هذه النّقول عن الأئمة رحمهم الله فيها تقرير ما تقدم من وجوب الوقوف في النصوص على ما كان عليه سلف الأمة رحمهم الله.

يقول عمر بن عبد العزيز رحمه الله كلاماً معناه: (قِفْ حيثُ وَقَفَ القومُ) القوم المراد بهم سلف الأمة وما كان عليه صحابة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، (فَإِنَّهُم عَنْ عِلْمٍ وَقَفُوا) وهذا فيه الرد على الذين يقولون: إن طريق السلف أسلم وطريق الخلف أعلم وأحكم.

طريق السلف أعلم وأحكم وأسلم، وأما طريق الخلف فليس فيه علم ولا سلامة ولا حكمة؛ بل هو مخالف لما كان عليه سبيل الأقدمين من السلف الصالحين.

(1) ويمكن شكلها: قَصُرَ.

يقول رحمه الله: (**فَإِنَّهُم عَنْ عِلْمٍ وَقَفُوا**) أي لم يقفوا عجزاً ولا كما يزعمون اشتغالاً بالجهاد ونشر الدين إنما وقفوا عن علم، فوقوفهم وقوف بصيرة وليس وقوف عجز أو انشغال.

(**وبِبَصَرٍ نافِذٍ كَفُّوا**) أي ببصر بعيد النظر، كفوا عن التعرض للصفات بطلب كيفياتها وتحريفها عن ما دلت عليه النصوص.

(**وَلَهُمْ عَلَى كَشْفِها كانوا أَقْوَى، وبالفَضْلِ لوْ كانَ فيها أَحْرَى**) يعني هم من القدرة والمكانة والقوة ما يتمكّنون به من كشف معاني تلك النصوص وبيان كيفياتها لو كان ذلك خيراً ولو كان ذلك فضلاً؛ لكنهم أعرضوا عن ذلك لأنهم يعلمون أنه لا سبيل إلى علم ذلك: هم أهل اللسان، هم شهدوا التتريل، هم الذين تلقوا عن الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فلما أعرضوا دل ذلك على أن إعراضهم هو الصواب وهو الصحيح.

(**فَلَئِنْ قُلْتُمْ: حَدَثَ بَعْدَهُم. فَمَا أَحْدَثَهُ إلا مَنْ خَالَفَ هَدْيَهُمْ، وَرَغِبَ عَنْ سُنَّتِهِمْ، ولقَدْ وَصَفُوا مِنْهُ ما يَشْفِي، وتَكَلَّمُوا مِنْه بما يَكْفي**) فالواجب الاقتصار على ما كانوا عليه.

(**فَما فَوْقَهُم مُحَسِّرٌ، وما دونهم مُقَصِّرٌ، لَقَدْ قَصَّرَ عَنْهُم قَوْمٌ فَجَفَوْا، وَتَجاوَزَهُمْ آخَرُون فَغَلَوْا، وإِنَّهُمْ فِيما بَيْنَ ذَلِكَ لَعَلَى هُدًى مستقيمٍ**) فالواجب لزوم طريقهم.

كذا ما نقله رحمه الله عن الأوزاعي، كذا ما نقله عن الأدرمي في المناظرة، فالواجب على المؤمن أن يقف حيث وقف أولئك، وقد أحسن الخليفة لما قال: (**لا وَسَّعَ اللهُ على مَنْ لَم يَسَعْهُ ما وَسِعَهُمْ**) . كما قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((**عَلَيْكُم بِسُنّتِي وَسُنّةِ الْخُلَفَاء الرّاشِدِينَ الَمهْدِيّينَ مِنْ بَعْدِي، عَضّوا عَلَيْهَا بِالنّوَاجِذِ**)).[1]

يقول:

(**وهكذا مَنْ لَم يَسَعْهُ ما وَسِعَ رسولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابَه والتَّابعين لَهُم بإحسانٍ، والأئمةَ مِنْ بَعْدِهِمْ، والرّاسِخين في العِلْم، مِنْ تِلاوَةِ آياتِ الصِّفاتِ وقِراءَةِ أخْبارِها، وإِمْرارِها كما جاءَت، فلا وَسَّعَ اللهُ عليه**) .

هـٰذا فيه ما تقدم ونقف على هـٰذا، والله تعالىٰ أعلم وصلى الله وسلم على نبينا محمد.

---

([1]) تم تخريجه في الصفحة: (٢).

بهذا يكون المؤلف انتهى من المقدمة، يبدأ بعد هذا بذكر شيء من الصفات نسأل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى العلم النافع والعمل الصالح.

ﭽﭽ◈ﭼﭼ

# شرح لمعة الاعتقاد

# الهادي إلى سبيل الرشاد

لموفق الدّين بن قدامة المقدسي رحمه الله

لفضيلة الشيخ

خالد بن عبد الله المصلح

الدرس الثالث

www.almosleh.com

## بسم الله الرحمن الرحيم

قال الإمام موفق الدِّين أبو محمد عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي رحمه الله تعالى:

**(فمِمَّا جاءَ مِنْ آياتِ الصِّفاتِ قولُ اللهِ عزّ وجل: ﴿وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ﴾، [1] وقولُه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾،[2] وقولُهُ تعالىٰ إخبارًا عنْ عيسى عليه السلامُ أنَّه قال: ﴿تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ﴾،[3] وقولُه سُبْحَانَهُ: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ﴾،[4] وقولُه تعالىٰ: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ أَن يَأْتِيَهُمُ اللّهُ﴾،[5] وقولُه: ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾.[6]**

**وقولُه تعالىٰ: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾،[7] وقولُه تعالىٰ في الكفّار: ﴿غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾،[8] وقولُه تعالىٰ: ﴿اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ﴾،[9] وقولُه تعالىٰ: ﴿كَرِهَ اللَّهُ انْبِعَاثَهُمْ﴾[10]).**

بسم الله الرحمـٰـن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وأصلّي وأسلم على المبعوث رحمة للعالمين نبينا محمد وعلى آله وأصحابه ومن اتّبع سنته بإحسان إلىٰ يوم الدين.

أما بعدُ:

ففي هذا المقطع الذي سمعناه ذكر المؤلف رحمه الله عدداً من آيات الصفات التي ذكر الله جل وعلا فيها شيئاً من صفاته، يقول المؤلف رحمه الله بعد أن فرغ من المقدمة التي بين فيها سبيل أهل السنة

---

[1] سورة : الرحمـٰـن (٢٧).

[2] سورة : المائدة (٦٤).

[3] سورة : المائدة (١١٦).

[4] سورة : الفجر (٢٢).

[5] سورة : البقرة (٢١٠).

[6] سورة : المائدة (١١٩).

[7] سورة : المائدة (٥٤).

[8] سورة : الفتح (٦)، المجادلة (١٤)، الممتحنة (١٣).

[9] سورة : محمد (٢٨).

[10] سورة: التوبة (٤٦).

والجماعة في صفات الله عز وجل في آيات الصفات وأحاديثها قال رحمه الله: (**فمِمَّا جاءَ مِنْ آياتِ الصِّفاتِ قولُ الله عزّ وجل: ﴿وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ﴾**[1]) إلى آخر ما ذكر.

المؤلف رحمه الله الملاحظ فيما ذكره من آيات الصفات وفيما ذكره من أحاديثها أنه أتى بالآيات المتضمنة للصِّفات التي وقع فيها مخالفة لأهل السنة والجماعة، لطريق السلف الصالح؛ فإنه لم يذكر الصفات التي يثبتها مثبتة الصفات.

الناس من حيث إثبات الصفات ينقسمون في الجملة إلى قسمين:

قسم ينفي الصفات وهؤلاء هم المعطلة.

وقسم يثبت الصفات في الجملة وهؤلاء أقسام:

منهم- وهم أفضل الأمة وخيرها وأوفقها لطريق النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- الذين يثبتون ما أثبته الله لنفسه في كتابه أو أثبته له رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في سنته من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكييف ولا تمثيل.

القسم الثاني: هم الذين يثبتون بعض الصفات وينفون بعضها، وهؤلاء يسمون أو يطلق عليهم (مثبتة الصفات)؛ لأنهم يثبتونها في الجملة، وإن كانوا يخالفون أهل السنة والجماعة في إثبات كثير من الصفات حيث لا يثبتونها، ويخالفونهم أيضاً فيما يثبتون حيث إنهم لا يثبتونه على الوجه الذي أثبته الصحابة رضي الله عنهم وسلف الأمة الصالح، ومن هؤلاء: الأشاعرة، ومنهم الماتريدية والكلابية، هؤلاء يثبتون الصفات.

هناك طائفة غلت في إثبات الصفات وهم الممثلة الذين يثبتون الصفات ويقولون: هي مثل صفات المخلوقين، فهؤلاء من مثبتة الصفات؛ لكنهم غلوا في الإثبات.

المؤلف رحمه الله ذكر آيات الصفات وأحاديث الصفات التي خالف فيها مثبتة الصفات؛ يعني التي خالف فيها الأشاعرة والماتريدية والكلابية وأشباهُهم، فبحثه ليس مع الذين نفوا الصفات بالكلية؛ لأن أولئك البحث معهم ينحو منحى آخر فيحتاجون إلى أن يناقشوا في أصل النفي أما هؤلاء فمعهم شيء من الحق وهو فيما أثبتوه من الصفات؛ ولكنهم أخطؤوا في ما أولوه من الصفات، فنحتاج إلى أن

[1] سورة: الرحمن (٢٧).

نقول لهم: إنه يلزمكم فيما أثبتم من الصفات نظير ما نفيتم، نظير ما فررتم منه فيما نفيتم، فإما أن تثبتوا الجميع وإما أن تنفوا الجميع.

مقصودي من هذا الكلام أن نعرف لماذا ذكر المؤلف رحمه الله هذه الآيات وهذه الأحاديث المتضمنة للصفات الخبرية والصفات الفعلية، و لم يذكر شيئاً من الصفات المعنوية الذاتية، كصفة السمع والبصر والعلم والقدرة والحياة والكلام.

فالجواب أن المؤلف رحمه الله أراد إثبات ما نفاه وتأخر عن إثباته مثبتة الصفات كالأشاعرة والماتريدية والكلابية.

ذكر أولاً فيما ذكر من آيات الصفات صفة الوجه، وصفة الوجه صفة ثابتة لله عز وجل بالكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة، دليل ذلك ما ذكره المؤلف رحمه الله في قوله: ﴿وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ (٢٧)﴾،[١] حيث أثبت الله جل وعلا لنفسه وجهاً، وأضافه إليه، والأصل فيما أضيف إلى الله عز وجل أنه إذا كان لا يقوم بنفسه أن يكون صفةً لله عز وجل؛ لأن المضاف إلى الله عز وجل نوعان: [٢]

- إما إضافة أعيان تقوم بنفسها وتستقل.
- وإما إضافة ما لا يقوم بنفسه ولا يستقل.

مثال الأول إضافة الناقة لله عز وجل كما في قوله تعالى: ﴿نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا (١٣)﴾،[٣] فالناقة عين مستقلة قائمة بذاتها أو لا؟ قائمة، الناقة عين قائمة، فإضافتها إلى الله عز وجل إضافة تشريف وتكريم.

---

[١] سورة : الرحمـٰن (٢٧).

[٢] يمكن تلخيص ذلك في أن ما يُضاف إلى الله جل وعلا –**وهذه قاعدة**–:

- تارة يكون معنًى. مثل: رضا الله، رحمة الله، كلام الله، ونحو ذلك.
- وتارة يكون ذاتاً. وإذا كان ذاتاً:
  - فتارة تكون ذاتاً تقوم بنفسها. مثل: ناقة الله، بيت الله، فهذه إضافة تشريف، يعني إضافة مخلوق لله للتشريف والتعظيم.
  - وتارة تكون ذاتاً لا تقوم بنفسها. مثل: يد الله، وجه الله، ساق الله، فهذه صفات لله فهي إذاً غير مخلوقة.

ملخصة من شرح الشيخ صالح آل الشيخ على لمعة الاعتقاد لموفق الدين ابن قدامة المقدسي.

[٣] سورة : الشمس (١٣).

ومثله أيضاً: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَا﴾[1]

فقوله: ﴿بِعَبْدِهِ﴾ فهذا إضافة تشريف.

ومثلها أيضاً قوله تعالىٰ: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَاجِدَ اللّهِ﴾[2] فالإضافة هنا إضافة تشريف.

والملاحظ في جميع هذه الأنواع من الإضافات أنها إضافة أعيان مستقلة قائمة.

أما إذا كان المضاف لا يستقل ولا يقوم بنفسه فإنها تكون إضافة صفات، ومنه قوله تعالى: ﴿وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلالِ وَالإِكْرَامِ (٢٧)﴾،[3] فالوجه لا يقوم بنفسه مستقلاً؛ بل لا بد أن يكون قائماً بعين، وكذلك اليد، وكذلك سائر الأمور المعنوية التي أضافها الله عز وجل لنفسه.

والوجه يسميه العلماء صفة خبرية[4]، في تصنيف الصفات يصنفونه ويجعلونه من جملة الصفات الخبرية، حيث إنهم يجعلون الصفات أقساماً.

وهذا التقسيم ليس من كلام السلف؛ يعني إذا طلبت في كلام الصحابة والتابعين صفة خبرية، صفة ذاتية، صفة فعلية، ما تجد؛ لكنه اصطلاح حادث دعت الحاجة إليه، فلذلك قبله أهل العلم واستعملوه.

الصفات الخبرية ما هي؟ الصفات الخبرية هي الصفات التي لا يستقل العقل بإثباتها؛ يعني هي الصفات التي لا يمكن أن يتوصل إليها إثباتاً من طريق العقل؛ بل لا بد من السمع؛ يعني لا بد من نقل، لا بد من نص، لا بد من وحي، في إثباتها.

---

(1) سورة : الإسراء (١).

(2) سورة : البقرة (١١٤).

(3) سورة : الرحمـٰن (٢٧).

(4) هو من الصفات الذاتية الخبرية، التي تقابلها الصفات الذاتية المعنوية من وجه.

وبهذا تكون الصفات تنقسم إلىٰ قسمين:

**القسم الأول**: الصفات الذاتية: وهي الصفات التي لم يزل ولا يزال يتصف بها. والذاتية بدورها تنقسم إلىٰ قسمين:

الأول: خبرية: وهي التي مسماها بالنسبة إلينا أجزاء وأبعاض مثل الوجه والعين، لكن بالنسبة لله عز وجل لا يجوز أن نقول: إنها بعض من الله.

الثاني: معنوية مثل الحياة، الحلم.

**القسم الثاني**: الصفات الفعلية: وهي الأفعال الاختيارية. وكل صفة مقرونة بسبب هي صفة فعلية. مثل المجيء، الإتيان وغيرهما.

والله أعلم. ملخصة من شروح الشيخ ابن عثيمين رحمه الله والشيخ صالح آل الشيخ حفظه الله.

فلو أن أحداً قال لك: أثبت لله وجهاً بالعقل، ما تمكنت؛ لأن العقل لا يستقل بمعرفة الغيبيات، ولذلك سمى العلماء رحمهم الله هذا النوع من الصفات: بالصفات السمعية أو الصفات الخبرية، معنى السمعية يعني التي جاءت بالسمع –الكتاب والسنة–، معنى الخبرية يعني التي جاء بها الخبر في كلام الله أو في كلام رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

النوع الثاني من أنواع الصفات: الصفات الذاتية، وهي الصفات التي يتصف الله عز وجل بها أزلاً وأبداً، أزلاً يعني في القدم وأبداً يعني في المستقبل فهو لا ينفك عنها سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

مثاله: الحياة، فإنه متصف بها جل وعلا أزلاً وأبداً، الدليل قوله الله تعالى: ﴿هُوَ الأَوَّلُ وَالآخِرُ﴾[1] الأول الذي ليس قبله شيء، والآخر الذي ليس بعده شيء، هذه صفة من صفاته الذاتية، ومعنى الذاتية يعني التي لا ينفك عن الاتصاف بها، فهو متصف بها دائماً أزلاً و أبداً واضح؟ واضح يا إخواني؟ طيب.

مثاله أيضاً: القيوم، مثاله الحي السميع البصير المتكلم القادر العليم، كل هذه من الصفات التي تسمى الصفات الذاتية.

القسم الثالث: الصفات الفعلية، وهي الصفات التي تتعلق بمشيئة الله عز وجل؛ يعني الصفات التي لا يتصف بها إلا متى شاء، كرضاه وغضبه ونزوله جل وعلا إلى السماء الدنيا، واستوائه على العرش، وما أشبه ذلك من الصفات. فهذه الصفات تسمى صفات فعلية.

لماذا تسمى صفات فعلية؟ لأنها متعلقة بالمشيئة ويسميها بعض العلماء الصفات الاختيارية؛ لأنها متعلقة بالاختيار والمشيئة.

الذي بحثه المؤلف رحمه الله من هذه الأنواع أو ذكر له أمثلة في الآيات التي ذكرها الصفات الفعلية والصفات الخبرية لأنه هي التي وقع فيها الخلاف بين أهل السنة والجماعة وبين غيرهم.

الوجه صفة خبرية ثبتت بالخبر، وأثبتها أهل السنة والجماعة، أما أهل التعطيل وأهل التأويل فإنهم نفوا هذه الصفة وقالوا: لا نثبت لله وجهاً. والمراد بالوجه هنا الأجر والثواب قالوا: ﴿وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ﴾[2] أي يبقى ما قُصد به الله، وهذا صرف للفظ عن ظاهره من دون مرجح فهو من التحريف الباطل الذي يسميه أهله تأويلاً.

---

(1) سورة : الحديد (٣).
(2) سورة : الرحمـٰن (٢٧).

إذاً الصفة الأولى التي ذكرها المؤلف رحمه الله قوله تعالى: ﴿وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلالِ وَالإِكْرَامِ (٢٧)﴾،[1] وهذه الآية من أقوى الآيات التي يُثبت بها أهل السنة والجماعة الوجه لله عز وجل؛ وذلك أن الله سبحانه وتعالى وصف وجهه بصفتين ﴿ذُو الْجَلالِ وَالإِكْرَامِ﴾ ومثل هذا لا يسوغ أن يوصف به الأجر والثواب؛ لأن الأجر لا يوصف بأنه ذو جلال وذو إكرام، إنما الذي يوصف بهذا الوصف هو الله جل وعلا، ولذلك ذكر المؤلف رحمه الله هذه الآية لكونها من أصلح الآيات في إثبات صفة الوجه لله عز وجل.

ثم ذكر رحمه الله: (وقوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾[2]) وهذا فيه إثبات صفة اليدين لله عز وجل، واليدان صفة للرب جل وعلا دل عليها الكتاب والسنة وأجمع عليها سلف الأمة، وهما يدان اثنتان كما دل عليهما قوله تعالى: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾.

وقد جاء ذكر هذه الصفة في القرآن بعدة صيغ وعلى عدة أوجه: فجاءت مفردة، وجاءت مثناة، وجاءت مجموعة:

- جاءت مفردة كقوله تعالىٰ: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللّهِ مَغْلُولَةٌ﴾.[3]
- جاءت مثناة: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾.
- جاءت مجموعة: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا﴾.[4]

أما الآية التي ذكرها أخونا وهي: ﴿وَالسَّمَاء بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ﴾[5] فالأيد هنا ليست جمع يد، الأيد هنا القوة، من أَيِد إذا قوي. فهذا لا يصلح شاهداً. إنما ما جاء مجموعاً في مثل قوله تعالىٰ: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا﴾.[6]

فهل فيه تعارض بين الإفراد والجمع والتثنية؟

---

[1] سورة : الرحمـٰـن (٢٧).
[2] سورة : المائدة (٦٤).
[3] سورة : المائدة (٦٤).
[4] سورة : يس (٧١).
[5] سورة : الذاريات (٤٧).
[6] سورة : يس (٧١).

الجواب: لا تعارض، الدليل على أنه لا تعارض قول الله تعالىٰ: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلاَفًا كَثِيرًا (٨٢)﴾[1] فلا يمكن أن يكون في كلام الله عز وجل تعارض أو تضارب إنما التعارض والتضارب الذي يرد في النصوص إنما هو من قبل الناظر لا من قبل النص فالنص ليس فيه تعارض بل هو محكم كما قال الله تعالى: ﴿كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ (١)﴾،[2] وكما قال الله تعالىٰ: ﴿لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ (٤٢)﴾[3] ﴿حَكِيمٍ﴾ يعني مُحْكِم فقد أحكم جل وعلا هذا الكتاب وهو محمود عليه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى؛ لأنه أحكمه وأتقنه ولذلك قال: ﴿تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ إذاً لا تعارض بين الإفراد والتثنية والجمع.

فهل نقول: لله يد، أو نقول: لله أيدٍ، أو لله يدان؟

**الجواب:** أن لله يدين، أن لله جل وعلا يدين لا أكثر؛ لأن الله جل وعلا ذكر صفة يديه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى مثناة، والتثنية من أسماء الأعداد، وأسماء الأعداد لا يراد بها إلا العدد المذكور.

فإذا قال: جاء خمسة لا يمكن أن نقول هذا ستة في لسان العرب، وإذا قال قائل: أعطيته عشرة ما يمكن أن يقول: لا هو يريد تسعة أو يريد أحد عشر؛ لأن أسماء الأعداد نصوص لا تقبل الزيادة ولا النقص. طيب.

هل تعارض التثنية الإفراد والجمع؟

الجواب: لا، ما تعارض، لماذا لا تعارض؟

لأن الإفراد:

- جاء ويراد به الجنس، يراد به الجنس هذا احتمال.
- الاحتمال الثاني أن يراد به مطلق اليد، ثم جاءت النصوص مبينة لليد، قال الله تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللّهِ مَغْلُولَةٌ﴾.[4] ﴿يَدُ﴾ مفرد أضافه إلى نفسه ومعلوم من قواعد اللغة أن المفرد المضاف يفيد العلوم فيصدق عليه اليد واليدان والثلاث والعشر.

---

[1] سورة : النساء (٨٢).

[2] سورة : هود (١).

[3] سورة : فصلت (٤٢).

[4] سورة : المائدة (٦٤).

إذاً الإفراد لا يعارض التثنية، ولا يعارض الجمع، لماذا لا يعارض التثنية ولا يعارض الجمع؟

لأن الإفراد يراد به الجنس يعني إثبات جنس اليد لله عز وجل دون التعرض للعدد، ويراد به أيضاً العموم حيث إنه مفرد مضاف، والمفرد المضاف يصدق عليه الواحد وما هو أكثر من الواحد.

إذاً يا إخواني الإفراد لا يعارض التثنية ولا يعارض الجمع، طيب.

الجمع هل يعارض الإفراد والتثنية؟

**الجواب:** لا يعارضهما؛ لأن الجمع يأتي للتعظيم كقوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ (٩)﴾[1] مع أن المنزل هو الله جل وعلا، فالقرآن نزل من عنده: ﴿تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ (٤٢)﴾،[2] ﴿كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ (١)﴾،[3] فهو الذي فصّل وهو الذي أنزل جل وعلا ومع ذلك أخبر عن المنزل بصيغة الجمع: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ (٩)﴾ فالجمع هنا الإتيان بصيغة الجمع في اليد فائدته التعظيم، طيب.[4]

إذاً تلخص لنا من هذا أن ما جاء في القرآن في صفة اليد مثنىً لا يعارض الإفراد ولا يعارض الجمع، وكذلك الإفراد لا يعارض لا الجمع ولا التثنية، ولا الجمع يعارض الإفراد والتثنية.

أهل الكلام قالوا: إن قوله تعالى: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾،[5] أي نعمتاه، فأوّلوا اليد وحرفوها فقالوا: هي القدرة والقوة والنعمة.

ونقول: هذا من تحريف الكلم عن مواضعه، ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ نقول: لا يمكن أن يُفهم منها غير اليد التي هي صفة الرب جل وعلا، وأما النعمة والقدرة فهذه من لوازم الصفة، فإنها من لوازم

---

(١) سورة : الحجر (٩).

(٢) سورة : فصلت (٤٢).

(٣) سورة : هود (١).

(٤) إضافة لما ذكر الشيخ من أوجه عدم معارضة الجمع للتثنية: فالجمع في قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا﴾ فهنا جمع لأن العرب من لغتها أن المثنى إذا أضيف إلى ضمير جمع أو تثنية فإنه يُجمع لأجل خفة اللفظ.

مثال ذلك قوله تعالىٰ: ﴿إِن تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾[التحريم:٤] هما امرأتان خاطبهما بقوله: ﴿إِن تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ﴾ ثم قال: ﴿فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾، والمرأتان لهما قلبان؛ كل واحدة لها قلب واحد، فإذا كان كذلك فلم جمع؟ الجواب: لأن هذا من سَنن لسان العرب؛ أنه إذا أضيف المثنى إلى ضمير تثنية أو جمع فإنه يجوز جمعه طلباً لخفة اللفظ.

(٥) سورة : المائدة (٦٤).

الصفة لكن لا يمكن أن نفسر الكلام بلوازمه ونترك ما دل عليه في الأصل؛ يعني نترك المعنى الأصلي ونذهب إلى اللوازم؛ بل نثبت المعنى الأصلي ونثبت ما يلزم عن هذا اللفظ من اللوازم الصحيحة، ولا يمكن أن يلزم عن كلام الله عز وجل أو كلام رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ معنى باطل بوجه من الوجوه.

إذاً ثاني ما ذكر المؤلف رحمه الله من الصفات صفة اليدين لله عز وجل: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾.[1]

ثم قال رحمه الله: (**وقولُهُ تعالىٰ إخْبارًا عنْ عيسى عليه السلامُ أنَّه قال: ﴿تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ﴾**،[2]) هذا فيه إثبات أن الله جل وعلا له نفس وأنه أضاف إليه النفس فالنفس صفة من صفاته سبحانه وبحمده، وذلك لقوله: ﴿وَلا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ﴾.

لماذا قلنا: إنها صفة من صفاته، و لم نقل الإضافة هنا إضافة تشريف؟ الله هنا أضاف النفس إليه فقال: ﴿نَفْسِي﴾[3] الإضافة هنا ما نوعها؟

نحن ذكرنا أن الإضافة نوعان:

- إما إضافة تشريف وخلق.
- وإما إضافة صفة.

هذه من إضافة الصفات أو من إضافة التشريف؟ من إضافة الصفات، دليل ذلك أن النفس لا تقوم إلا بعين، فلما أضافها إلى نفسه جل وعلا دل ذلك على أنها صفته.

واعلم أن النفس اختلف فيها العلماء رحمهم الله على قولين، من أهل السنة والجماعة اختلفوا فيها على قولين:

- منهم من قال: إن النفس غير الذات؛ صفة زائدة غير الذات، كالسمع والبصر.
- ومنهم من قال: إن النفس هي الذات.

وهذا الثاني هو الذي عليه جمهور أهل العلم من أهل السنة؛ الذي أضيف إلى الله هو قوله: ﴿وَلا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ﴾ عيسى يقول للرب جل وعلا: ﴿تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ﴾،[1] تعلم الذي عندي ولا أعلم الذي عندك فالنفس هنا هي ذاته جل وعلا.

---

(1) سورة : المائدة (٦٤).

(2) سورة : المائدة (١١٦).

(3) قوله: ﴿نَفْسِي﴾ هنا هي نفس عيسىٰ و قوله: ﴿نَفْسِكَ﴾ هي نفس الله جل وعلا.

قال: (**وقولُه سُبْحَانَهُ: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ﴾**[2]) انتقل المؤلف رحمه الله إلى ذكر الصفات الفعلية الاختيارية، فذكر صفة المجيء لله عز وجل.

واعلم أن الصفات الفعلية الاختيارية ينكرها غير أهل السنة والجماعة، ويؤولونها بمجيء الأمر أو بمجيء الرحمة، يؤولونها بشيء من مخلوقات الله عز وجل، ولا يقولون: إنها من صفاته.

لماذا؟ يقولون: لأن إثبات الصفات الفعلية يلزم منه أن تقوم به الحوادث، أن تقوم بالله عز وجل الحوادث، وقيام الحوادث بالأعيان يدل على أنها حادثة، هكذا زعموا في إبطال ما دلت عليه النصوص من إثبات صفات الفعل.

والصحيح أننا نثبت هذه الصفة لله عز وجل، ولا نقول ما يقوله هؤلاء من أنه جل وعلا حادث؛ بل هو الأول الذي ليس قبله شيء، والآخر الذي ليس بعده شيء، وكل من أبطل شيئاً من هذا فقد أبطل ما دلت عليه النصوص من أن الله فعال لما يريد كما قال جل وعلا في إثبات صفة الفعل قال: **﴿ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ (١٥) فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ (١٦)﴾**،[3] وأتى بذكر صفة الفعل على صيغة وزن المبالغة للدلالة على كثرة فعله سبحانه وبحمده، فصفات الفعل يثبتها أهل السنة والجماعة؛ لأن الله أثبتها لنفسه في كتابه وأثبتها له رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وعلى هذا سار وأجمع سلف الأمة، لم يقل أحد من الصحابة ولا من التابعين ولا من أئمة المسلمين: إن قوله تعالىٰ: **﴿وَجَآءَ رَبُّكَ﴾**،[4] أي جاء أمره. ولا قال: **﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ أَن يَأْتِيَهُمُ اللّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمَامِ وَالْمَلآئِكَةُ﴾**[5] أن الذي يأتي الأمر أو الذي يأتي الملائكة ولا يأتي الله جل وعلا، فإن هذا تكذيب للقرآن؛ بل الواجب إثبات صفات الفعل لله عز وجل كما أثبتها لنفسه في قوله: **﴿وَجَآءَ رَبُّكَ﴾**،[6] وكما قال: **﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ أَن يَأْتِيَهُمُ اللّهُ فِي**

=

(1) سورة : المائدة (١١٦).

(2) سورة : الفجر (٢٢).

(3) سورة : البروج (١٥-١٦).

(4) سورة : الفجر (٢٢).

(5) سورة : البقرة (٢١٠).

(6) سورة : الفجر (٢٢).

ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمَامِ وَالْمَلآئِكَةُ﴾ يعني ويأتي الملائكة، كما قال الله تعالى: ﴿وَجَاء رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا (٢٢)﴾[١]. فالمجيء والإتيان له سبحانه وبحمده يفعله متى شاء كيف شاء جل وعلا.

قال: (**وقولُه: ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾.**[٢]) هذا فيه إثبات صفة الرضا لله عز وجل، والرضا معناه القبول والمحبة للفعل.

وأهل الكلام يؤولون الرضا بالثواب فيقولون: ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾. أي أثابهم، فرضاه ثوابه أو إرادة ثوابه.

كذلك وقوله: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾[٣]. فيه إثبات صفة المحبة لله عز وجل، وأنه يحب. والمحبة صفة ما نوعها ؟ صفة فعلية اختيارية؛ لأنه يحب من يشاء متى شاء، وهو وصف معلق بمشيئة الله فهو يحب من يحب ويبغض من يبغض جل وعلا.

قال: (**وقولُه تعالىٰ في الكفّارِ: ﴿غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾**[٤]) هذا فيه إثبات الغضب لله عز وجل وهو صفة فعلية أيضاً.

قال: (**وقولُه تعالىٰ: ﴿اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ﴾**[٥]) الشاهد إثبات صفة السخط له سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى. والسخط والغضب معناهما متقارب، وهما صفتان ثابتتان لله عز وجل بالكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة.

قال: (**وقولُه تعالىٰ: ﴿كَرِهَ اللَّهُ انْبِعَاثَهُمْ﴾**[٦]) فيه إثبات صفة الكره لله جل وعلا.

وهذه الصفات الفعلية لا يلزم عليها أي لازم باطل؛ بل هي صفات كمال؛ لأن من كمال الشيء أن يغضب إذا جاء موجب الغضب، وأن يسخط إذا جاء موجب يعني سبب السخط وأن يكره إذا جاء موجب وسبب الكره والسخط.

قال بعد ذلك في ذكر ما جاء من الصفات في السنة.

---

[١] سورة : الفجر (٢٢).
[٢] سورة : المائدة (١١٩).
[٣] سورة : المائدة (٥٤).
[٤] سورة : الفتح (٦)، المجادلة (١٤)، الممتحنة (١٣).
[٥] سورة : محمد (٢٨).
[٦] سورة: التوبة (٤٦).

(ومِنَ السُّنَّةِ قَوْلُ النبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((يَنزِلُ ربُّنا تباركَ وتعالى كلّ ليلةٍ إلى سماءِ الدّنيا)).[1] وقولُه: ((يَعْجَبُ ربُّكَ مِنَ الشَّابِّ لَيْسَتْ لَهُ صَبْوَةٌ))،[2]

وقولُه: ((يَضحَكُ اللهُ إلى رجُلَين قَتَلَ أحدُهما الآخرَ ثم يَدخُلانِ الجنّة)).[3]

فهذا وما أشْبَهَهُ مِمّا صَحَّ سَنَدُهُ، وعُدِّلَت رُواتُه، نُؤْمِنُ بِهِ، ولا نَرُدُّهُ، ولا نَجْحَدُهُ، ولا نَتَأَوَّلُهُ بتَأْوِيلٍ يُخالِفُ ظاهِرَه، ولا نُشَبِّهُهُ بصفاتِ المخلوقين، ولا بِسماتِ المُحْدَثِينَ، ونعلَمُ أنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لا شبيهَ لَهُ، ولا نظيرَ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ﴾،[4] وكلُّ ما تخيّل في الذِّهْنِ أوْ خطَرَ بالبَالِ، فإنَّ اللهَ تعالى بخلافِه) .

يقول رحمه الله في ذكر ما جاء في السنة من الصفات: (ومِنَ السُّنَّةِ قَوْلُ النبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((يَنزِلُ ربُّنا تباركَ وتعالى كلّ ليلةٍ إلى سماءِ الدّنيا))) وهذا الحديث في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وفيه الخبر عن صفة من صفات الله عز وجل وهي نزوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى كل ليلة إلى السماء الدنيا. وهذا من أي أنواع الصفات؟ من الصفات الفعلية؛ لأنه يقع بمشيئته واختياره سبحانه وبحمده، ونزوله نزول حقيقي لا تقل كيف ينزل، ولا يشكل عليه ماهية ذلك وحقيقته وكنهه، فإنك لم تكلف بذلك، إنما كلفت بأن تؤمن بما أخبر الله به عن نفسه وأخبر به رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عنه.

ومن أوّل النزول بغير ما دلّ عليه ظاهر النص من أنه نزول الرحمة هم يقولون: ينزل ربك يعني تنزل رحمته أو ينزل ملك من الملائكة، وهذا غلط كبير وتحريف خطير للنص؛ لأن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: ((ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا فيقول: هل من داعٍ فأجيبه؟ هل من سائل

---

(1) **البخاري**: كتاب التهجد، باب الدعاء في الصلاة من آخر الليل..، حديث رقم (١١٤٥).
**مسلم**: كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب الترغيب في الدعاء والذكر في آخر الليل.. حديث رقم (٧٥٨).

(2) أورده الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة برقم (٢٨٤٣). وذكر أنه رواه الروياني في مسنده والإمام أحمد وأبو يعلى وغيرهم.
وقال علي حسن في الشريط الثاني الوجه الأول من أشرطة لمعة الاعتقاد: كان شيخنا الألباني يضعفه ثم من ثلاث أو أربع سنوات وقف له على بعض الشواهد التي تحسنه فمن رأى في أحد مؤلفات شيخنا أنه يضعف هـٰذا الحديث فليضرب على ذلك ويكتب بجانبه حديث ثابت أو حديث حسن.

(3) **البخاري**: كتاب الجهاد والسير، باب الكافر يقتل المسلم..، حديث رقم (٢٨٢٦).
**مسلم**: كتاب الإمارة، باب بيان الرجلين يقتل أحدهما الآخر يدخلان الجنة، حديث رقم (١٨٩٠).

(4) سورة : الشورى (١١).

**فأعطيه؟ هل من مستغفر فأغفر له؟))**.[1] هل يسوغ أن يقول ملك من الملائكة هذا القول؟ لا؛ لأنه لا يملك أن يجيب ولا يملك أن يغفر ولا يملك أن يعطي السائل سؤاله إلا الله جل وعلا. والرحمة لا يمكن أن تقول هذا ولا أن تفعله.

فهذا نزول مضاف إلى الله جل وعلا نؤمن به، ونتعبد الله به أن نتعرض لرحمته ونفحاته في مثل هذه الساعات وفي مثل هذه الأوقات.

ثاني ما ذكر من أحاديث الصفات ما رواه الإمام أحمد من حديث عقبة بن عامر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وفيه قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **((يَعْجَبُ رَبُّكَ مِنَ الشَّابِّ لَيْسَتْ لَهُ صَبْوَةٌ))**، (**يَعْجَبُ**) فيه إثبات صفة العَجَب لله عز وجل.

والعجب له سببان:

إما أن يكون العجب ناشئاً عن جهل، وهذا حاشا أن يكون من وصف الله عز وجل فهو العليم الخبير جل وعلا، أحاط بكل شيء علماً، فهو بكل شيء عليم.

ثاني أسباب العجب التعظيم لخروج الشيء عن نظائره مع عدم سبق جهل أو عدم علم، وهذا هو الذي يوصف به الله عز وجل.

فمعنى يعجب أي يُعَظِّم هذه الحال لخروجها عن نظائرها، وقد جاء إثبات العجب لله عز وجل في الكتاب في قوله تعالى: ﴿**بَلْ عَجِبْتُ وَيَسْخَرُونَ (١٢)**﴾[2] في القراءة السبعية، والقراءة الأخرى: ﴿**بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ (١٢)**﴾ لكن القراءة التي فيها إضافة العجب إلى نفسه هي التي يستدل بها أهل السنة والجماعة على إثبات صفة العجب لله عز وجل من القرآن.

فقوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **((يَعْجَبُ رَبُّكَ))** هل هذا عجب ناشئ عن جهل وعدم علم؟ الجواب: لا، تعالى الله عن ذلك؛ إنما هو عجب ناشئ عن تعظيم ومحبة وإجلال هذه الحال.

**((يَعْجَبُ رَبُّكَ مِنَ الشَّابِّ))** الشاب هو الناشئ وهو من بلغ الحلم واختلفوا في منتهاه قيل: إلى الثلاثين وقيل: إلى الأربعين، والمقصود فورة الشباب وقت خفة العقل وسفه الحلم، **((يَعْجَبُ رَبُّكَ مِنَ الشَّابِّ لَيْسَتْ لَهُ صَبْوَةٌ))** أي ليس له ميل إلى الهوى هذا معنى الصبوة، الصبوة هي الميل إلى الهوى،

---

([1]) تم تخريجه في الصفحة: (٢).

([2]) سورة : الصافات (١٢).

الغالب في حال الشاب أن يكون ذا صبوة أي ذا ميل إلى الهوى، لكن الإنسان إذا أحكم نفسه وعودها على الخير ورباها على البر وحبسها عن مشتهياها في مثل هذا الزمن كان ذلك من دلائل كمال دينه ورجاحة عقله؛ لأنه لا يفعل ذلك إلا عن وازع عظيم يمنعه من الميل إلى الهوى واتباع الشهوات.

هذا الحديث كما ذكرنا رواه الإمام أحمد من حديث عقبة وفي سنده عبد الله بن لهيعة رواه عنه قتيبة ابن سعيد والحديث ضعيف لضعف عبد الله بن لهيعة فإنه قد اختلط في آخره.[1]

لكن الصفة هل تبطل بهذا الضعف؟ الجواب: لا؛ لأنها جاءت في الكتاب ودلت عليها نصوص أخرى.

(**وقولُه: ((يَضحَكُ اللهُ إلى رجُلَين قَتَلَ أحدُهما الآخرَ ثم يَدخُلانِ الجنّة))**) . هذا الحديث في الصحيحين من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ((**يَضحَكُ اللهُ إلى رجُلَين**)) فيه إثبات صفة الضحك لله جل وعلا.

والضحك صفة كمال، هؤلاء الذين عطّلوا الصفات، قالوا: كيف يضحك الله، الضحك خفة، والله تعالىٰ يتعالى عن هـٰذا.

نقول: هذا جهل منكم؛ لأن الضحك ليس خفة في كل موارده، من الضحك ما هو كمال وهو الضحك عند ورود سببه الذي يدعو إليه.

ثم إن ضحك الله عز وجل ليس كضحك المخلوقين.

هٰؤلاء إنما قالوا: الضحك خفة لما مثلوا ضحك الله بضحك المخلوق.

ونحن نقول: إن ضحك الله جل وعلا ليس كضحك المخلوق؛ لأنه: ﴿**لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ**﴾[2] فليس كمثله شيء في شيء من صفاته سبحانه وبحمده.

---

(1) **قال الشيخ الألباني رحمه الله في السلسلة الصحيحة تحت هـٰذا الحديث** برقم (**٢٨٤٣**): التضعيف هو الجادة في حديث ابن لهيعة؛ لكن رواه الروياني من طريق ابن وهب وهو أحد العبادلة، فصح الحديث والحمد لله.

ويمكن أن يلحق بالعبادلة قتيبة بن سعيد فقد رواه عن ابن لهيعة كما رأيت وذلك لما ذكره الذهبي في ترجمة قتيبة من سير أعلام النبلاء من رواية جعفر الفريابي: سمعت بعض أصحابنا يذكر أنه سمع قتيبة يقول: قال لي أحمد بن حنبل: أحاديثك عن ابن لهيعة صحاح. فقلت: لأننا كنا نكتب من كتاب ابن وهب ثم نسمعه من ابن لهيعة.

قلت: بل هي في ترجمة ابن لهيعة في سير أعلام النبلاء.

(2) سورة : الشورى (١١).

وقد روى الإمام أحمد وغيره في حديث أبي رزين العقيلي أن أعرابيّاً سأل النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما ذكر رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((ضحك الله جل وعلا من قنوط عباده وقرب غِيَرِه))، قال الأعرابي: أوَيضحك ربنا يا رسول الله؟ قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((نعم)). فقال الأعرابي: لا عدمنا الخير من رب يضحك[1]. فاستدل بضحك الله على كمال صفاته وقرب خيره وأن من يضحك فالخير منه قريب، والبر والإحسان منه متوقع.

وهؤلاء يقولون: لا نصف الله بالضحك؛ لأن الضحك خفة. خفت عقولهم فردوا ما دلت عليه النصوص، ولو أنهم اتبعوا سبيل السلف الصالح لما قالوا مثل هذا القول.

قال رحمه الله في بيان القاعدة العامة بعد ذكر الأمثلة قال: (**فهذا وما أشْبَهَهُ مِمّا صَحَّ سَنَدُهُ، وعُدِّلَت رُواتُه**) أي مما ثبت عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نؤمن به ولا نرده. هذا هو الواجب على كل مؤمن أن يؤمن بما دلت عليه النصوص وألا يرد على رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قوله، فإنّ من رد على النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قوله فقد رد ما يجب قبوله وعرض نفسه للفتنة. كما قال الله تعالى: ﴿ **فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٦٣)** ﴾،[2] وأي فتنة أعظم من أن يرد قول الله أو قول رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

(**نُؤْمِنُ بِهِ، ولا نَرُدُّهُ، ولا نَجْحَدُهُ، ولا نَتَأَوَّلُهُ بِتَأْوِيلٍ يُخالِفُ ظاهِرَه**):

**الرد** هنا فيما يظهر أنه الإعراض.

**والجحد** هو التكذيب مع الإيقان بصدق ما أخبر به الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

**والتأويل** هنا التحريف.

فنفى المؤلف رحمه الله عن طريق أهل السنة والجماعة التكذيب والإعراض والتحريف.

قال: (**ولا نُشَبِّهُهُ بصفاتِ المخلوقين**) أي لا نقول: إن ضحكه كضحكنا. ولا نقول: إن عجبه كعجبنا. ولا نقول: إن مجيئه كمجيئنا؛ بل الله جل وعلا ليس كمثله شيء، (**ولا نُشَبِّهُهُ بصفاتِ**

---

([1]) **سنن ابن ماجه**: كتاب المقدمة، باب فيما أنكرت الجهمية، حديث رقم (١٨١).

وأورده الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة برقم (٢٨١٠) وقال: حديث حسن.

وحسنه شيخ الإسلام ابن تيمية في العقيدة الواسطية.

([2]) سورة : النور (٦٣).

**المخلوقين، ولا بِسماتِ المُحْدَثِينَ)**؛ يعني الخلق الذين أحدثوا، **(ونعلَمُ أنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ وتَعَالَى لا شبيهَ لَهُ)** يعني لا مثيل، فنفي الشبيه هنا معناه نفي المثيل، وهذا في كلام كثير من أهل العلم ينفون الشبيه ويريدون به المثيل لا مجرد المشابهة أو لا مطلق المشابهة فإن المشابهة المطلقة ثابتة كما تقدم.

قال: **(ولا نظيرَ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ﴾**[1]).

ثم قال رحمه الله في نفي أن يصوِّر الإنسان صفات الله عز وجل أو أن يكيفها، قال: **(وكلُّ ما تُخُيِّلَ في الذِّهْنِ أوْ خَطَرَ بالبَالِ، فإنَّ اللهَ تعالى بخلافِه)** . أي على خلاف هذه الصورة التي جاءت في خلدك ودارت في بالك وتحرك بها خاطرك، فالله جل وعلا على خلاف ذلك.

هذه الجملة يمكن أن يراد بها معنى صحيح، ويمكن أن يراد بها معنى باطل قوله: **(فإنَّ اللهَ تعالى بخلافِه)** لكن مراد المؤلف هنا صحيح، مراده أن الله جل وعلا ليس كمثله شيء.

وأحسن من هذا في العبارة أن يقال: فإن الله تعالى أعظم منه وأجل من أن يكون كذلك.

ثم قال رحمه الله بعد هذا التمثيل:

**(ومِنْ ذَلكَ قولُه تعالىٰ: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾**.[2]

**وقولُه تعالىٰ: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ﴾**،[3] **وقولُ النبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((رَبَّنَا الله الّذِي في السّماءِ تَقَدّسَ اسْمُكَ))**.[4] **وقال للجاريَة: ((أيْنَ اللهُ؟))، قالتْ: في السَّماءِ قال: ((أَعْتِقْهَا فَإِنَّهَا مُؤْمِنَةٌ)). رواه مالكُ بنُ أنَسٍ ومسلمٌ وغيرُهما مِنَ الأئمة**.[5]

**وقالَ النبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِحُصَيْنٍ: ((كَمْ إلهًا تَعْبُدُ؟)) قال: سبْعةً: سِتَّةً في الأرضِ وواحِدًا في السَّماءِ، قالَ: ((مَنْ لِرَغْبَتِكَ وَرَهْبَتِكَ؟))، قالَ: الّذي في السَّماء، قالَ: ((فاتْرُكِ السِّتَّةَ وَاعْبُدِ الذِي في**

---

([1]) سورة : الشورى (١١).

([2]) سورة : طه (٥).

([3]) سورة : الملك (١٦).

([4])**سنن أبي داوود**: كتاب الطب، باب كيف الرقى؟ حديث رقم (٣٨٩٢). وحسنه شيخ الإسلام في العقيدة الواسطية.

**قال الشيخ الألباني**: ضعيف.

([5]) **مسلم**: كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب تحريم الكلام في الصلاة، حديث رقم (٥٣٧).

**السَّماءِ وَأَنَا أُعَلِّمُكَ دَعْوَتَيْن))، فَأَسْلَمَ وَعَلَّمَهُ النَّبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَقُولَ: ((اللَّهُمَّ أَلْهِمْنِي رُشْدِي وَقِنِي شَرَّ نَفْسِي)).[1]**

**وَفيمَا نُقِلَ مِنْ عَلاماتِ النبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأصحابِهِ في الكُتُبِ المتقدِّمةِ أَنَّهم يَسْجُدون بالأرْضِ، ويَزْعُمون أنَّ إلــٰـهَهمْ في السَّماءِ.**

**وَرَوَى أبو داودَ في سُننه أنَّ النبيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قالَ: ((إنَّ مَا بَيْنَ سَمَاءٍ إلَى سَمَاءٍ مَسيرَةَ كذَا وَكذَا –وذَكَرَ الخَبَرَ إلى قَوْلِهِ:– وَفَوْقَ ذَلِكَ العَرْشُ وَاللهُ سُبْحَانَهُ فَوْقَ ذَلِكَ)).[2]**

**فَهَذَا وَمَا أَشْبَهَهُ مِمَّا أَجْمَعَ السَّلَفُ رَحِمَهم اللهُ على نَقْلِهِ وقَبُولِهِ ولم يَتَعَرَّضُوا لِرَدِّهِ ولا تَأْوِيلِهِ ولا تَشْبِيهِهِ ولا تَمْثِيلِهِ.**

**سُئِلَ الإمامُ مالكُ بنُ أنسٍ رَحمه اللهُ فَقِيلَ: يا أَبَا عبدِ الله: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾[3] كيْف استوى؟ فقال: الاسْتِواءُ غيْرُ مجهولٍ، والكَيْفُ غيْرُ معْقولٍ، والإيمانُ به واجبٌ والسُّؤالُ عنْه بدعةٌ، ثُمّ أَمَرَ بالرَّجُلِ فأُخرِجَ) .**

هذا المقطع عاد فيه المؤلف رحمه الله إلى ذكر مثال من الأمثلة لصفات الله عز وجل التي جاءت في الكتاب والسنة وأثبتها سلف الأمة فذكر صفتين:

- صفة الاستواء.
- وصفة العلو.

ولاحظ يا أخي أن الاستواء والعلو صفتان مقترنتان في كلام أهل العلم كثيراً؛ وذلك أن الاستواء من أدلة العلو، السبب في الاقتران بين الاستواء والعلو أن الاستواء من أدلة العلو، وهو علو خاص.

---

(1) **سنن الترمذي**: كتاب الدعوات، باب (٧٠)، حديث رقم (٣٤٨٣). وقال: حديث حسن غريب.

**قال الشيخ الألباني**: ضعيف.

(2) **سنن أبي داوود**: كتاب السنة، باب في الجهمية، حديث رقم (٤٧٢٣).

**سنن الترمذي**: كتاب التفسير، باب ومن سورة الحديد، حديث رقم (٣٢٩٨).

**سنن ابن ماجه**: كتاب في المقدمة ، باب فيما أنكرت الجهمية، حديث رقم (١٩٣).

**قال الشيخ الألباني**: ضعيف. وأثبته شيخ الإسلام في المناظرة التي عقدت له، مجموعة الفتاوى (٣/١٢٣–ط دار الجيل).

(3) سورة : طه (٥).

يقول رحمه الله: (وِمنْ ذَلكَ قولُه تعالىٰ: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾[1]) أي من آيات الصفات التي يثبتها أهل السنة والجماعة لله عز وجل صفة الاستواء في قوله: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ وقد ذكر الله جل وعلا هذا في آيات عديدة من كتابه.

لم يأتِ في آية من هذه الآيات أن الاستواء بمعنى الاستيلاء، أو أن الاستواء له معنى مخالف لما تكلم به سلف الأمة من أنه العلو والصعود والاستقرار؛ فإن سلف الأمة تكلموا في معنى الاستواء بهذه الكلمات كما قال ابن القيم:

| | |
|---|---|
| ولهـــم عبـــارات عليـــه أربـــع | قد حُصِّلت للفـــارس الطعـــان |
| وهي استقر، وقد علا، وكـــذلك | ارتفع الذي ما فيه من نكـــران |
| وكذاك قد صعد الذي هو رابـــع | ............................ |

فهذه أربعة معانٍ ذكرها العلماء في معنى الاستواء، وهي ثابتة عن السلف الصالح.

الذين خالفوا منهج أهل السنة والجماعة قالوا: الاستواء معناه الاستيلاء، واستدلوا لذلك ببيت مهلهل محدث مصنوع:

| | |
|---|---|
| قد استوى بشـــر علـــى العـــراق | من غير ســـيف ودم مهـــراق |

وهذا إبطال لما كان عليه سلف الأمة بما لا دليل فيه وبما يلزم عليه من اللوازم الباطلة ما لا يلزم على إثبات الاستواء.

فهذه الآية فيها إثبات استواء الله عز وجل على عرشه، وهذا أمر دل عليه كتاب الله وسنة رسوله وأجمع عليه سلف الأمة.

لم ينقل عن أحد من الأمة أن الله لم يستوِ على عرشه؛ بل إن شيخ الإسلام رحمه الله يقول: إن الاستواء مذكور في كل كتاب من كتب الرسل، جاء به كل رسول، ولعظيم شأن هذه الصفة ذكرها الله في كتابه في سبعة مواضع، فلا يسوغ مع هذا التعدد والتكرار في ذكر هذه الصفة أن يقال: إن استوى بمعنى استولى. فإن هذا من تحريف الكلم عن مواضعه.

أما صفة العلو التي ذكر المؤلف رحمه الله أدلتها فهي ثابتة بالكتاب وبالسنة وبإجماع سلف الأمة والعقل دال عليها والفطرة المركوزة في نفوس الناس وفي خلق الله تدل عليها.

---

(1) سورة : طه (٥).

ولذلك يقول شيخ الإسلام: صفة العلو أجمع عليها الناس جميعاً مسلمهم وكافرهم. ولذلك فرعون لما أراد طلب الرب جل وعلا ماذا قال لهامان؟ ﴿ابْنِ لِي صَرْحًا لَّعَلِّي أَبْلُغُ الأَسْبَابَ (٣٦) أَسْبَابَ السَّمَوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لأَظُنُّهُ كَاذِبًا﴾،[١] فلم يطلب الله عز وجل في يمين ولا في شمال ولا في خلف ولا في أمام، إنما طلبه في العلو، وهذا يدل على أن الإقرار بالعلو أمر مركوز في الفطر، حتى في فطر البهائم.

ولذلك لما ناقش الهمداني الجويني وهو يقرر العرش وعدم علو الله عز وجل، جاء قال: يا أستاذ وهو على المنبر يتكلم الجويني وهو من أئمة الأشاعرة، قال: يا أستاذ دع عنا العرش وذكره، وأخبرني عن شيء في قلوبنا، ما قال داع قط: يا ألله إلا وجد من قلبه طلب العلو. فجعل الجويني رحمه الله يضرب على رأسه ويقول: حيرني الهمداني، حيرني الهمداني؛ لأن هذا مهما ناقشنا، ومهما حاولنا وحاول المحاولون أن يبطلوه –نعوذ بالله أن نحاول أو نفكر في ذلك– لكن مهما حاول المحاولون أن يبطلوا هذا فإنه تأباه فطرهم.

ولذلك هم عند الضرورات ما يتوجهون لا إلى يمين ولا إلى يسار، ويذوب هذا التنظير وهذه المجادلة والمناقشة، ويرجعون إلى ما دل عليه الكتاب والسنة، وأجمع عليه سلف الأمة من أنهم يقرّون بعلو الرب جل وعلا، فتجد الذي ينكر علو الرب يشير بإصبعه إلى العلو عند الإشارة إلى الله عز وجل، وهذا أمر فطر الله القلوب عليه فلا سبيل إلى إنكاره.

المؤلف رحمه الله ذكر من الأدلة الدالة على علو الله عز وجل عدة أدلة، فمن الكتاب: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾.[٢] واقتصر عليه لأنه علو خاص، و إلا فمن الأدلة: ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾[٣] ﴿وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾[٤] وما إلى ذلك، ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ﴾ وقد ذكرها المؤلف رحمه الله، والأدلة على علو الله عز وجل كثيرة.

---

(١) سورة : غافر (٣٦-٣٧).

(٢) سورة : طه (٥).

(٣) سورة : آل عمران (٥٥).

(٤) سورة : فاطر (١٠).

أما الأحاديث فذكر: ((رَبَّنَا الله الّذِي في السّماءِ تَقَدّسَ اسْمُكَ)) وهـذا الحديث رواه أبو داود وغيره بسند حسن كما قال شيخ الإسلام رحمه الله، وهو حديث مشهور بأنه حديث رقية المريض فإنه يقرأ على المريض.[1]

الشاهد فيه قوله: ((رَبَّنَا الله الّذِي في السّماءِ تَقَدّسَ اسْمُكَ)) (ربَّنا) بالنصب لأنه دعاء (يا ربنا) تقدير يا النداء: يا ربنا ((رَبَّنَا الله الّذِي في السّماءِ تَقَدّسَ اسْمُكَ))، **وقال للجاريَّة: ((أيْنَ الله؟))، قالتْ: في السَّماءِ)** أي في العلو، (**في السَّماءِ**) أي في العلو؛ لأن السماء يطلق على العالي، فهو اسم جنس لما علا، السماء اسم جنس لما علا، ويمكن أن يقال: في السماء أي سماء السقف المحفوظ، وتكون في هنا بمعنى على. كما قال تعالى في قول فرعون: ﴿وَلأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ﴾[2] ﴿فِي جُذُوعِ﴾ وهو معلوم أن التصليب لا يكون في بطن الجذوع إنما يكون عليها، فكانت في هنا بمعنى على، وكقوله تعالىٰ: ﴿فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا﴾،[3] الناس لا يمشون في الأرض داخلها إنما عليها، فــ(في) تأتي بمعنى (على) فقول الله تعالى: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ﴾،[4] وقوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((رَبَّنَا الله الّذِي في السّماءِ)). معناه إما أنه الذي في العلو، وإما أن يكون المراد بالسماء السقف المحفوظ، فتكون (في) هنا بمعنى إيش؟ واضح الكلام أو لا يا إخوان ؟ أو تعبتم؟ نقف على هذا ونكمل حتى ما نشق عليكم ونعيد هذا غداً إن شاء الله.

والله تعالىٰ أعلم وصلى الله وسلم على نبينا محمد.

---

([1]) انظر الصفحة رقم (٢)، الحاشية رقم (٤).

([2]) سورة : طه (٧١).

([3]) سورة : الملك (١٥).

([4]) سورة : الملك (١٦).

# شرح لمعة الاعتقاد

# الهادي إلى سبيل الرشاد

**لموفق الدّين بن قدامة المقدسي رحمه الله**

**لفضيلة الشيخ**

خالد بن عبد الله المصلح

الدرس الرابع

**www.almosleh.com**

**بسم الله الرحمن الرحيم**

الحمد لله رب العالمين وأصلي وأسلم على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

أما بعد:

فكان آخر ما تكلمنا عليه في هذه العقيدة قول المؤلف رحمه الله: (**ومِنْ ذَلكَ قولُه تعالىٰ: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾.**[1] **وقولُه تعالىٰ: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ﴾،**[2] **وقولُ النبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((رَبَّنَا الله الّذِي في السّماءِ تَقَدّسَ اسْمُكَ))** [3]).

وذكرنا أن هذا المقطع الذي ابتدأه المؤلف رحمه الله بذكر هاتين الآيتين وما تلاهما من الأحاديث أتى به المؤلف رحمه الله لتقرير عقيدة السلف فيما يتعلق بعلو الله عزّ وجل، فإن هذه الآيات والأحاديث دالة على علوه واستوائه على عرشه.

أما الاستواء فقول الله تعالىٰ: **﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾** ذكره الله عز وجل في مواضع عديدة من كتابه، وهو دال على استوائه على عرشه، وقلنا: إنّ الاستواء ماذا يفيد؟ يفيد إثبات العلو، ولذلك يذكر دائماً مع آيات العلو في كتب الاعتقاد.

وجه ذلك أن الاستواء علوٌّ خاص، وهذا الفرق بين آيات العلو وبين آيات الاستواء: أن الاستواء علو خاص، وهو علو على العرش، اختص الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى به العرش دون غيره من المخلوقات.

والعرش مخلوق عظيم خلقه الله جل وعلا، واختصه بهذه الخاصية وهي أنه استوى عليه جل وعلا بعد أن خلقه.

والعرش في لغة العرب سرير الملك، وهو خلق من خلق الله عظيم.

وأما قوله تعالىٰ: **﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ﴾** فهذا فيه إثبات صفة العلو لله عز وجل. وقوله تعالىٰ: **﴿فِي السَّمَاءِ﴾** السماء يحتمل أحد معنيين:

**المعنى الأول**: السقف المحفوظ.

---

([1]) سورة : طه (٥).

([2]) سورة : الملك (١٦).

([3])**سنن أبي داوود**: كتاب الطب، باب كيف الرقى؟ حديث رقم (٣٨٩٢). وحسنه **شيخ الإسلام** في العقيدة الواسطية.

**قال الشيخ الألباني**: ضعيف.

**والمعنى الثاني**: أنه العلو.

لأنّ السماء في لغة العرب اسم جنس للعالي.

فعلى المعنى الأول –وهو أن السماء المقصود بها السقف المحفوظ- فيكون قوله تعالىٰ: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ﴾ أي من على السماء، فــ(في) بمعنى (على).

وعلى المعنى الثاني –وهو أن السماء جنس العالي؛ اسم لجنس ما علا- تكون (في) على بابها، ليست بمعنى (على).

على أننا نعتقد أن الله جل وعلا محيط بكل شيء ليس فيه شيء من خلقه، ولا هو في شيء من خلقه جل وعلا.

بل هو العالي الذي لا شيء فوقه، فهو جل وعلا على كل شيء، مستوٍ على عرشه، بائن أي منفصل عن خلقه، فليس فيه شيء من خلقه، ولا هو في شيء من خلقه، تعالىٰ الله عما يظن الجاهلون ويقولون علواً كبيراً.

وهذا الذي ذكرناه في قوله تعالىٰ: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ﴾ أَجْرِهِ في كل ما شابه هذا التركيب، ما شابه هذه الصيغة.

فقوله رحمه الله: (**وقولُ النبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((رَبَّنَا الله الّذِي في السّماءِ تَقَدّسَ اسْمُكَ))**[1])؛ ((**في السّماءِ**)) هنا كم فيها من وجه؟ فيها وجهان:

**الوجه الأول**: أن المراد بالسماء هنا السقف المحفوظ.

**والوجه الثاني**: أن السماء المراد بها جنس ما علا.

تقول: نزل علينا المطر من السماء؛ يعني من السقف المحفوظ أو من جهة العلو؟ من جهة العلو؛ لأن المطر لا يتزل من السقف المحفوظ، إنما يتزل من السحاب.

وكقوله تعالىٰ: ﴿فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ﴾[2] يعني يمدد حبل إلى السقف المحفوظ أو إلى السماء يعني إلى جهة العلو –سقف بيته أو ما أشبه ذلك-؟ ما المقصود بالآية: ﴿فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ﴾

---

([1]) تم تخريجه في الصفحة (٢).

([2]) سورة : الحج (١٥).

العالي أو السماء التي هي السقف المحفوظ، ما المراد ؟ جهة العلو؛ هذا معنى قوله تعالىٰ: ﴿فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ﴾.

فالسماء تطلق على جنس ما علا في لغة العرب.

وتطلق أيضاً على السقف المحفوظ الذي جعله الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى طباقاً. واضح المعنى؟

طيب، في كل الموارد التي يرد فيها الخبر بأن الله جل وعلا في السماء:

إما أن تقول: السقف المحفوظ فتكون في هنا بمعنى علا.

وإما أن تقول: جهة العلو فتكون في هنا بمعنى الظرفية على بابها.

طيب قال رحمه الله: (**وقال للجارية: ((أيْنَ الله؟))، قالتْ: في السَّماءِ**) نفس الكلام:

- إما في السماء أي على السماء التي هي السقف المحفوظ.
- أو في السماء يعني في العلو فيكون إثباتاً لعلوه جل وعلا على كل شيء.

(**قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((أَعْتِقْهَا فَإِنَّهَا مُؤْمِنَةٌ))**) . وهذا الحديث في صحيح الإمام مسلم من حديث معاوية بن الحكم، في قصة ضرب جاريته حيث سألها رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **((من أنا))**؟ فقالت: أنت رسول الله. ثم سألها: **((أين الله))**؟ قالت: في السماء. فقال له النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال لمعاوية بن الحكم: **((أَعْتِقْهَا فَإِنَّهَا مُؤْمِنَةٌ))**.

يقول: (**رواه مالكُ بنُ أنَسٍ ومسلمٌ وغيرُهما مِنَ الأئمة**[1]).

ثم قال رحمه الله: (**وقالَ النبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِحُصَيْنٍ**) حصين بن المنذر الخزاعي والد عمران بن حصين رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وكان في مكة وكان شيخاً كبيراً أتاه قومه فقالوا له: إن محمداً يسفه آلهتنا ويذم آلهتنا ويسفه أحلامنا فأته لعله يسمع منك، فأتى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فلما أقبل على النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأصحابه: **((أوسعوا للشيخ))** –لكبر سنه– فقال له ما قال: لماذا تسفه آلهتنا؟ وما إلى ذلك مما جاء من أجل الإنكار فيه على النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. فقال له رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **((يا حصين كم إلــٰهاً تعبد؟))** قال: سبعة. قال: ستة في الأرض وواحداً في السماء. فقال له النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **((مَنْ لِرَغْبَتِكَ وَرَهْبَتِكَ؟))** يعني من لما تحب وترغب، ومن لما تخاف وترهب؟ يعني من الذي تدخره لمطالبك ومطامعك وآمالك فتسأله؟

---

([1]) **مسلم**: كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب تحريم الكلام في الصلاة، حديث رقم (٥٣٧).

ومن الذي تدخره لرهبتك، لمخاوفك، وما ترهب فترجو منه دفع ذلك أو رفعه؟ قال حصين: **الّذي في السَّماء**. يعني الله عز وجل. حصين مسلم في هذه الحال أو كافر؟ في هذه الحال هل هو مسلم أو كافر؟ كافر لأنه أخبر بأنه يعبد سبعة ولا يكون هذا من مسلم مع ذلك يعتقد أن الله في السماء.

وهذا دليل من الأدلة التي تضاف إلى ما ذكره شيخ الإسلام وغيره من أن إثبات العلو لله عز وجل لا يختص أهل الإسلام؛ بل يُقر به كل إنسان مسلم أو كافر.

(**قالَ: ((فَاتْرُكِ السِّتَّةَ وَاعْبُدِ الذِي في السَّماءِ))**) قال له رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((**اتْرُكِ السِّتَّةَ**)) أي فلا تتوجه إليهم بعبادة ولا رغبة ((**وَاعْبُدِ الذِي في السَّماءِ**)) أي أخلص عبادتك لله الذي في السماء جل وعلا ((**وَأَنَا أُعَلِّمُكَ دَعْوَتَيْن**)) وفي رواية ((**كلمتين**))، (**فَأَسْلَمَ**) ظاهر هذا السياق أنه أسلم في الحال، والذي يظهر من الروايات الأخرى أنه أسلم بعد حين. ثم أتى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: أوفني ما وعدتني؛ علمني الكلمتين. فعلمه رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كلمتين جامعتين تجمعان للإنسان خير الدنيا والآخرة: ((**اللَّهُمَّ أَلْهِمْنِي رُشْدِي وَقِنِي شَرَّ نَفْسِي**))، وفي رواية: ((**وأعذني من شر نفسي**))، [1] ومن وفق إلى هذين: إلى الرشد وإلى وقاية شر النفس فقد جمع الله له الخير؛ لأن إلهام الرشد تحصل به الهداية، فإن من أُلهم رشده أي أعطي الهداية ووفق إليها ووقي أي حفظ وجنب شر نفسه يكمل له العلم والعمل، العلم النافع والعمل الصالح. فسأل الله عز وجل ما يعين على الهداية واجتناب ما يمنع منها؛ لأن الذي يحصل به الضلال وعدم الاستقامة أمران:

**الجهل**: وهذا يتوقاه بقوله: ((**اللَّهُمَّ أَلْهِمْنِي رُشْدِي**)).

**اتباع الهوى**: وهذا يتوقاه بقوله: ((**وَقِنِي شَرَّ نَفْسِي**)). فإن الإنسان قد يكون عالماً للحق؛ لكن يحول بينه وبين اتباعه والأخذ به هوى نفسه واتباع شهواته.

فإذا وقي هذا ووفق إلى ذاك فقد كمل له الخير، وهذا الحديث رواه الترمذي وقال عنه: غريب، وقد حسنه جماعة من العلماء، وهو من رواية الحسن بن أبي الحسن البصري عن عمران رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

قال: (**وَفيمَا نُقِلَ مِنْ عَلاماتِ النبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأصحابِهِ في الكُتُبِ المتقدِّمةِ**) أي كتب الأنبياء كالتوراة والإنجيل: (**أَنَّهم يَسْجُدون بالأرْضِ، ويَزْعُمون أنَّ إلـٰهَهمْ في السَّماءِ.**) وهذا وصف

---

(1) **سنن الترمذي**: كتاب الدعوات، باب (٧٠)، حديث رقم (٣٤٨٣). وقال: حديث حسن غريب.
**قال الشيخ الألباني**: ضعيف.

صادق على الأمة، فإن أهل الإسلام يسجدون بالأرض، ثم إذا سجدوا ماذا يقولون؟ يقولون: سبحان ربي الأعلى. (**وَيَزْعُمون أنَّ إلـٰهَهمْ في السَّماءِ**) أي في العلو، ولذلك كل ساجد يقول: سبحان ربي الأعلى. وأول ما ينقدح في القلب عند قولك في وصف الله: الأعلى أي شيء؟ علوه جل وعلا بذاته في السماء.

هذا أول ما يتبادر إلى القلب، وهذا أمر وقع فيه الخلاف بين أهل السنة وغيرهم.

فإن غير أهل السنة ينكرون هذا النوع من العلو ويقولون: الأعلى قدراً والأعلى قهراً، لكنهم لا يقولون: الأعلى ذاتاً، والعلو الذي يثبته أهل السنة والجماعة لله عز وجل هو العلو بأنواعه كلها:

فله جل وعلا علو الذات، فهو فوق كل شيء سبحانه وبحمده.

وله علو القدر والشرف، فهو الذي له المثل الأعلى، له الصفة العليا جل وعلا، وله الأسماء الحسنى.

وهو العالي على عباده قهراً كما قال تعالىٰ: ﴿**وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ**﴾[1].

المتكلمون الذين ينكرون علو ذاته جل وعلا يقولون: إن قول الله جل وعلا: ﴿**سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى (١)**﴾[2] وقول الساجد: سبحان ربي الأعلى، إنما هو علو القدر وعلو القهر.

وهم في هذا بخسوا الله جل وعلا علوه الذي اختص به وهو الأصل، فإن الأصل في العلو الثابت هو علو الذات، وأما علو القدر وعلو القهر فهو تابع ومن لوازم علو ذاته جل وعلا، فما ذكر في الكتب المتقدمة من أن هذه الأمة موصوفة بأنهم يسجدون بالأرض ويزعمون أن إلههم في السماء وصف مطابق لحال أمة الإسلام.

(**وَرَوَى أبو داودَ في سُننه أنَّ النبيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قالَ: ((إنَّ مَا بَيْنَ سَماءٍ إلَى سَمَاءٍ مَسيرَةَ كذَا وَكذَا)**) وذكر رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كم بين كل سماء والتي تليها (**–وذَكَرَ الخَبَرَ إلى قَوْلهِ:– ((وَفَوْقَ ذَلِكَ العَرْشُ وَاللهُ سُبْحَانَهُ فَوْقَ ذَلِكَ))**) أي فوق العرش.

ويمكن أن يقول: ((**وَاللهُ سُبْحَانَهُ فَوْقَ ذَلِكَ**)) أي فوق كل ما تقدم. فـ((**ذَلِكَ**)) في قوله: ((**وَاللهُ سُبْحَانَهُ فَوْقَ ذَلِكَ**)) يحتمل أن يرجع إلىٰ العرش ويحتمل أن يرجع إلى العرش وما عداه من السماوات المذكورة.

---

(١) سورة : الأنعام (١٨).

(٢) سورة : الأعلى (١).

وهذا الحديث أخرجه أبو داوود وغيره من حديث العباس بن عبد المطلب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وهو مشهور عند أهل العلم بحديث الأوعال؛ لأن فيه ذكر الأوعال التي تحمل العرش وهو حديث صحيح رواه أصحاب السنن أبو داوود والترمذي وابن ماجه ورواه ابن خزيمة، وقد طعن فيه بعضهم لكن طعنه واهٍ، فالحديث ثابت ولا تنتفي صفة العلو بتشغيب من شغّب بتضعيفه؛ لأن الأحاديث والآيات مستفيضة في الدلالة على أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فوق كل شيء.[1]

يقول رحمه الله: (**فَهَذَا وَمَا أشْبَهَهُ مِمَّا أَجْمَعَ السَّلَفُ رَحِمَهم اللهُ على نَقْلِهِ وقَبُولِهِ**)، (**هـٰذا**) أي ما تضمنته الآيات والأحاديث المتقدمة من إثبات استوائه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وعلوه على عرشه (**فَهَذَا وَمَا أشْبَهَهُ مِمَّا أَجْمَعَ السَّلَفُ رَحِمَهم اللهُ على نَقْلِهِ وقَبُولِهِ ولم يَتَعَرَّضُوا لِرَدِّهِ ولا تَأْوِيلِهِ ولا تَشْبِيهِهِ ولا تَمْثِيلِهِ**) . يعني جروا في هذه الصفة على ما جروا عليه في سائر الصفات، فهم لا يردون؛ لا يكذبون ولا يحرفون ولا يمثلون.

واعلم أنه لا سلامة لأحد في خبر الله أو خبر رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عما يتصف به الرب جل وعلا إلا بسلوك هذا السبيل: أن يثبت ما أثبته الله لنفسه أو أثبته له رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آله وَسَلَّمَ من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل، فإنّ هذه الاحترازات الأربعة: نفي التحريف، ونفي التعطيل، ونفي التمثيل، ونفي التكييف، بها يسلم المرء من الضلالات في باب الأسماء والصفات. ولذلك كرر المؤلف رحمه الله قوله: (**ولم يَتَعَرَّضُوا لِرَدِّهِ ولا تَأْوِيلِهِ ولا تَشْبِيهِهِ ولا تَمْثِيلِه**) فإن أهل السنة والجماعة يثبتون ذلك على الوجه اللائق بالله عز وجل.

واذكر دائماً أن حظ النصوص ونصيبها عند أهل السنة التسليم والقبول مع حسن الفهم كما تقدم ذلك فيما ذكرناه من قول ابن القيم رحمه الله في نونيته:

فالجحد والإعراض والتأويل ... والتجهيل حظ النص عند الجاني
لكن لدينا حظه التسليم مع ... حسن القبول وفهم ذي إحسان

فإن هذين البيتين يختصران لك الضلالات التي وقع فيها من وقع في باب الأسماء والصفات، ويبينان لك طريق السلامة من هذه الضلالات، فيحسن حفظ هذين البيتين.

---

(1) انظر المناظرة التي عقدت لشيخ الإسلام على عقيدته الواسطية مجموعة الفتاوى (٣/١٢٣–ط دار الجيل).

يقول رحمه الله في آخر ما ذكر في هذا الفصل: (**سُئِلَ الإمامُ مالك بنُ أنسٍ رَحمه اللهُ فَقِيلَ: يا أَبَا عبدِ الله: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾[1] كيْف استوى؟**) وهذه القصة مشهورة عن الإمام مالك رحمه الله تناقلها العلماء، سأله رجل عن قول الله تعالى: ﴿**الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى**﴾ **كيْف استوى؟**) وكان الإمام مالك رحمه الله يحدِّث أو يعلم وقت هذا السؤال، فسكت رحمه الله سكوتاً طويلاً كما ذكر الذهبي وغيره، حتى علاه الرُّحَضَاء أي حتى علاه العرق من شدة ما اعتراه رحمه الله من غرابة هذا السؤال وعظمه. فوفق رحمه الله إلى جواب مسدد (**فقال: الاسْتِواءُ غيْرُ مجهولٍ**) وفي بعض الروايات (الاستواء معلوم) والمعنى واحد، فغير المجهول هو المعلوم؛ أي إن الاستواء لا يُجهل في لسان العرب، فيدركه كل من له فهم للغة العرب، هذا معنى قوله رحمه الله: (الاستواء معلوم) أو (**الاسْتِواءُ غيْرُ مجهولٍ**). ثم قال: (**والكيْفُ غيْرُ معْقولٍ**) كيفية هذا الخبر لا سبيل إلى علمها، لماذا لا سبيل إلى علمها؟ لأن الله جل وعلا لم يبين لنا كيفية استوائه، فليس عندنا خبر من الله جل وعلا كيف استوى؛ لكن عندنا منه خبر أنه استوى، فالواجب أن نقف حيث وقف النص فنثبت استواء الله جل وعلا على عرشه دون أن نتطرق إلى ذلك بطلب الكيفية، فإن الكيفية لا سبيل إلى تحصيلها ولا إلى إدراكها، قال الله جل وعلا: ﴿**وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللّهُ**﴾[2] هذا دليل أن الكيفيات لا سبيل إلى تحصيلها، وأن الكيف مجهول وأن الكيف غير معلوم، ﴿**وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ**﴾ أي حقيقته وكنه خبره جل وعلا، وما يؤول إليه الخبر إلا الله جل وعلا ﴿**وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللّهُ**﴾ هذا معنى قوله رحمه الله: (**والكيْفُ غيْرُ معْقولٍ**) أي لا سبيل إلى عقله وإدراكه؛ لأن العلم بالكيفيات فرع عن العلم بالذات، وليس لنا علم بكيفية الذات حتى نفهم ونعرف كيف صفاته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

ثم قال رحمه الله: (**والإيمانُ به واجبٌ**) الإيمان أي الإقرار المستلزم للإذعان والقبول، الإقرار الذي يحصل به طمأنينة القلب وسكونه إلى خبر الله وخبر رسوله في هذه الصفة وفي غيرها واجب، فلا يسوغ لأحد أن ينكر الاستواء لكونه لم يعقل كيفيته؛ بل الواجب على المؤمن أن يقرّ بالاستواء الذي أخبر الله به عن نفسه وأما ما يتعلق بالكيفية فأمرها إلى الله لا سبيل إلى إدراكها، ولا إلى العلم بها، (**والإيمانُ به**) أي بالاستواء الذي أخبر به في كتابه (**واجبٌ، والسُّؤالُ عنْه بدعةٌ**) عن إيش؟ عن الكيفية؛ السؤال

---

([1]) سورة : طه (٥).

([2]) سورة : آل عمران (٧).

عن كيفية الاستواء وعن كيفية سائر الصفات بدعة؛ أي محدث في الدين، وإذا كان بدعة فإن كل بدعة ضلالة، كما قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة)).[1] فالواجب الكف عن هذا ولو كان خيراً لسبقنا إليه سلف الأمة.

(ثُمّ أَمَرَ بالرَّجُلِ فأُخْرِجَ) أي أخرج من مسجد رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما أحدثه.

وفي ما ذكره الذهبي رحمه الله من هذه القصة قال الإمام مالك رحمه الله لهذا الرّجل: وإني لأظنك ضالاًّ، أخرجوه. فلما أخرجوه نادى الرجل الإمام مالكاً رحمه الله قال: يا أبا عبد الله لقد سألتُ عن هذا أهل الكوفة والبصرة والعراق فلم أجد أحداً وُفِّق إلى ما وفقت إليه.

كأن هذا الرجل وجد جواب الشبهة التي دارت في صدره وحارت وطلب جوابها عند علماء البصرة وعلماء الكوفة وعلماء العراق، فلما أجابه الإمام مالك رحمه الله بهذا الجواب شفى ما في قلبه من شبهة وأزال ما في قلبه من عارض.

وهذا الجواب لم يكن جواباً مخترعاً من الإمام مالك رحمه الله؛ بل إنه قد نقل عن غيره من أئمة السلف، فهو منقول عن شيخ الإمام مالك عن ربيعة الرأي، عن ربيعة بن عبد الرحمن شيخ مالك رحمه الله، وقد نقل عن بعض الصحابة كأم سلمة.

المراد أنه منقول عن غير واحد من سلف هذه الأمة وقد تلقاه علماء الأمة بالقبول، فكثير من أهل العلم يتناقل هذا القول ويحتج به، وهو قول مسدد في جواب هذه الشبهة.

بعد هذا ننتقل إلى الفصل الثاني الذي ذكره المؤلف رحمه الله في هذه العقيدة المباركة.

**(فصل**

**ومِنْ صِفات الله تعالى أنَّه مُتَكَلِّمٌ بكلامٍ قَديمٍ، يُسْمِعُهُ مَنْ شَاءَ مِنْ خَلْقِهِ. سَمِعَهُ مُوسى عليْه السلامُ مِنْهُ مِنْ غيْرِ وَاسِطَةٍ، وسَمِعَهُ جِبْريلُ عليْه السلامُ، وَمَنْ أَذِنَ لَهُ مِنْ ملائكتِهِ، وَرُسُلِهِ.**

---

[1] **الترمذي:** كتاب العلم عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، باب ما جاء في الأخذ بالسنة واجتناب البدع، حديث رقم ٢٦٧٦. وقال: حسن صحيح.

**أبو داود:** كتاب السنة، باب في لزوم السنة، حديث رقم ٤٦٠٧.

**ابن ماجه:** باب اتباع سنة الخلفاء الراشدين المهديين، حديث رقم ٤٢، ٤٣.

قال الشيخ الألباني: صحيح.

وأنَّه سُبْحَانَه يُكَلِّمُ المؤمنين في الآخِرَةِ، ويُكلِّمُونَهُ، ويَأْذَنُ لهم فَيَزُورُونَهُ، قال اللهُ تعالىٰ: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾،[1] وقال سبْحانه: ﴿يَا مُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالاتِي وَبِكَلامِي﴾،[2] وقال سبْحانه: ﴿مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ﴾،[3] وقال سبْحانه: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ﴾،[4] وقال سبْحانه: ﴿فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَى (١١) إِنِّي أَنَا رَبُّكَ﴾[5]، وقال سبحانه: ﴿إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لا إِلَهَ إِلا أَنَا فَاعْبُدْنِي﴾[6] وغيْرُ جائزٍ أنْ يقولَ هذا أَحَدٌ غيْرُ الله.

وقالَ عبْدُ الله بنُ مسعودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: إذَا تَكَلَّمَ اللهُ بالوَحْيِ سَمِعَ صَوْتَهُ أَهْلُ السَّماءِ، رُوي ذلك عَنِ النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.[7]

وَرَوى عبدُ الله بْنُ أُنَيْسٍ عَنِ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنَّه قالَ: ((يَحْشُرُ اللهُ الخلائِقَ يوْمَ القيامَةِ عُرَاةً حُفاةً غُرْلاً بُهْمًا فَيُنَادِيهم بصوْتٍ يَسْمَعُهُ مَنْ بَعُدَ، كَمَا يَسْمَعُهُ مَنْ قَرُبَ: أَنَا الملِكُ، أنَا الدَّيَّان)) رواهُ الأئمةُ[8] واسْتَشْهَدَ به البخاريُّ.[9]

وفي بعْضِ الآثارِ أنَّ موسى عليْه السلامُ لَيْلَةَ رأى النّارَ فَهَالَتْهُ، فَفَزِعَ منْها، فَنَاداهُ رَبُّهُ: يا موسى! فأجابَ سريعًا استِئْناسًا بالصَّوْتِ، فَقَالَ: لَبَّيْكَ لَبَّيْكَ أسْمَعُ صوْتَكَ ولا أَرَى مكانَكَ، فأين أنتَ؟ فقال: أنا فَوْقَكَ، وَأَمَامَكَ، وعَنْ يَمِينِكَ، وعَنْ شِمَالِكَ، فَعَلِمَ أنَّ هذِهِ الصِّفَةَ لا تَنْبَغِي إلاَّ لله تَعالى. قال: كَذَلِكَ أَنْتَ يَا إِلهي أفَكَلامَك أسمعُ أمْ كلامَ رسولِك؟ قال: بلْ كلامي يا موسى) .

---

(1) سورة : النساء (١٦٤).
(2) سورة : الأعراف (١٤٤).
(3) سورة : البقرة (٢٥٣).
(4) سورة : الشورى (٥١).
(5) سورة : طه (١١-١٢).
(6) سورة : طه (١٤).
(7) استشهد به البخاري في كتاب التوحيد، باب قول الله تعالىٰ: ﴿ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له﴾[سبأ:٢٣].
(8) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، والبخاري في الأدب المفرد.
(9) استشهد به البخاري في كتاب التوحيد، باب قول الله تعالىٰ: ﴿ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له﴾[سبأ:٢٣].

هذا الفصل خصّه المؤلف رحمه الله بذكر صفة جليلة من صفات الربّ جل وعلا وهي صفة الكلام، والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى موصوف بالكلام أزلاً وأبداً، فالكلام صفة من صفات الذات، وهي صفة من صفات الفعل باعتبار الآحاد والأفراد، أما باعتبار الأصل فالكلام من الصِّفات الذاتية.

يقول رحمه الله تعالىٰ: (**ومِنْ صِفات الله تعالىٰ أنَّه مُتَكَلِّمٌ بكلامٍ قَديمٍ**) والمقصود بـ(القديم) أي الأول الذي ليس قبله شيء، فكلامه ليس صفة حادثة بعد أن لم يكن؛ بل كلامه جلّ وعلا من صفاته الذاتية التي لم يزل متصفاً بها ولا يزال متصفاً بها، وقد اتفق على إثبات هذه الصفة لله جل وعلا أهل السنة والجماعة –أئمة هذا الدين من الصحابة فمن بعدهم– فلا خلاف بينهم في إثبات هذه الصفة؛ بل إن هذه الصفة دل عليها كتاب الله جل وعلا وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم بما لا مجال لإنكارها؛ بل إنّ إنكار هذه الصفة يفضي إلى إنكار الرسالة من أصلها، ولذلك الذين ينكرون أن يرسل الله رسولاً إما أن ينكروا أن الله يكلم أحداً، وإما أن ينكروا أن الله يترل على رسوله كتاباً كما قال الله عز وجل: ﴿**أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِّنْهُمْ**﴾،[1] فجعل الله عز وجل تعجب الكفار أن يوحي إلى رجل منهم، ولذلك قال القائل منهم: ﴿**إِنْ هَذَا إِلا قَوْلُ الْبَشَرِ (٢٥)**﴾[2] فأنكر أن يكون القرآن كلام الله جل وعلا، فالإنكار لمسألة تكلم الله عز وجل وصفة الكلام له جل وعلا من أخطر ما يكون؛ لكونه يوافق قول المكذبين للرسل فيلغي الرسالة ويلغي أن يكون الله جل وعلا قد أرسل رسلاً مبشرين ومنذرين وأنه أوحى إليهم وأرسل إليهم.

فهذه المسألة من أخطر ما يكون، ولذلك إثبات هذه الصفة اتفق عليها الرسل جميعاً، فكل الرسل أخبروا أقوامهم بأن الله أوحى إليهم، وأنه كلمهم، وأنه بعثهم وأرسلهم، فإثبات صفة الكلام مما أجمعت عليه كتب الله عز وجل كلها، فمن أنكر هذه الصفة فقد أنكر ما اتفق عليه الرسل جميعاً.

---

([1]) سورة : يونس (٢).
([2]) سورة : المدثر (٢٥).

والكلام الذي يثبته أهل السنة والجماعة لله عز وجل كلام قديم، بمعنى أنه كلام لا أول له، فليس الكلام صفة حادثة بعد أن لم تكن، وهذا معنى قول المؤلف رحمه الله: (**أَنَّه مُتَكَلِّمٌ بكلامٍ قَديمٍ**)؛ لكن هل هذا الكلام حادث الأنواع أي متجدد أم أنه كلام تكلم به ثم فرغ منه؟

الجواب: أنه كلام متجدد، ولذلك هو بهذا الاعتبار من صفات الأفعال، فلما نادى الله عز وجل آدم وحواء بعدما وقع منهما ما وقع من المخالفة، هذا نداء حادث في وقته أم أنه نداء متقدم في الأزل؟ معلوم أنه حادث في وقته.

لما أنزل الله عز وجل القرآن على رسوله هل تكلم به وقت نزوله أو لا ؟ الجواب: نعم تكلم به وقت نزوله.

فالله جل وعلا يتكلم بكلامه متى شاء وكيف شاء جل وعلا؛ لكن هذه الصفة لم يزل متصفاً بها؛ أي إن الكلام ليس حادثاً بعد أن لم يكن.

هذا معنى كلام المؤلف رحمه الله: (**أَنَّه مُتَكَلِّمٌ بكلامٍ قَديمٍ**).

قال رحمه الله: (**يُسْمِعُهُ**) أي يسمع كلامه منه جل وعلا لا من غيره (**مَنْ شَاءَ مِنْ خَلْقِهِ**)، وهـذا السماع سماع مباشرة لا بواسطة؛ ولذلك قال: (**سَمِعَهُ مُوسى عليْه السلامُ مِنْهُ**) أي من الله جل وعلا من غير واسطة، فلم يكن بين الله جل وعلا وبين موسى عليه السلام واسطة في سماع الكلام؛ بل سمعه مباشرة، وهذا لا يختص موسى عليه السلام من كل وجه؛ يعني أصل سماع الكلام مباشرة ليس خاصّاً بموسى؛ بل كلم الله عز وجل رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مباشرة في ليلة الإسراء؛ بل كلم بعض هذه الأمة بعد موته كما في حديث جابر بن عبد الله أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال له: ((**إنّ الله جل وعلا قد كلم أباك كفاحاً**))[1] أي من غير واسطة، وذلك بعد استشهاده رَضِيَ اللهُ عَنْهُ في غزوة أحد.

---

[1] **سنن الترمذي**: كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة آل عمران، حديث رقم (٣٠١٠).
**سنن ابن ماجه**: كتاب الجهاد، باب فضل الشهادة في سبيل الله، حديث رقم (٢٨٠٠)، وايضاً رقم (١٩٠).
**قال الشيخ الألباني**: حسن.

وأما في الآخرة فإنه يكلم كل أحد، كما قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الحديث الذي في الصحيحين: ((**ما منكم من أحد إلا وسيكلمه الله يوم القيامة ليس بينه وبينه تَرجُمان**))؛[1] أي ليس بينه وبينه مفسر، ((**ترجمان**)) هو المفسر الذي يكشف عن معنى الكلام؛ بل سيكلمه مباشرة بلا واسطة، لكن ما جرى لموسى عليه السلام من الكلام في رسالته أمر زائد على سائر ما جرى للأنبياء، ولذلك يوصف موسى عليه السلام بأنه كليم الرحمــٰن، ولما يأتي الناس كما في حديث أبي سعيد وغيره في المحشر إلى موسى يقولون له: أنت الذي كلمك الله وكتب لك التوراة بيده. فذكروا ما اختص به دون غيره، وإذا نظرت إلى ذكر إيحاء الله عز وجل للرسل تجد أن ما اختص به موسى عليه السلام مخالف لهم جميعاً.

انظر إلى قول الله تعالى: ﴿**إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِن بَعْدِهِ**﴾،[2] هذا خطاب لمن ؟ للنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿**إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِن بَعْدِهِ**﴾ ثم ذكر الرسل: ﴿**إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِن بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا (١٦٣) وَرُسُلاً قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلاً لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ**﴾ ثم ذكر موسى مفردًا فقال: ﴿**وَكَلَّمَ اللّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا (١٦٤)**﴾[3] فدل هذا على أن نصيب موسى من تكليم الله عز وجل مخالف لكل من تقدم حتى النبي محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فإن ما اختص الله به موسىٰ من صفة التكليم مخالف لغيره، فدلّ ذلك على أن نصيب موسى من هذه الصفة ليس كغيره من الرسل، ولذلك قال المؤلف رحمه الله: سمعه موسى عليه السلام منه من غير واسطة و لم يذكر النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ لأن نصيب موسى في هذه الفضيلة وهذه الصفة لم يشاركه فيه أحد، ودليل ذلك من القرآن واضح في آية النساء: ﴿**إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِن بَعْدِهِ**﴾ وذكر جملة من الأنبياء ثم بعد ذلك قال: ﴿**وَكَلَّمَ اللّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا**﴾، و لم يقل فقط ﴿**وَكَلَّمَ اللّهُ مُوسَىٰ**﴾؛ بل أكد ذلك حيث قال:

---

([1]) **البخاري**: كتاب الرقاق، باب من نوقش الحساب عذب، حديث رقم (٦٥٣٩).

**مسلم**: كتاب الزكاة، باب الحث على الصدقة ولو بشق تمرة، حديث رقم (١٠١٦).

([2]) سورة : النساء (١٦٣).

([3]) سورة : النساء (١٦٣-١٦٤).

﴿تَكْلِيمًا﴾ فدلّ ذلك على أن حظه ونصيبه من التكليم الذي جرى له عليه السلام مخالف لغيره من الرسل، وهذا هو السبب في كونه عليه السلام يوصف بأنه كليم الرحمـٰن، وأن الناس يقولون له يوم المحشر: أنت الذي كتب الله لك التوراة بيده وكلمك بنفسه.

يقول رحمه الله: (**وسَمِعَهُ جِبْرِيلُ عليْه السلامُ**) أي تلقاه جبريل عن الله عز وجل.

قال: (**وَمَنْ أَذِنَ لَهُ مِنْ ملائكتِهِ، وَرُسُلِهِ**) أي يسمع كلام الله عز وجل من يأذن الله عز وجل في أن يسمع كلامه من ملائكته ورسله.

(**وأنَّه سُبْحَانَه يُكَلِّمُ المؤمنين في الآخِرَةِ، ويُكلِّمُونَهُ**)، (**في الآخِرَةِ**) يحتمل أنه في الجنة، ويحتمل أنه في الموقف؛ ولكن المراد أنه يكلمهم في الجنة، وخص المؤمنين بالتكليم –مع أن ظاهر الحديث أنه يكلم أهل الإيمان وغيرهم– لأن تكليمه لأهل الإيمان أعلى ما يكون من الكرم، أما تكليمه لأهل الكفر فإنه تكليم تقريع وتوبيخ وتعذيب، وليس تكليم إكرام ومنة.

أما تكليمه لأهل الكفر فهو لا إشكال فيه دل عليه قول النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((**ما منكم من أحد إلا وسيكلمه الله**))، والخطاب هنا ليس خاصّاً بالصحابة؛ بل يعم كل أحد، ويدل له أيضاً ما رواه الإمام مسلم من حديث أبي هريرة، وفيه أن الله عز وجل يخلو بعبده الكافر، ويقول له: ((**ألم أسودك؟ ألم أربعك؟ ألم أجعلك ترأس؟ فيقول: بلى يا ربي. فيقول: أكنت تظن أنك ملاقي؟ فيقول الرجل: لا. فيقول الله عز وجل: اليوم أنساك كما نسيتني**))،[1] وهذا لا يمكن أن يكون من مسلم، لا يكون إلا من كافر.

ثم قال رحمه الله في ذكر الآيات الدالة على إثبات هذه الصفة للرب جل وعلا: ﴿**وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا**﴾[2]، وذكرنا أن هذه الآية من أصرح الأدلة في إثبات صفة الكلام لله عز وجل؛ لأن الله أكد كلامه بالمصدر في قوله: ﴿**تَكْلِيمًا**﴾.

والعجيب أن المحرفين قالوا: إن هذه الآية تدل على أن موسى لم يحصل له من الفضل أكثر من غيره، وإنما معنى الكلام هنا الجرح، كقول النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((**الله أعلم بمن يُكْلَمُ في سبيله**))، يعني

---

(1) **مسلم**: كتاب الزهد والرقائق، حديث رقم (٢٩٦٨).

(2) سورة : النساء (١٦٤).

يجرح، فقالوا: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾، أي جرّحه بأظافير الحكمة، هكذا حرفوا الكلم عن مواضعه.

مع أن المقام ليس مقام بيان تجريح أو ما أشبه ذلك؛ لأن الله عز وجل ابتدأ الكلام بقوله: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِن بَعْدِهِ﴾[1] ثم ذكر تكليمه جل وعلا لموسى، وأكد هذا ومع ذلك حرّفوا هذا الكلم عن مواضعه وقالوا: إن المراد بالتكليم هنا التجريح.

وهذا لاشك أنه يدخل في ما ذكره الله عز وجل من تحريف الكلم عن مواضعه.

(**وقال سبْحانه:** ﴿يَا مُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالاتِي وَبِكَلامِي﴾[2]) هذا دليل على أن الله عز وجل كلم موسى، وأنه اختصه بشيء من الكلام لا يشاركه فيه أحد من الناس.

طيب، هل هذا يدل على أن موسى أفضل من النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ الجواب: لا؛ لأن الاختصاص بفضيلة خاصة لا يلزم منه الفضل من كل وجه.

وهذه قاعدة اجعلها معك في كل ما ورد من الفضائل: ورود فضيلة خاصة لا يلزم منه التفضيل على غيره من كل وجه، هو فضل النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في هذا؛ لكن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أفضل منه من حيث العموم فيما خصه الله به وحباه به من الفضائل. ﴿يَا مُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ﴾ أي اخترتك وخصصتك ﴿عَلَى النَّاسِ بِرِسَالاتِي وَبِكَلامِي﴾.

(**وقال سبْحانه:** ﴿مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ﴾[3]) يعني من؟ الرسل، فدل ذلك أن تكليم الله عز وجل ليس خاصّاً بموسى؛ بل من الرسل من كلم الله عز وجل.

---

(1) سورة : النساء (١٦٣).

(2) سورة : الأعراف (١٤٤).

(3) سورة : البقرة (٢٥٣).

ثم قال رحمه الله: (وقال سبحانه: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَاء حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاء إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ (٥١)﴾[1]) فذكر الله عز وجل في هذه الآية في آية الشورى مراتب الوحي، وجعلها ثلاث مراتب:

**المرتبة الأولى:** الوحي الذي هو الإلهام.

**والمرتبة الثانية:** التكليم المباشر.

**والمرتبة الثالثة:** التكليم بواسطة.

وجعل ذلك كله من مراتب الوحي:

﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلا وَحْيًا﴾ هذه المرتبة الأولى.

﴿أَوْ مِن وَرَاء حِجَابٍ﴾ هذه المرتبة الثانية وهي التي جرت وحصلت لموسى عليه السلام.

﴿أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاء﴾، وهذه التي يشترك فيها جميع الرسل.

فالآية دالة على أن الله جل وعلا يتكلم وأن كلامه جل وعلا أنواع.

هذه الآية احتج بها أهل البدعة على أن كلام الله معنى، ولا يلزم أن يكون كلام الله عز وجل باللفظ، حيث قالوا: إنكم تقولون: إن من مراتب التكليم الوحي؛ لأن الله عز وجل يقول: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلا وَحْيًا﴾ (وَحْيًا) أي إلهام وإعلام سريع على وجه الخفاء؛ لأن الوحي في لغة العرب هو الإعلام السريع الخفي، وهذا لا يختص الرسل؛ بل يكون لكل من شاء الله أن يلهمه، كما قال الله تعالى: ﴿وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا﴾،[2] فأخبر بإيحائه إلى لنحل، ومنه أيضاً قول الله تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى﴾[3] مع أنها ليست بنبية ولا رسولة، فهذا الوحي هو الإلهام؛ لكن هل هذا كلام؟ الجواب: ليس بكلام عند الإطلاق، إنما الكلام في لغة العرب عند الإطلاق لا بد فيه من ألفاظ.

يقول ابن مالك:

كلامنا لفظ مفيد كاستقم		..............................

---

([1]) سورة : الشورى (٥١).

([2]) سورة : النحل (٦٨).

([3]) سورة : القصص (٧).

فالكلام لا يصح أن يوصف بأنه كلام عند الإطلاق إلا إذا توفر فيه وصفان:

**الوصف الأول**: اللفظ.

**والوصف الثاني**: إفادة المعنى.

ولذلك يقول:

كلامنا لفظ مفيد كاستقم ..............................

أي كلام العرب

فلا بد أن يكون لفظاً ولا بد أن يكون مفيداً لمعنى و إلا فإنه لا يوصف بأنه كلام.

المراد أن احتجاجهم بهذه الآية ليس في محله؛ لأن الله جل وعلا ذكر الأقسام ليس لأقسام الكلام عند الإطلاق، إنما ذكر أقسام الوحي، ومنه ما يكون إلهاماً وهذا لا إشكال فيه؛ لكنه لا يسمى كلاماً، وإنما الكلام ما تلفظ به صاحبه.

يقول رحمه الله: (**وقال سبْحانه: ﴿فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِي يَا مُوسَى (١١) إِنِّي أَنَا رَبُّكَ﴾**[1]) **﴿فَلَمَّا أَتَاهَا﴾** أي أتى الشجرة **﴿نُودِي يَا مُوسَى﴾** أي ناداه الله جل وعلا، فالمنادي هو الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، دليل ذلك قوله تعالى الذي ذكره المؤلف: (**وقال سبحانه: ﴿إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لا إِلَهَ إِلا أَنَا فَاعْبُدْنِي﴾**[2])، وهل يسوغ أن يكون هذا من غير الله جل وعلا؟ هل يسوغ أن يكون هذا مخلوقاً كما تقول المعتزلة؟

الجواب: لا؛ لأن المخلوق لا يمكن أن يقول لموسى: **﴿إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لا إِلَهَ إِلا أَنَا فَاعْبُدْنِي﴾** فهذا الكلام لا يجوز أن يصدر إلا من الرب جل وعلا.

ويقول رحمه الله: (**وغيْرُ جائِزٍ أنْ يقولَ هذا أَحَدٌ غيْرُ الله تعالىٰ**)؛ لأنه لا يوصف بهذا إلا الله جل وعلا فهو المتكلم بذلك، فلا يجوز أن يكون من خَلْقٍ خَلَقَه، ولا يجوز أن يكون من الشجرة، ولا يجوز أن يكون من ملك، إنما هو من الله جل وعلا.

فموسى عليه السلام اختصه الله بالتكليم نداءً ونجاءً، والله جل وعلا قد أخبر في عشرة مواضع في كتابه بأنه ينادي، والنداء هو في لغة العرب الكلام بصوتٍ عالٍ.

---

([1]) سورة : طه (١١-١٢).

([2]) سورة : طه (١٤).

فدل ذلك على أن كلام الله بحرف وصوت؛ لأنه لا يمكن أن يكون الكلام نداءً إلا إذا كان بصوت، ولذلك ميز الله جل وعلا في تكليمه لموسى بين نوعين من الكلام: بين النداء الذي يدعى به البعيد ويسمع بصوتٍ عالٍ، وبين النجاء الذي يكون بين المتقاربين الذي لا يحتاج معه إلى رفع صوت.

قال الله عز وجل: ﴿وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا (٥٢)﴾[1] فجمع الله لموسى بين النداء وهو الصوت العالي وبين النجاء وهو الكلام بصوتٍ خفي.

فدل ذلك على أن كلام الله جل وعلا بصوت.

في قوله تعالىٰ: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾،[2] ذكرنا وجهاً من أوجه التحريف –تحريف معنوي– قالوا: كَلَّم معناها جَرَّح، هذا تحريف اجعله من أمثله التحريف المعنوي.

هذه الآية أيضاً يجتمع فيها نوع آخر من أنواع التحريف سلكه بعضهم وهو التحريف اللفظي حيث قالوا: وكلم اللهَ موسى تكليماً. فنصبوا لفظ الجلالة فقالوا: كلم اللهَ. فجعلوا المكلِّم من؟ موسىٰ هو المتكلم، والمكلَّم من؟ الله. حيث قالوا: وكلم اللهَ موسى تكليماً.

هكذا طلب أحد أئمة البدعة من بعض القراء أن يقرأ الآية قال له: اقرأ قوله تعالىٰ: وكلم اللهَ موسى تكليماً. فأجابه قال: إن أجبتك في هذه فكيف تصنع في قوله تعالىٰ: ﴿وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ﴾[3]؟ يعني لا سبيل إلى إلغاء تلك القراءة؛ لأنه واضح في تلك القراءة أن الكلام مضاف إلى من؟ إلى الله جل وعلا، فهذه الآية حاول بعضهم أن يحرفها تحريفاً لفظيّاً لكنه عجز.

قال رحمه الله: (**وقالَ عبْدُ الله بنُ مسعودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: إذَا تَكَلَّمَ اللهُ بالوَحْيِ سَمِعَ صَوْتَهُ أَهْلُ السَّماءِ، رُوِي ذلك عَنِ النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**) . والحديث في الصحيحين: ((**إذا تكلم الله بالوحي في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خَضَعَاناً لقوله، كأنه سلسلة على صفوان ينفذهم**))[4].

((**كأنه**)) الضمير يعود إلىٰ أي شيء؟ إلى كلام الله عز وجل ((**كأنه سلسلة**)) أي كأن صوت الله عز

---

[1] سورة : مريم (٥٢).

[2] سورة : النساء (١٦٤).

[3] سورة : الأعراف (١٤٣).

[4] **البخاري**: كتاب التفسير، باب ﴿حتى إذا فزع عن قلوبهم﴾[سبأ:٢٣]، حديث رقم (٤٨٠٠). لم أجده في مسلم.

وجل كالسلسلة على الصفوان، (السلسلة) الحديد الذي يربط بعضه ببعض بحلق صغيرة، كجر السلسلة على الصفوان، والصفوان هو الحجر؛ أي يصدر صوت عظيم ينفذهم من جراء تكلم الرب جل وعلا.

ثم قال رحمه الله: (**وَرَوى عبدُ الله بْنُ أُنَيْسٍ عَنِ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنَّه قالَ: ((يَحْشُرُ الله الخلائِقَ يوْمَ القيامَةِ عُرَاةً حُفاةً غُرْلاً))**). ((**يَحْشُرُ**)) أي يجمع ((**الخلائِقَ يوْمَ القيامَةِ**)) الخلائق يعني بني آدم والجن وسائر ما خلقه الله جل وعلا، فكل ما له روح يبعثه الله عز وجل يوم القيامة من سائر الخلق يحشرهم، كما قال الله جل وعلا في ذكر الحشر: ﴿**وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ (٥)**﴾[1] فالوحوش تحشر يوم القيامة، والوحوش هي كل حيوان متوحش، فإذا كانت الحيوانات المتوحشة التي تفرّ وهرب من غيرها تحشر فما بالكم بالحيوانات التي تألف الناس وتكون بينهم؟ حشرها أيسر، وإنما ذكر الوحوش لأنها في الغالب هرب ممن يريدها ويطلبها، فهي لا تتمكن يوم القيامة من الهرب من الله جل وعلا؛ بل يأتي بها جل وعلا محشورة، وكما في قوله تعالىٰ: ﴿**وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلاَّ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم مَّا فَرَّطْنَا فِي الكِتَابِ مِن شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ (٣٨)**﴾[2] أي كل هؤلاء يحشرون إلىٰ الله عز وجل، كل ما يدب على الأرض أو يطير في السماء فإنه يحشر إلى الله جل وعلا. هذا معنى قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((**يَحْشُرُ الله الخلائِقَ يوْمَ القيامَةِ**))؛ لكن هنا ذكر صفة حشر من؟ بني آدم لأنهم هم المقصودون الأولون في حشر يوم القيامة؛ لأن الجزاء والحساب يقع عليهم قبل غيرهم، وما يكون من جزاء وحساب لغيرهم فهو تابع لهم ((**عُرَاةً حُفاةً غُرْلاً**)) عراةً أي مجردين من كل لباس، حفاةً أي ليس معهم ما يقيهم حر وأهوال ذلك اليوم، ((**غُرْلاً**)) أي قد كمل خلقهم فما فرّط الله جل وعلا من خلقهم في شيء؛ بل يأتون غرلاً أي غير مختونين كما خلقهم الله عز وجل: ﴿**كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ (١٠٤)**﴾[3]. ((**فَيُنَادِيهم –جل وعلا– بصوْتٍ يَسْمَعُهُ مَنْ بَعُدَ، كَمَا يَسْمَعُهُ مَنْ قَرُبَ**)) أي يسمعه كل أحد، هذا معنى قوله: ((**يَسْمَعُهُ مَنْ بَعُدَ، كَمَا يَسْمَعُهُ مَنْ قَرُبَ: أَنَا المِلِكُ، أنَا الدَّيَّان**)). وهذا فيه فائدة أن الناس في حشرهم متفاوتون في المكان، على اتساع المكان فهم منتشرون فيه، فيهم البعيد وفيهم القريب، يُسْمِعُهُم الله عز وجل فيقول: ((**أَنَا المِلِكُ، أنَا**

---

[1] سورة : التكوير (٥).
[2] سورة : الأنعام (٣٨).
[3] سورة : الأنبياء (١٠٤).

**الدَّيَّان**)) هل يسوغ ويجوز أن نقول: إن الذي ينادي يوم القيامة بهذا الصوت: ((**أَنَا الملِكُ، أنَا الدَّيَّان**)) هو غير الله؟ الجواب: لا. لأن هذا لا يكون إلا من الله جل وعلا ((**أَنَا الملِكُ، أنَا الدَّيَّان**)) هذا لا يتكلم به إلا الله جل وعلا، ((**أَنَا الملِكُ**)) فلا مَلِكَ غيره جل وعلا في ذلك اليوم، كما قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿**مَٰلِكِ يَوْمِ الدِّينِ (٤)**﴾،[1] فلا ملك لأحدٍ معه في ذلك اليوم؛ بل كل ملك يسقط فلا يبقى إلا ملك الله جل وعلا، مع أنه مالك الدنيا والآخرة؛ لكن يظهر ملكه في ذلك اليوم لأنه لا منازع له فيه سبحانه وبحمده. ((**أنَا الدَّيَّان**)) أي أنا الذي أحاسبكم، فالديان فَعَّال من المحاسبة أي كثير الحساب، فهو يحاسبهم جل وعلا حساباً سريعاً يقضي به الحقوق و يجزي به على الأعمال.

يقول رحمه الله: (**رواهُ الأئمةُ واسْتَشْهَدَ به البخاريُّ**) .

والشاهد في هذا الحديث قوله: ((**فَيُنَادِيهم بصوْتٍ يَسْمَعُهُ مَنْ بَعُدَ، كَمَا يَسْمَعُهُ مَنْ قَرُبَ: أَنَا الملِكُ، أنَا الدَّيَّان**)).

وهذا فيه فائدة وهي أن كلام الله جل وعلا بصوت، فإنّ النبي صلى الله عليه وسلم أخبر بأن النداء بصوت، وإنّما ذكر الصوت هنا تأكيداً و إلا فالنِّداء لا يكون إلا بصوت رفيع كما ذكرنا عن لسان العرب.

ثم ذكر بعد ذلك قال: (**وفي بعْضِ الآثارِ أنَّ موسى عليْه السلامُ ليْلةَ رأى النّارَ**) إلىٰ آخر ما ذكر نأتي عليه إن شاء الله تعالىٰ غداً.

والله تعالى أعلم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد.

[1] سورة : الفاتحة (٠٤).

# شرح لمعة الاعتقاد

# الهادي إلى سبيل الرشاد

لموفق الدّين بن قدامة المقدسي رحمه الله

لفضيلة الشيخ

خالد بن عبد الله المصلح

الدرس الخامس

www.almosleh.com

## بسم الله الرحمن الرحيم

قال الإمام موفق الدِّين أبو محمد عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي رحمه الله تعالى:

**(وَرَوى عبدُ الله بْنُ أُنَيْسٍ عَنِ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنَّه قالَ: ((يَحْشُرُ الله الخلائِقَ يومَ القيامَةِ عُرَاةً حُفاةً غُرْلاً بُهْمًا فَيُنَادِيهم بصوْتٍ يَسْمَعُهُ مَنْ بَعُدَ، كَمَا يَسْمَعُهُ مَنْ قَرُبَ: أَنَا المِلكُ، أنَا الدَّيَّان)) رواهُ الأئمةُ[1] واسْتَشْهَدَ به البخاريُّ.[2]**

**وفي بعْضِ الآثارِ أنَّ موسى عليْه السلامُ ليْلةَ رأى النّارَ فَهَالَتْهُ، فَفَزِعَ منْها، فَنَاداهُ رَبُّهُ: يا موسى! فأجابَ سريعًا اسْتِئْناسًا بالصَّوْتِ، فَقَالَ: لَبَّيْكَ لَبَّيْكَ أسْمَعُ صوْتَكَ ولا أَرَى مكانَكَ، فأين أنتَ؟ فقال: أنا فَوْقَكَ، وَأَمَامَكَ، وعَنْ يَمِينِكَ، وعَنْ شِمَالِكَ، فَعَلِمَ أنَّ هذِهِ الصِّفَةَ لا تَنْبَغِي إلاَّ للهِ تعالى. قال: كَذَلِكَ أنْتَ يَا إلهي أفكلامَك أسمعُ أمْ كلامَ رسولِك؟ قال: بلْ كلامي يا موسى) .**

بسم الله الرحمـٰـن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وأصلي وأسلم على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه ومن اتبع سنته بإحسان إلىٰ يوم الدين.

أما بعد:

فهذا تتمة الفصل الذي بدأنا فيه، والذي جعله المؤلف رحمه الله لتقرير عقيدة أهل السنة والجماعة فيما يتعلق بصفة الكلام لله عز وجل، في إثبات الكلام لله جل وعلا، وذكرنا في درس الأمس أن صفة الكلام صفة ثابتة له عز وجل بالكتاب والسنة وبإجماع سلف الأمة؛ فإن الأمة أجمعت على إثبات هذه الصفة للرب جلّ وعلا؛ بل إن الكتب كلها تثبت هذه الصفة، والرسل جميعهم جاؤوا مخبرين بأن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أوحى إليهم وكلمهم، وأنه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بعث إليهم وأنه بعثهم إلى الناس وأنزل عليهم كتباً تكلم بها.

فهذه الصفة ثابتة أجمع عليها أهل الإيمان وأهل الإسلام على مر العصور، ومن أنكر صفة الكلام فقد شابه أهل الكفر، وذلك أنّ الكفار كما ذكرنا في الدرس السابق أنكروا إرسال الله عز وجل الرسل وسلكوا في ذلك طريقين:

---

([1]) أخرجه الإمام أحمد في مسنده. والبخاري في الأدب المفرد.

([2])استشهد به البخاري في كتاب التوحيد باب قول الله تعالىٰ: ﴿ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له﴾[سبأ:٢٣].

إما تكذيب أن يكلم الله عز وجل أحداً من رسله.

أو أنهم قالوا: ﴿مَا أَنزَلَ اللّهُ عَلَى بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ﴾(١).

فسلكوا في تكذيب رسالات الرسل هذين المسلكين:

إما تكذيب أن يبعث الله إلى الناس رسولاً: ﴿أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِّنْهُمْ﴾،[2] ﴿أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَاءكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُواْ وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾(٣) ﴿وَمَا قَدَرُواْ اللّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُواْ مَا أَنزَلَ اللّهُ عَلَى بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ﴾[4] فهذه مسالكهم في إبطال الرسالة، سلكوا في ذلك مسلكين:

تكذيب أن يكون الله أوحى أو أنزل كتاباً على أحد من الرسل.

وتكذيب أن يكون الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى كلم أحداً من رسله أو أوحى إليه، إما تكذيب التكليم وإما تكذيب الإنزال.

ولذلك قال العلماء: إن إنكار صفة الكلام حقيقته التطرق والتوصل والتوسل إلى إنكار بعثة الله عز وجل للرسل.

وتقدم لنا أن موسى عليه السلام كلمه الله جلّ وعلا، وأن ما خص الله به موسى من الكلام فارق به سائر الأنبياء والرسل، كما قال الله تعالى: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾،[5] وكما قال جلّ وعلا في خطابه لموسى: ﴿يَا مُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالاتِي وَبِكَلامِي﴾،[6] كل هذا مما تقدم.

ثم قال المؤلف رحمه الله في الاستدلال على هذه الصفة: (**وَرَوى عبدُ الله بْنُ أُنَيْسٍ عَنِ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنَّه قالَ: ((يَحْشُرُ الله الخلائِقَ يوْمَ القيامَةِ**) وذكر صفة الحشر –حشر بني آدم– قال: (**عُرَاةً حُفاةً غُرْلاً بُهْمًا**) فذكر أربعة أوصاف، الذي في الصحيح ذكر الأوصاف الثلاثة الأولى: (**عُرَاةً حُفاةً غُرْلاً**) وأما الصفة الرابعة (**بُهْمًا**) فقد جاءت في مسند الإمام أحمد من حديث عبد الله بن أنيس الذي

---

(١)سورة : الأنعام (٩١).

(٢) سورة : يونس (٢).

(٣) سورة : الأعراف (٦٣).

(٤) سورة : الأنعام (٩١).

(٥) سورة : النساء (١٦٤).

(٦) سورة : الأعراف (١٤٤).

ذكره المؤلف رحمه الله قالوا: يا رسول الله وما (**بُهْمًا**)؟ يعني ما معنى (**بُهْمًا**)؛ قال: ((**ليس معهم شيء**)) فمعنى قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (**بُهْمًا**) أي ليس معهم شيء كما بين ذلك رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (**فَيُنَادِيهم بصوْتٍ**) وهذا محل الشاهد من الحديث ((**فَيُنَادِيهم بصوْتٍ يَسْمَعُهُ مَنْ بَعُدَ، كَمَا يَسْمَعُهُ مَنْ قَرُبَ: أَنَا الملِكُ، أنَا الدَّيَّان**)) وهذا الحديث رواه جابر بن عبد الله رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عن عبد الله ابن أنيس، وهو الحديث الذي رحل جابر من المدينة إلى الشام في طلبه، فإنه بلغه أن رجلاً من أصحاب النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يحدث عن فصل القضاء والحكم بين الناس، فرحل فاشترى بعيراً فشد عليه رحله، ثم ذهب إلى الشام فطرق على عبد الله بن أنيس فقال: إنه بلغني أنك تحدث حديثاً عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم أسمعه، فخشيت أن تموت أو أموت قبل أن أسمعه. فأخذه منه رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وفيه ما ساقه المؤلف رحمه الله هنا من حشر الخلائق.

قال المؤلف رحمه الله: (**رواهُ الأئمةُ واسْتَشْهَدَ به البخاريُّ**) وأصل الحديث في الصحيحين من حيث ثبوت صفة الحشر فهذا في الصحيحين،[1] وكذلك نداء الله عز وجل في الصحيح –في صحيح الإمام مسلم– وكذلك نداء عز وجل للخلائق يوم المحشر.[2]

ثم قال رحمه الله: (**وفي بعْضِ الآثارِ**) أي الآثار عن الأنبياء المتقدمين (**أنَّ موسى ليْلةَ رأى النّارَ**) هـــٰذا الأثر رواه ابن أبي عاصم في كتاب الزهد بسنده إلى وهب بن منبه، ووهب بن مُنَبِّهٍ أو ابن مَنْبَهٍ من الرواة الذين أكثروا النقل عن بني إسرائيل. قال الذهبي رحمه الله في ترجمته: غزارة علمه في الإسرائيليات ومن صحائف أهل الكتاب. يعني غالب ما عنده من العلم إنما هو من الإسرائيليات ومن صحائف أهل الكتاب. وهذا من ذلك والله أعلم. له رواية عن ابن عباس، وله رواية عن أبي هريرة؛ لكن هذا من روايته عن أهل الكتاب من الإسرائيليات أو من صحائف أهل الكتاب.

يقول: (**وفي بعْضِ الآثارِ أنَّ موسى عليْه السلامُ ليْلةَ رأى النّارَ هَالَتْهُ، ففَزِعَ منْها، فَنَاداهُ رَبُّهُ: يا موسى! فأجابَ سريعًا استِئْناسًا بالصَّوْتِ، فَقَالَ: لَبَّيْكَ لَبَّيْكَ**) أي أجيبك إجابة بعد إجابة (**أسْمَعُ صوْتَكَ ولا أَرَى مكانَكَ، فأين أنتَ؟**) وهذا فيه أنه سأل عن الله عز وجل بـــ(**أين**) التي هي من أعظم

---

[1] **البخاري**: كتاب الرقاق، باب الحشر.
**مسلم**: كتاب الجنة، باب فناء الدنيا وبيان الحشر يوم القيامة.

[2] **مسلم**: كتاب صفة القيامة والجنة والنار ، الحديثان رقم (٢٧٨٧، ٢٧٨٨).

الكبائر عند أهل الكلام أن تسأل عن الله عز وجل بـــ(أين) مع أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سأل الجارية فقال لها: ((أين الله؟))[1] وموسى في هذه الأثر الإسرائيلي قال: (فأين أنتَ؟ فقال: أنا فَوْقَكَ، وَأَمَامَكَ، وعَنْ يَمِينِكَ، وعَنْ شِمَالِكَ) وهذا ليس فيه أنّ الله مخالط للخلق؛ بل هذا لا ينافي ما تقدم مما نعتقده ودل عليه الكتاب والسنة وأجمع عليه سلف الأمة من أن الله جلّ وعلا بائن من خلقه، ليس فيه شيء من خلقه ولا هو في شيء من خلقه؛ بل هو العلي الأعلى جلّ وعلا مستوٍ على عرشه بائن من خلقه، وإنما هـــٰذه الإحاطة المذكورة هنا هي إحاطة العلم والقرب، وليست إحاطة المخالطة والممازجة تعالىٰ الله عن ذلك علوّاً كبيراً، (فَعَلِمَ أنَّ هذِهِ الصِّفَةَ لا تَنْبَغِي إلاَّ للهِ تَعالى. قال: كَذَلِكَ أنْتَ يَا إلهي) يعني هكذا صفة الإلـــٰه (أفَكلامَك أسمعُ) يعني هذا الكلام الذي أسمع وهو النداء (يا موسىٰ) هو كلامك؟ (أمْ كلامَ رسولِك؟ قال: بلْ كلامي يا موسى) ولا شك أن الكلام الذي سمعه موسى عليه السلام في تلك الليلة هو كلام رب العالمين، لا يمتري في ذلك صاحب عقل سليم وقلب من الشبه سليم؛ لأن الله جلّ وعلا قال في تلك الليلة: ﴿يَا مُوسَى (١١) إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ﴾[2] وقال: ﴿إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لا إِلَهَ إِلا أَنَا فَاعْبُدْنِي﴾،[3] ولا يمكن أن يكون هذا صادراً عن غير الله جلّ وعلا؛ لأنه لا يجوز لملك ولا لمخلوق من خلق الله عز وجل أن يقول: ﴿إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لا إِلَهَ إِلا أَنَا فَاعْبُدْنِي﴾.

فعُلم بهذا أن الكلام الذي سمعه موسى عليه السلام هو كلام رب العالمين، وهذا واضح جلي يدركه كل أحد يطلع على كلام الله عز وجل، ويقرأ ما جاء في شأن هذه القصة من كلام الله عز وجل، وما جاء في السنة النبوية من ذلك.

لكن هؤلاء لما انحرفت قلوبهم وانصرفت عن الحق شبَّهوا فشبِّه عليهم وخلّطوا فاختلط عليهم الأمر فكانوا كما قال الله عز وجل: ﴿وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ (١٧٦)﴾[4] أي لفي اختلاف ونزاع وتفرق واضطراب كما قال الله جلّ وعلا: ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَهُمْ فِي أَمْرٍ

---

[1] **مسلم**: كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب تحريم الكلام في الصلاة، حديث رقم (٥٣٧).

[2] سورة : طه (١١-١٢).

[3] سورة : طه (١٤).

[4] سورة : البقرة (١٧٦).

مَّرِيجٍ (٥)﴾،[١] أي هم في أمر مضطرب مختلط فاسد، هكذا هي حال كلِّ من خالف الكتاب أو أعرض عنه أو لم يقبل ما جاء فيه.

ثم بعد ذلك قال المؤلف رحمه الله:

## فصل

(ومِنْ كلامِ الله سبْحانه القرآنُ العظيمُ، وهو كتابُ الله المبينُ، وحَبْلُه المتينُ، وصراطُهُ المستقيمُ، وتَنْزِيلُ رَبِّ العَالَمِينَ، نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ، عَلَى قَلْبِ سَيِّدِ المرسَلِينَ بلسانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ،[٢] مُنَزَّلٌ غيْرُ مخلوقٍ، مِنْهُ بَدَأَ وإليْهِ يَعُودُ.

وهُوَ سُوَرٌ مُحْكَمَاتٌ، وآياتٌ بَيِّنَاتٌ، وحُرُوفٌ وكَلِماتٌ مَنْ قَرَأَهُ فَأَعْرَبَهُ فَلَهُ بِكُلِّ حَرْفٍ عشْرُ حسَنَاتٍ. لَهُ أَوَّلٌ وآخِرٌ، وأجْزاءٌ وأَبْعاضٌ، مَتْلُوٌّ بالألسِنَةِ محْفوظٌ في الصُّدورِ، مَسْمُوع بالآذانِ، مَكْتوبٌ في المصاحِفِ)

يقول المؤلف رحمه الله في هذا الفصل: (ومِنْ كلامِ الله سبْحانه القرآنُ العظيمُ) بعد أن قرّر المؤلف رحمه الله في الفصل السابق إثبات صفة الكلام لله جلّ وعلا من الكتاب والسنة والآثار انتقل إلى الحديث عن القرآن الذي وقع الخلاف فيه بين طوائف من أهل الإسلام فأنكروا أن يكون القرآن كلام الله جلّ وعلا، كما كان عليه سلف الأمة من الصحابة والتابعين وأئمة الدِّين من بعدهم.

يقول رحمه الله: (ومِنْ كلامِ الله سبْحانه القرآنُ العظيمُ)، (مِن) هنا للتبعيض؛ لأنّ كلام الله جلّ وعلا لا يختصّ القرآن؛ أي إن كلام الله جلّ وعلا كثير، كما قال الله جلّ وعلا: ﴿قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي﴾،[٣] فكلام الله جلّ وعلا كثير متنوع:

- منه ما يتعلق بالخلق.
- ومنه ما يتعلق بالشرع.

فكلامه الشرعي هو الذي أوحاه إلى رسله.

---

(١) سورة : ق (٥).

(٢) قال تعالىٰ: ﴿وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٩٢) نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ (١٩٣) عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ (١٩٤) بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ (١٩٥)﴾.[الشعراء:١٩٢-١٩٥].

(٣) سورة : الكهف (١٠٩).

وكلامه الكوني الخَلْقي هو الذي يوجد به ما يوجد ويحدث به ما يحدث من أمر خلقه سبحانه وبحمده، فبه يدبر أمر مملكته جلّ وعلا.

قوله رحمه الله: (**وَمِنْ كلامِ الله**) أي من كلامه الشرعي الذي تكلم به فيما يتعلق بالشرائع والأديان (**وَمِنْ كلامِ الله سبْحانه القرآنُ العظيمُ**) القرآن هو كتاب الله الحكيم الذي أنزله على النبي محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهو حجة الله على هذه الأمة، وهو أعظم آيات الأنبياء، قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كما في صحيح الإمام مسلم وغيره: ((**ما من نبي إلا وأوتي من الآيات ما على مثله آمن البشر، وكان الذي أوتيته وحياً أوحاه الله إلي**)) يعني كان أعظم وأجل ما أوتيه النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الآيات القرآن، ولذلك لم يذكر غيره صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ((**وكان الذي أوتيته وحياً أوحاه الله إلي**))، ثم بين عظيم أثر هذا الذي خُص به صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: ((**فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً**))[1] لعظيم بركة القرآن وأثره، وأنه آية ممتدة، ليست آية محصورة في زمان أو مكان؛ بل هي ممتدة في كل زمان، وفي كل مكان، فهي آية باقية، ولذلك كان تأثيره وأثره من أعظم ما يكون.

المراد أن هذا القرآن كلام الله جلّ وعلا، ما الدليل على هــٰذا؟

الأدلة على هذا تفوق الحصر، فإن الله سبحانه وتعالى أخبر بأنه أنزل القرآن من لدنه جلّ وعلا، وأخبر جلّ وعلا أنه تكلم به، ووصفه بأنه كلامه كما قال تعالى: ﴿**وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلاَمَ اللّهِ**﴾،[2] ولا خلاف بين أهل التفسير أنّ المراد بكلام الله في الآية القرآن، فالأدلة من الكتاب ومن السنة على أن القرآن كلام الله أكثر من أن تحصى.

وهذا من الأمر الذي أجمع عليه السلف وهو معلوم من الدين بالضرورة، ولذلك من جحد أن القرآن كلام الله فهو كافر، وقد تكلم بهذا سلف الأمة فقالوا: من جحد أن القرآن كلام الله كفر.

لماذا قالوا هــٰذا؟ لأن الأدلة على هذا من أوضح ما يكون، ومن أكثر ما يكون، ولذلك قالوا: القرآن كلام الله مما يعلم من الدين بالضرورة؛ يعني لا يحتاج الإنسان إلى أن يصل إلى هذه النتيجة من خلال التفكير والنظر والتدبر وإعادة الفكر في النصوص حتى يستنتج وحتى يتوصل إلى أن القرآن كلام الله؛ بل

---

(1) **البخاري**: كتاب فضائل القرآن، باب كيف نزل الوحي؟ وأول ما نزل، حديث رقم (٤٩٨١).

**مسلم**: كتاب الإيمان، باب وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلىٰ جميع الناس، حديث رقم (١٥٢).

(2) سورة : التوبة (٦).

إنه يصل إلىٰ ذلك بأدنى نظر في كلام الله عز وجل وفي كلام رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وفي آثار الصحابة والتابعين وسلف الأمة الصالحين.

فإن كون القرآن من كلام الله من أظهر ما يكون.

يقول رحمه الله: (**وهو كتابُ الله المبينُ**) كتاب الله أضافه إلى نفسه؛ لأنه هو الذي تكلم به، ووصفه بأنه المبين؛ لأنه أبان السبل: هدى الله به من الضلالة وأخرج به من الظلمات إلى النور، وهو الكتاب الذي يهدي إلىٰ الصراط المستقيم.

قال: (**وحَبْلُه المتينُ**) أي حبله جلّ وعلا المتين، حبله الممدود منه جلّ وعلا بينه وبين خلقه، وقد روى الترمذي من حديث زيد بن أرقم أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وصف الكتاب بأنه: ((**حبل ممدود من السماء**))،[1] والمقصود بالحبل الممدود من السماء القرآن، حيث قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((**إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي أبداً: كتاب الله حبله الممدود من السماء** ))،[2] وقد جاء هذا عن عبد الله بن مسعود وعن غيره، وقد فسر جماعة من أهل العلم قول الله تعالىٰ: ﴿**وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا**﴾[3] بأنه القرآن، وقيل: الإسلام، وقيل: عهد الله، وقيل: طاعته وأمره. قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: وكل هذا حق. يعني كله مما يجب الاعتصام به وكله من حبل الله عز وجل، ويجمع هذا أن يقال: إن حبله القرآن؛ لأنه إذا اعتصم بالقرآن فقد اعتصم بطاعة الله وأمره، إذا اعتصم بالقرآن فقد اعتصم بعهده، إذا اعتصم بالقرآن فقد اعتصم بدين الإسلام. فالقرآن هو أجمع هذه المعاني، ولذلك قال رحمه الله: وكل هذا حق.

المراد أن المقصود بقوله: (**وحَبْلُه المتينُ**) أي حبله الشديد القرآن الكريم، (**وحَبْلُه**) وقد وصفه الله بذلك وجاء وصفه في سنة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كما ذكرنا في حديث الترمذي من حديث زيد بن أرقم.

---

([1]) أورده الشيخ الألباني في الصحيحة برقم (٢٠٢٤).

([2]) **سنن الترمذي**: كتاب المناقب، باب مناقب أهل البيت، حديث رقم (٣٧٨٨). قال الشيخ الألباني: صحيح.

([3]) سورة : آل عمران (١٠٣).

قال: (**وصراطُهُ المستقيمُ**) وصف القرآن بأنه الصراط المستقيم، والصراط هو الطريق الواسع في لغة العرب. وقد فسّر جماعة من العلماء قول الله تعالىٰ: ﴿اهدِنَا الصِّرَاطَ المُستَقِيمَ (٦)﴾[1] بأنه القرآن.

وقد قال الله عز وجل في وصفه لرسوله: ﴿ وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ (٥٢)﴾[2] فالصراط المستقيم هو كتاب الله الحكيم.

قال رحمه الله: (**وتَنْزِيلُ رَبِّ العَالَمِينَ**)، لا إشكال أنّ القرآن تتريل رب العالمين، يدل لذلك الآيات الكثيرة التي أخبر الله فيها بتتريل الكتاب:

﴿ حم (١) تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ (٢)﴾،[3] ﴿ تَنزِيلُ الْكِتَابِ لا رَيْبَ فِيهِ﴾[4]،﴿ تَنزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (٢) ﴾،[5] وما إلى ذلك من الآيات الكثيرة التي يخبر الله جلّ وعلا فيها بتتريل الكتاب من لدنه جلّ وعلا، فالقرآن مترل من الله سبحانه وتعالىٰ.

(**نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ**) أي جبريل، (**عَلَى قَلْبِ سَيِّدِ المرسَلِينَ**) أي على قلب محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سيد المرسلين.

(**بلسانٍ عَرَبِيٍّ مُبينٍ**). قال الله تعالىٰ: ﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ (١٠٢)﴾،[6] فأنزل الله عز وجل هذا القرآن على قلب محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كما قال المؤلف رحمه الله: (**نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ**) أي جبريل (**عَلَى قَلْبِ سَيِّدِ المرسَلِينَ بلسانٍ عَرَبِيٍّ مُبينٍ**) ولا إشكال أنه نزل بلسان عربي؛ أي بكلام (**عَرَبِيٍّ**) ليس فيه اشتباه ولا التباس، (**مُبينٍ**) أي ظاهر واضح الدلالة، واضح المعاني.

قال رحمه الله: (**مُنَزَّلٌ غيْرُ مخلوقٍ**) وهذا فيه الرد على الجهمية والمعتزلة، قال: (**مُنَزَّلٌ**) ردّاً على من قال: إن القرآن ليس من لدن الله جلّ وعلا، وقال: (**غيْرُ مخلوقٍ**) رد به على من قال: إنه مترل من الله وهو كلام الله لكنه مخلوق، وهذا قول الجهمية الذين جرت منهم فتنة عظيمة على أهل الإسلام في أوائل

---

(1) سورة : الفاتحة (٦).

(2) سورة : الشورى (٥٢).

(3) سورة : الأحقاف (١-٢)، الجاثية (١-٢).

(4) سورة : السجدة (١-٢).

(5) سورة : فصلت (٢).

(6) سورة : النحل (١٠٢).

القرن الثالث الهجري؛ حيث فتنوا الناس وعذبوا العلماء في مسألة خلق القرآن وآزرهم في ذلك وبدأ شر هـٰذه الفتنة في زمن المأمون فلما توفي سنة (٢١٨هـ) ثماني عشرة ومائتين للهجرة تولى كبر هذه الفتنة بعده أخوه المعتصم واستمرت الفتنة حتى رفعها الله وأنقذ الأمة بالإمام أحمد بن حنبل كما قال علي بن المديني رحمه الله: إن الله أنقذ هذا الدين بأبي بكر في الردة وبأحمد أي ابن حنبل رحمه الله يوم الفتنة أو يوم المحنة. فإن الله ثبّت الإمام أحمد على الحق والهدى حتى غدا إمام الدنيا في زمانه ومن بعده؛ حيث ربط الله على قلبه وسدده ووفقه إلى التمسك بما دلّ عليه الكتاب والسنة من أن القرآن كلام الله غير مخلوق.

فقول المؤلف رحمه الله: (**مُنَزَّلٌ غيْرُ مخلوقٍ**) يرد على من؟ على الجهمية الذين قالوا: القرآن كلام الله؛ لكنه مخلوق فقال: (**مُنَزَّلٌ**) كما يعتقد أهل السنة والجماعة وكما يقول الجهمية لكنه (**غيْرُ مخلوقٍ**)، فكلام الله صفة من صفاته ليس خلقاً من خلقه.

قال رحمه الله: (**مِنْهُ بَدَأَ**) وهذه اللفظة جاءت عن جماعة من السلف الصالحين (**مِنْهُ بَدَأَ**)، ومعنى قولهم: (**مِنْهُ بَدَأَ**) أي هو المتكلم به لم يبتدئ من غيره، (**مِنْهُ بَدَأَ**) معناها أي هو المتكلم به؛ أي هو المتكلم بالقرآن سبحانه وبحمده، لم يبتدئ من غيره، فقوله: (**مِنْهُ**) (**من**) هنا لابتداء الغاية، والضمير يعود إلى الله جلّ وعلا، (**بَدَأَ**) أي هو الذي ابتدأه وتكلم به، لم يكن من غيره ولم يبدأ من غيره؛ لأن الجهمية يقولون: كلام الله لكنه بدأ من غيره. ففي قصة موسى يقولون: بدأ من الشجرة وأن الشجرة هي التي تكلمت، أو من ملك فهو الذي تكلم. وهم بهذا كاذبون مكذِّبون للقرآن الكريم، مكذبون لما عليه النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والصحابة والتابعون.

يقول رحمه الله: (**مِنْهُ بَدَأَ**) عرفنا معنى (**مِنْهُ بَدَأَ**)، ما معناها ؟ أي إنه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى هو الذي تكلم به، ما دليل ذلك ؟ ما دليل أنه منه بدأ ؟ الآيات الكثيرة في كلام الله عز وجل في الكتاب الحكيم التي تخبر بأن القرآن تكلم به الرب.

من ذلك قول الله تعالىٰ: ﴿**وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى الْقُرْآنَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ (٦)**﴾،[1] ﴿**مِن لَّدُنْ**﴾ فـ﴿**مِنْ**﴾ هنا لابتداء الغاية ﴿**مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ**﴾، ومنه قول الله تعالىٰ: ﴿**وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي**﴾.[1]

---

([1]) سورة : النمل (٦).

وكذلك قوله تعالىٰ: ﴿كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ (١)﴾[2] ومنه قول الله تعالىٰ: ﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ (٢)﴾،[3] فـــ(من) في هذه الآيات كلها وفيما يشابهها ما معناها؟ ابتدائية؛ تفيد ابتداء الغاية، وهذا دليل قول المؤلف رحمه الله: (**مِنْهُ بَدَأَ**)، يعبر بعض السلف بقولهم: (منه خرج) ويريدون بهذا أن الكلام من الله جلّ وعلا ابتدأ، وقد جاء ذلك في بعض الأحاديث، ففي جامع الترمذي من حديث أبي أمامة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **((وما تقرب العباد إلى الله بمثل ما خرج منه))** يريد ماذا ؟ يريد القرآن، **((وما تقرب العباد إلىٰ الله بمثل ما خرج منه))**، هكذا جاء في جامع الترمذي، وقال أبو النضر أحد رواة الحديث: يعني القرآن، وهذا الحديث قال عنه الترمذي: غريب؛[4] لكن على كل حال جاء ما يعضده من طريق جبير بن نفير مرسلاً في مسند الإمام أحمد وأيضاً ذكره الترمذي قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **((إنكم لن ترجعوا إلى الله بأفضل مما خرج منه))**،[5] وقد تكلم بهذا السلف.

ومرادهم بهذه العبارة أن الكلام من الله جلّ وعلا ابتدأ و لم يخلقه في غيره كما تقول المعتزلة والجهمية، ومرادهم أيضاً من هذه العبارة أن الكلام صفة الله عز وجل.

فالمتكلم إذا خرج منه الكلام، هل يخرج مخلوق أو هو صفة له؟ صفة له، ولذلك قال الله جلّ وعلا: ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ﴾،[6] هل يخرج من كلام الإنسان خلق وعين أم الكلام صفة له وإن تكلم به وظهر منه؟ الكلام صفة له وإن ظهر منه وخرج منه؛ لكنه يكون على وجه الصفة.

قال رحمه الله: (**وإِلَيْهِ يَعُودُ**) (**إِلَيْهِ**) أي إلى الله جلّ وعلا يعود، ما الذي يعود؟ الفاعل ما هو؟ القرآن، إليه يعود أي إليه يرجع، وقد جاء ذلك في عدة آثار:

---

=

(1) سورة : السجدة (١٣).

(2) سورة : هود (١).

(3) سورة : الزمر (١)، الجاثية (٢)، الأحقاف (٢).

(4) **سنن الترمذي**: كتاب ثواب القرآن، باب (١٧)، حديث رقم (٢٩١١). قال الشيخ الألباني: ضعيف.

(5) **سنن الترمذي**: كتاب ثواب القرآن، باب (١٧)، حديث رقم (٢٩١٢). قال الشيخ الألباني: ضعيف.

(6) سورة : الكهف (٥).

من ذلك ما جاء عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((**يسرى على القرآن في ليلة يوشك أن يترع القرآن منكم**)) قالوا: يا رسول الله كيف يترع وقد أثبته الله في قلوبنا وأثبتناه في كتبنا؟ فقال: ((**يسرى عليه في ليلة فلا يبقى في الصدور منه كلمة، ولا في الصحف منه آية ويصبح الناس منه فقراء**)) أي ليس معهم منه شيء.

وهذا معنى ما ذكره السلف رحمهم الله من قولهم: (**وإليه يعود**) أي إليه يرجع، فالقرآن يرجع إلى الله عز وجل؛ لكن متى؟ لما يتعطل العمل به ولا ينتفع الناس منه، وذلك في آخر الزمان. وهذا لعظيم مكانة القرآن عند الرب جلّ وعلا، كما أن البيت يُرفع وهو القبلة، فكذلك القرآن يرفع وهو صفة الله عز وجل؛ لأن الناس يُعرضون عنه، فإذا أعرضوا عنه رفعه الله عز وجل لعدم انتفاع الناس به.

قال رحمه الله: (**وهُوَ**) أي القرآن (**سُوَرٌ مُحْكَمَاتٌ**) الدليل على ذلك قول الله تعالى: ﴿**كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ (١)**﴾[1] فالإحكام هنا في قوله رحمه الله: (**وهُوَ سُوَرٌ مُحْكَمَاتٌ**) أي سور متقنات ﴿**لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ**﴾[2] فليس فيه اضطراب ﴿**وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلاَفًا كَثِيرًا (٨٢)**﴾[3] وهذا هو الإحكام الذي يوصف به القرآن كله.

ومنه قول الله تعالى: ﴿**اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا**﴾[4] فمعنى المتشابه أي الذي يصدق بعضه بعضاً، ما فيه اعتراض، لا ينقض آخره أوله ولا يكذب بعضه بعضاً؛ بل يصدق بعضه بعضاً، وهذا من الإحكام.

إذاً قوله رحمه الله: (**وهُوَ سُوَرٌ مُحْكَمَاتٌ**) ماذا يريد ؟ أنه متقن، يصدق بعضه بعضاً، لا فيه خلل ولا عيب ﴿**لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ**﴾.[5]

---

(1) سورة : هود (١).
(2) سورة : فصلت (٤٢).
(3) سورة : النساء (٨٢).
(4) سورة : الزمر (٢٣).
(5) سورة : فصلت (٤٢).

قال رحمه الله: (**وآياتٌ بَيِّنَاتٌ**). المؤلف رحمه الله بين لنا مم يتكون القرآن: من سور، وهذا أكبر ما يكون من الاجتماعات في القرآن، أكبر التقسيمات للقرآن سور، ثم آيات، ثم أحرف، ولذلك قال: (**وهُوَ سُوَرٌ مُحْكَمَاتٌ، وآياتٌ بَيِّنَاتٌ**) ومعنى (**بَيِّنَاتٌ**) أي واضحات الدلالة، لا لبس فيها ولا غموض لمن فتح الله بصيرته وهدى قلبه.

قال: (**وحُرُوفٌ وكَلِماتٌ**) المراد بالحروف هنا:

إما أن يريد بالحروف الكلمات؛ يعني إما أن يريد بالحرف الكلمة، وهــٰذا هو الاستعمال العربي الأول الفصيح الذي جاءت به السنة، أن الحرف يطلق على الكلمة لا على المفرد الهجائي، ومنه ما رواه ابن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ في قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((**من قرأ حرفاً من كتاب الله فله به حسنه**))، المراد بالحرف هنا ليس المفرد الهجائي، إنما المراد بالحرف الكلمة، ولذلك قال: ((**لا أقول ﴿الم﴾ حرف، بل ألف حرف ولام حرف وميم حرف**))؛[1] لأن القارئ إذا قرأ ﴿الم﴾ ماذا يقرأ؟ يقول: أَلَمْ؟ اقرأ أول سورة البقرة كيف تقرؤها؟ (ألف، لام، ميم) فكل حرف من هذه الأحرف هو كلمة؛ لأنه لا يُنطق حرف ما تقول (أَ لَــ مْ) إنما تقرؤها (ألف، لام، ميم)، فالحرف في كلام العرب بمعنى الكلمة.

فمثلاً قول الله تعالى: ﴿**قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (١)**﴾[2] كم فيها من حرف؟ أربعة أحرف؛ لأن الحرف هو الكلمة، ﴿**قُلْ... هُوَ... اللَّهُ... أَحَدٌ**﴾.

هذا هو الحرف في كلام النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولسان العرب.

الاصطلاح الحادث بعد ذلك أن الحرف هو المفرد الهجائي فــ﴿**قل**﴾ فيها حرفان، ﴿**الله**﴾ فيها أربعة، أو خمسة إذا حسبنا التشديد، ﴿**أحد**﴾ فيها ثلاثة أحرف.

فهل المقصود بالكلمة في قول النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ((**من قرأ حرفاً من كتاب الله**)) أن الهمزة والحاء والدال ثلاثة حروف في قوله: ﴿**أحد**﴾ أم أن ﴿**أحد**﴾ هي حرف واحد؟ ﴿**أحد**﴾ هي حرف واحد.

---

([1]) **سنن الترمذي**: كتاب ثواب القرآن، باب ما جاء فيمن قرأ حرفاً من القرآن ما له من الأجر، حديث رقم (٢٩١٠). وقال الترمذي: هــٰذا حديث حسن صحيح غريب من هــٰذا الوجه.

قال **الشيخ الألباني**: صحيح. وأورده في السلسلة الصحيحة برقم (٣٣٢٧).

([2]) سورة : الإخلاص (١).

فقول المؤلف رحمه الله: (**وحُرُوفٌ وكَلِماتٌ**) قد يكون هذا من عطف الترادف؛ لأن الحروف هي الكلمات.

وقد يكون مراده بالحروف الحرف الهجائي؛ لأن الكلمة تتكون من حروف هجائية، فيكون بهذا قد جرى على أي شيء؟ على الاصطلاح الحادث.

يقول رحمه الله: (**مَنْ قَرَأَهُ فَأَعْرَبَهُ فَلَهُ بِكُلِّ حَرْفٍ عشْرُ حسَنَاتٍ**) ما معنى (**فَأَعْرَبَهُ**)؟ يعني قال: هذا مبتدأ وهذا خبر وهذا فعل وهذا فاعل وهذا حرف جر وهذا مجرور؟ لا؛ معنى (**أَعْرَبَهُ**) أي إما أن يكون أتقن قراءته فيكون المعنى أعربه أي رتله؛ لأن قول الله تعالىٰ: ﴿وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً (٤)﴾[1] قيل: الترتيل هو أن تقرأ القرآن كما أنزل معرباً، ما تجر المنصوب وتكسر المفتوح أو ما أشبه ذلك من التحريفات التي تجري بسبب ضعف اللسان.

فقوله رحمه الله: (**فَأَعْرَبَهُ**) أي إنه أتقن قراءته على الوجه الذي نزل به، (**مَنْ قَرَأَهُ**) أي من قرأ القرآن (**فَأَعْرَبَهُ فَلَهُ بِكُلِّ حَرْفٍ**) **حرف** هجائي أو كلمة؟ بكل كلمة (**عشْرُ حسَنَاتٍ**) كما قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيما رواه الترمذي من حديث ابن مسعود: ((**من قرأ حرفاً من كتاب الله فله به حسنة والحسنة بعشرة أمثالها، لا أقول: ألم حرف، بل ألف حرف، ولام حرف، وميم حرف**))، قال الترمذي رحمه الله: حديث حسنٌ صحيح.[2]

ثم قال: (**لَهُ أَوَّلٌ وآخِرٌ**) لا إشكال أن القرآن له أول وآخر، فأوله بسم الله الرحمن الرحيم في سورة الفاتحة وآخره آخر ما ذكر الله في سورة الناس: ﴿ مِنَ الجِنَّةِ وَالنَّاسِ(٦)﴾، ف(**لَهُ أَوَّلٌ وآخِرٌ**).

يقول رحمه الله: (**وأجْزاءٌ وأَبْعاضٌ**) هذا يرد به على الذين قالوا: إن كلام الله معنىً قائم بالنفس، ليس له حرف ولا أجزاء ولا أبعاض، فهو بهذا يرد على الأشاعرة والكُلابية الذين قالوا: كلام الله معنىً يقوم بالنفس. ما فيه أحرف ولا كلمات وليس أجزاءً ولا أبعاضاً؛ بل حتى الذين قالوا: إنه معنىً واحد، أو ثلاثة معانٍ أو خمسة معانٍ، يقولون: هذا التقسيم ليس أجزاءً ولا أبعاضاً؛ بل الكلام الذي يصفون به الله عز وجل معنىً قائم بالنفس أبدي أزلي، فهو في الأزل والأبد لا يتبين منه حرف ولا صوت، معناه واحد، إن عُبِّر عنه بالعربية كان قرآناً وإن عُبِّر عنه بغير ذلك كان على حسب ما عُبِّر عنه إما توراةً وإما

---

[1] سورة : المزمل (٤).

[2] تم تخريجه صفحة (٢).

إنجيلاً، هكذا قالوا، وهم بهذا يكذِّبون القرآن ويكذبون ما جاء عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأجمعت عليه الأمة.

إذاً مراد المؤلف رحمه الله من قوله: (**وأجْزاءٌ وأَبْعاضٌ**) أي إن كلام الله مكون من حروف وكلمات كما تقدم، فليس معنىً قائماً في النفس.

قال: (**مَتْلُوٌّ بالألسِنَةِ**) أي تقرؤه ألسنة المسلمين (**محْفوظٌ في الصُّدورِ**) فلا يخرج بكونه متلوّاً بالألسنة وبكونه محفوظاً في الصدور، عن أن يكون القرآن كلام رب العالمين، لا يخرج، بل هو كلام الله عز وجل متلو بالألسنة محفوظ في الصدور.

لماذا ذكر المؤلف هذا؟ ذكر المؤلف هذا حتى لا يقول قائل: القرآن الذي بين أيدينا ليس كلام الله.

نقول: الكلام الذي بين أيدينا والذي في صدور من حفظ، وفي صحف من كتب، وفي ألسنة من قرأ هو كلام الله جلّ وعلا؛ لأن الكلام يضاف إلى من تكلّم به ابتداءً، لا إلى من قرأه أو كتبه أو حفظه.

فالآن نحن نقول: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((**إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى**))[1] هذا كلام من؟ كلام النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، الرواة الذين نقلوه عمر ومن بعده رَضِيَ اللهُ عَنْهُم هل نقلوا ذلك على أنه كلامهم أو أنه كلام رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ أنه كلام رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

الأمة لما تلقت هذا الحديث عنهم تلقته على أنه منهم أو من النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ من النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فهو كلام النبي، تلفظ به من تلفظ وكتبه من كتبه، وحفظه من حفظه، لا يخرجه هذا كله عن أن يكون كلام رب العالمين.

وهذا مراد المؤلف رحمه الله بقوله: ( **مَتْلُوٌّ بالألسِنَةِ محْفوظٌ في الصُّدورِ، مَسْمُوع بالآذانِ، مَكْتوبٌ في المصاحِفِ**) فكل هذا لا يخرجه عن كلام رب العالمين، فهو كلام الله عز وجل كان كذا أو كذا أو كذا.

---

[1] **البخاري**: كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ... حديث رقم (١).
**مسلم**: كتاب الإمارة باب قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إنما الأعمال بالنية وأنه يدخل فيه الغزو وغيره من الأعمال. حديث رقم (١٩٠٧).

قال المؤلف رحمه الله:(فِيهِ مُحْكَمٌ ومُتَشابِهٌ، ونَاسِخٌ ومنْسُوخٌ، وخاصٌ وعامٌّ، وأمْرٌ ونَهْيٌ ﴿لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾،[1] ﴿قُلْ لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَن يَأْتُواْ بِمِثْلِ هَـــذَا الْقُرْآنِ لاَ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا (٨٨)﴾.[2]

وهُوَ هَذَا الكتابُ العربيُّ الّذي قال فِيهِ الذين كَفَرُوا: ﴿لَن نُّؤْمِنَ بِهَذَا الْقُرْآنِ﴾،[3] وقال بعضُهم: ﴿إِنْ هَذَا إِلا قَوْلُ الْبَشَرِ﴾،[4] فَقال الله سُبْحانه: ﴿سَأُصْلِيهِ سَقَرَ﴾،[5] وقَالَ بَعْضُهم: هو شِعْرٌ. فقال الله تعالىٰ: ﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ﴾[6]).

يقول المؤلف رحمه الله: (فِيهِ مُحْكَمٌ ومُتَشابِهٌ)، (فيه) الضمير يعود إلى القرآن (فِيهِ مُحْكَمٌ ومُتَشابِهٌ)، دليل ذلك قول الله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ يعني هُن أصله ﴿وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ﴾[7] فالقرآن فيه محكم ومتشابه، ما معنى قوله تعالىٰ: ﴿مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ﴾ ما معنى الإحكام هنا؟ الإتقان يصف كل القرآن، صفة لجميع القرآن؛ لكن هنا قال في تقسيم القرآن: ﴿مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ﴾ فما معنى الإحكام والتشابه هنا؟ تذكروا ما تكلمنا عنه سابقاً من الإحكام الخاص والتشابه الخاص.

الإحكام هنا هو الآيات التي ليس فيها إلا معنىً واحد فهي آيات واضحة المعاني ليس فيها التباس ولا اشتباه.

والتشابه ﴿وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ﴾ أي آيات تحتمل أكثر من معنى.

فقوله رحمه الله: (فِيهِ مُحْكَمٌ ومُتَشابِهٌ) أي فيه ما معناه واضح لا التباس فيه ولا لبس، وفيه ما خفي معناه واحتمل أكثر من معنى، وهذا القسم نصل إلى فهمه برده إلى أي شيء؟ برده إلى المحكم.

قال رحمه الله: (ونَاسِخٌ ومنْسُوخٌ) (نَاسِخٌ) أي ناقل للحكم السابق إلى حكم جديد.

---

(1) سورة : فصلت (٤٢).

(2) سورة : الإسراء (٨٨).

(3) سورة : سبأ (٣١).

(4) سورة : المدثر (٢٥).

(5) سورة : المدثر (٢٦).

(6) سورة : يس (٦٩).

(7) سورة : آل عمران (٧).

النسخ في **اللغة:** النقل والإزالة، تقول: نسخت الشمس الظل أي أزالته. وتقول: نسخت الكتاب أي نقلته، فالنسخ في اللغة بمعنى النقل والإزالة.

أما في **الاصطلاح:** فهو رفع حكم شرعي أو لفظه بحكم آخر متأخر، رفع دلالة لفظه بحكم آخر متأخر، ومن هذا نفهم أن النسخ يكون للألفاظ ويكون للأحكام دون الألفاظ.

المؤلف يقول: (**وَنَاسِخٌ ومنْسُوخٌ**) أي فيه ناسخ رافع للحكم ومنسوخ.

مثال الناسخ في كلام الله عز وجل قوله تعالىٰ: ﴿**وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ**﴾[1] فإن هذه الآية ناسخة ، ناسخة لأي شيء؟ ناسخة للتوجه في القبلة إلى بيت المقدس.

(**ومنْسُوخٌ**) أي ومرفوع الحكم، مثاله في كتاب الله عز وجل: ﴿**يُوصِيكُمُ اللّهُ فِي أَوْلاَدِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنثَيَيْنِ**﴾[2] هذا ناسخ أو منسوخ؟ هذه الآية ناسخة نسخت قول الله تعالى: ﴿**كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالأقْرَبِينَ**﴾[3] فإن الله في هذه الآية فرض الوصية للوالدين، وفي آيات المواريث بيّن نصيب الوالدين، فنسخت آيات المواريث الآية في قوله تعالىٰ: ﴿**كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالأقْرَبِينَ**﴾ فهذا مثال للناسخ والمنسوخ في كتاب الله عز وجل.

قال: (**وخاصٌّ وعامٌّ**) فيه خاص وعام.

الخاص: ما كانت دلالته قاصرة على حكم معين.

والعام: هو اللفظ الذي يدخل ويندرج تحته أفراد متعددة.

وهذا يؤخذ ويتوصل إليه على وجه التفصيل في كتب الأصول ودراستها.

قال: (**وأمْرٌ ونَهْيٌ**) أي وفيه أمر ونهي.

طيب، نأخذ مثالاً للعام والخاص:

---

(1) سورة : البقرة (١٤٩، ١٥٠).

(2) سورة : النساء (١١).

(3) سورة : البقرة (١٨٠).

مثال الخاص قول الله تعالى: ﴿وَامْرَأَةً مُّؤْمِنَةً إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَن يَسْتَنكِحَهَا خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾[1] هذا حكم خاص بالنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا يشركه فيه أحد.

أما العام فأكثر آيات الكتاب آيات عامة منها قول الله تعالىٰ: ﴿يُوصِيكُمُ اللّهُ فِي أَوْلاَدِكُمْ﴾[2] هذه تعم كل من مات وترك ولداً من أهل الإسلام، فهي آية عامة، الآيات العامة كثيرة.

قال رحمه الله: (وأمْرٌ ونَهْيٌ) أي فيه أمر ونهي.

الأمر كقول الله تعالىٰ: ﴿وَاعْبُدُوا اللّهَ وَلاَ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾[3] هذا مثال للأمر والنهي ﴿اعْبُدُوا اللّهَ﴾ هذا أمر، ﴿وَلاَ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ نهي.

مراد المؤلف رحمه الله بهذا أن القرآن ليس كما يقولون: معنىً واحد. إنما هو معانٍ، فإن الأشاعرة قالوا: القرآن معنىً واحد فيه أمر وفيه نهي وفيه زجر وفيه قصص وفيه حِكَم. المهم أنهم جعلوا القرآن الذي فيه من المعاني ما فيه معنىً واحداً، و هذا تكذيب لما في القرآن من المعاني المتعددة.

وهذا مراد المؤلف رحمه الله في قوله: (وخاصٌّ وعامٌّ، وأمْرٌ ونَهْيٌ).

ثم قال رحمه الله: (﴿لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾،[4]) يعني هو في هذا كله متفق مؤتلف لا يعتريه باطل، ولا يتسرب إليه خلل؛ بل ﴿لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ﴾؛ يعني لا من أمامه ولا من خلفه ﴿تَنزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ هذا فيه أن القرآن منزل من الله جلّ وعلا.

يقول: (وقوله: ﴿قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ﴾) نقف على هـٰذا، ونكمل إن شاء الله تعالىٰ بقية البحث في الدرس القادم. والله تعالىٰ أعلم وصلى الله وسلم على نبينا محمد.

---

(1) سورة : الأحزاب (٥٠).

(2) سورة : النساء (١١).

(3) سورة : النساء (٣٦).

(4) سورة : فصلت (٤٢).

# شرح لمعة الاعتقاد

# الهادي إلى سبيل الرشاد

لموفق الدّين بن قدامة المقدسي رحمه الله

لفضيلة الشيخ

خالد بن عبد الله المصلح

الدرس السادس

www.almosleh.com

## بسم الله الرحمن الرحيم

قال الإمام موفق الدِّين أبو محمد عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي رحمه الله تعالىٰ:

(وقَوْله تعالىٰ: ﴿قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَـذَا الْقُرْآنِ لاَ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا (٨٨)﴾.[١]

وهُوَ هَذَا الكتابُ العربيُّ الّذي قال فِيهِ الذين كَفَرُوا: ﴿لَن نُّؤْمِنَ بِهَذَا الْقُرْآنِ﴾،[٢] وقال بعضُهم: ﴿إِنْ هَذَا إِلاَّ قَوْلُ الْبَشَرِ﴾،[٣] فقال الله سُبْحانه: ﴿سَأُصْلِيهِ سَقَرَ﴾،[٤] وقَالَ بَعْضُهم: هو شِعْرٌ. فقال الله: ﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ﴾.[٥]

فَلَمَّا نَفَى اللهُ عنْهُ أَنَّهُ شِعْرٌ وأثبتَهُ قُرْآناً لم يَبْقَ شُبْهَةٌ[٦] لِذِي لُبٍّ في أنَّ القرآنَ هو هذا الكتابُ العربِيُّ الَّذي هُوَ كَلِمَات، وحُرُوفٌ وآياتٌ؛ لأنَّ ما لَيْس كذلك لا يقُولُ أحَدٌ: إنَّه شِعْرٌ.

وقالَ عزّ وجلّ: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءكُم مِّن دُونِ اللّهِ﴾،[٧] ولا يجوزُ أنْ يَتَحَدَّاهُمْ بالإتْيانِ بمِثْلِ ما لا يُدْرَى ما هُوَ ولا يُعْقَلُ.

وقالَ تعالىٰ: ﴿وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِي﴾،[٨] فأَثْبَتَ أَنَّ القُرْآنَ هُوَ الآياتُ الَّتي تُتْلَى عَلَيْهِمْ.

وقال تعالىٰ: ﴿بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾،[٩] وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ (٧٧) فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ(٧٨)لا يَمَسُّهُ إِلاَّ الْمُطَهَّرُونَ﴾،[١٠] بَعْدَ أنْ أَقْسَمَ عَلَى ذلِكَ.

---

(١) سورة : الإسراء (٨٨).
(٢) سورة : سبأ (٣١).
(٣) سورة : المدثر (٢٥).
(٤) سورة : المدثر (٢٦).
(٥) سورة : يس (٦٩).
(٦) يمكن شكلها: يُبقِ شُبْهةً.
(٧) سورة : البقرة (٢٣).
(٨) سورة : يونس (١٥).
(٩) سورة : العنكبوت (٤٩).
(١٠) سورة : الواقعة (٧٧-٧٩).

**وقال تعالىٰ: ﴿كهيعص﴾،[1] ﴿حم (١) عسق﴾[2]، وافْتَتَحَ تِسْعًا وعِشْرِينَ سُـــورةً بـــالحروفِ المقطَّعَةِ.**

**وقال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((مَنْ قَرَأَ القُرْآنَ فَأَعْرَبَهُ فَلَهُ بِكُلِّ حَرْفٍ مِنْهُ عَشْرُ حَسَـــنَاتٍ، وَمَنْ قَرَأَهُ وَلَحَنَ فِيهِ فَلَهُ بِكُلِّ حَرْفٍ حَسَنَةٌ))،[3] حديثٌ صحيحٌ.**

**وقال عليْه الصّلاةُ والسّلامُ: ((اقْرَؤوا القُرْآنَ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَ قَوْمٌ يُقِيمُونَ حُرُوفَهُ إِقَامَةَ السَّـــهْمِ لا يُجَاوِزُ تَرَاقِيَهُمْ يَتَعَجَّلُونَ أَجْرَهُ وَلاَ يَتَأَجَّلُونَهُ)). [4]**

**وقَالَ أَبُو بَكْرٍ وعُمَرُ رضيَ اللهُ عنْهما: إعْرابُ القُرآنِ أَحَبُّ إلَيْنَا مِنْ حِفْظِ بعْضِ حُرُوفِهِ.**

**وقالَ عليٌّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: مَنْ كَفَرَ بِحَرْفٍ مِنْهُ فَقَدْ كَفَرَ بِهِ كُلِّهُ.**

**واتَّفقَ المسلمون على عَدِّ سُوَرِ القرآنِ وآياتِهِ وكلِماتِهِ وحُروفِهِ.**

**ولا خِلافَ بيْن المسلمين في أنَّ مَنْ جَحَدَ مِنَ القُرآنِ سُورَةً أو آيَةً أو كلِمَةً أو حرْفًا مُتَّفَقًا عليْـــه أنَّه كافِرٌ، وفي هذا حُجَّةٌ قاطِعَةٌ على أنَّهُ حُروفٌ) .**

بسم الله الرحمـــٰن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وأصلي وأسلم على المبعوث رحمة للعالمين نبينا محمد وعلى آله وأصحابه ومن اتبع سنته بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فهذا الذي سمعناه صلة ما في هذا الفصل من تقرير أن القرآن كلام الله جلّ وعلا، فقد افتتح المؤلف رحمه الله هذا الفصل بقوله: (**ومنْ كلامِ الله سبْحانه القرآنُ العظيمُ**) يقول رحمه الله: **﴿لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾**،[5] تكلمنا على هـــٰذا، وقلنا: إن قوله تعالىٰ: **﴿تَنزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾**، دليل على أنّ القرآن منزّل من الله جلّ وعلا؛ لأن (**مِن**) هنا لابتداء الغاية،

---

([1]) سورة : مريم (١).

([2]) سورة : الشورى (١-٢).

([3]) أورده الشيخ الألباني في السلسلة الضعيفة.

([4]) **سنن أبي داوود**: كتاب الصلاة، باب ما يجزئ الأمي والأعجمي من القراءة، حديث رقم (٨٣١).
**قال الشيخ الألباني**: حسن صحيح. وأورده في السلسلة الصحيحة برقم (٢٥٩).

([5]) سورة : فصلت (٤٢).

فالله جلّ وعلا هو المتكلم بالقرآن، هو المنزل له، كما قال جل وعلا: ﴿وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى الْقُرْآنَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ (٦)﴾.[1]

ثم قال: (وقَوْله تعالىٰ: ﴿قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَـذَا الْقُرْآنِ لاَ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا (٨٨)﴾[2]). أتى المؤلف رحمه الله بهذه الآية ليبين دليلاً من الأدلة الدالة على أن القرآن كلام الله ليس كلام البشر وليس كلام غيرهم، بل هو كلامه جلّ وعلا، الدليل هو أن الله جلّ وعلا تحدى كل أحدٍ من الإنس والجِن أن يأتوا بمثل هذا القرآن، ﴿وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ أي معيناً، فإنهم يعجزون عن أن يأتوا بمثله، قال الله تعالىٰ: ﴿قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَـذَا الْقُرْآنِ لاَ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ﴾ أي لا يتمكنون ولا يتوصلون إلىٰ الإتيان بمثله ﴿وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ أي لو كان بعضهم يعين بعضاً في طلب ذلك وفي تحصيله، وهذه الآية هي من الآيات المعجزة الدالة على أنّ هذا القرآن كلام الله عز وجل؛ لأن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أوحى الله إليه بأن يتحدى كل أحدٍ من الأنس والجن أن يأتوا بمثل هذا القرآن، وهذا التحدي ليس مقصوراً على وقت النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وزمنه؛ بل هو ممتد امتداد الزمان والمكان، فالتحدي قائم، فمع كثرة المعارض المكذب وشدة سعيه في إبطال دعوة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وتكذيب رسالته، مع ذلك لم يأت أحد من الخلق يدّعي أنه جاء بمثل هذا القرآن.

وهذا دليل معجز واضح بيّن على أنه كلام ربّ العالمين، وأنه لا يأتي بمثله بشر؛ ﴿قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَـذَا الْقُرْآنِ لاَ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ﴾ أي لا يمكن أن يأتوا بمثله ﴿وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾.

قال رحمه الله: (وهُوَ هَذَا الكتابُ العربيُّ الّذي قال فِيهِ الذين كَفَرُوا: ﴿لَن نُّؤْمِنَ بِهَذَا الْقُرْآنِ﴾[3]) يعني الذي وقع التحدي الذي تحدى الله جلّ وعلا الإنس والجِن على أن يأتوا بمثله هو هذا القرآن الذي كذب به أهل الكفر حيث قالوا: ﴿لَن نُّؤْمِنَ بِهَذَا الْقُرْآنِ وَلا بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ﴾،[4] يعني ولا بالذي

---

([1]) سورة : النمل (٦).

([2]) سورة : الإسراء (٨٨).

([3]) سورة : سبأ (٣١).

([4]) سورة : سبأ (٣١).

تقدمه وسبقه من الكتب، (**وقال بعضُهم: ﴿إِنْ هَذَا إِلاَّ قَوْلُ الْبَشَرِ﴾**[1]) ما هذا إلا قول البشر، (**إنْ**) هنا بمعنى (ما) النافية؛ فهي تنفي أن يكون هذا القرآن شيئاً من الأشياء ﴿**إِلاَّ قَوْلُ الْبَشَرِ**﴾؛ أي قول محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقد كذّبهم الله جلّ وعلا بهذا، وإذا كان قول البشر فأتوا بمثله فإنكم لا تعجزون عن أن تأتوا بمثله وأنتم أصحاب اللسان والبيان، (**فَقال الله سُبْحانه: ﴿سَأُصْلِيهِ سَقَرَ﴾**،[2]) في حق من؟ في حق من قال: إن هذا القرآن قول البشر. فقد هدّد الله جل وعلا وتوعد من زعم أن القرآن كلام غيره، وأنه قول البشر بأنه جلّ وعلا سيصليه صقر، ﴿**وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ (٢٧) لا تُبْقِي وَلا تَذَرُ (٢٨) لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ (٢٩) عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ (٣٠)**﴾[3] هي نار جهنم، نسأل الله السلامة والعافية، فتهدد الله وتوعد كل من قال: إن القرآن كلام البشر بهذا الوعيد الشديد، (**وقَال بَعْضُهم**) أي قال بعضُ العرب في هذا القرآن: (**هو شِعْرٌ**)، فكذبهم الله جلّ وعلا فقال: ﴿**وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنبَغِي لَهُ**﴾،[4] ﴿**وَمَا عَلَّمْنَاهُ**﴾ أي ما علمنا محمداً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الشعر، فهو لا يقول شعراً، وما يكون منه من بيت أو شبهه فإنه لا يوصف بذلك بأنه شاعر، إنما هو مما قد يندُّ عن كل أحد ولا يوصف من قال بيتاً أو بيتين أو ثلاثة بأنه شاعر، فرسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم يعلمه الله عز وجل الشعر، وذلك أن الشعر وظيفة أصحاب البيان الذين ينشئون المعاني والألفاظ من قبل أنفسهم، ويتجاوزون الحدود في وصف ما يصفون أو قول ما يقولون، ولذلك قال الله عز وجل: ﴿**وَالشُّعَرَاء يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ (٢٢٤) أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ (٢٢٥) وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لا يَفْعَلُونَ (٢٢٦)**﴾،[5] فلما كان هذا هو الوصف الغالب لهؤلاء نفى الله جل وعلا عن رسوله أن يكون شاعراً، بل نفى تعليم الشعر فضلاً عن أن يكون قائلاً للشعر ﴿**وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنبَغِي لَهُ**﴾ أي ويستحيل عليه هذا معنى قوله: ﴿**وَمَا يَنبَغِي لَهُ**﴾. ﴿**إِنْ هُوَ**﴾ أي ما هذا القول وما هذا الذي جاء به محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ﴿**إِلاَّ ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُّبِينٌ**﴾ وشتان بين قول رب العالمين وبين ما ينشئه الشعراء

---

(1) سورة : المدثر (٢٥).

(2) سورة : المدثر (٢٦).

(3) سورة : المدثر (٢٧-٣٠).

(4) سورة : يس (٦٩).

(5) سورة : الشعراء (٢٢٤-٢٢٦).

أو يقوله أصحاب البيان من الفصحاء، فالبَوْن بينهما شاسع والفرق بينهما كالفرق بين صفات الله عز وجل وصفات المخلوقين، ليس كمثله شيء وهو السميع البصير، وكل من سمع القرآن وقرأه يعلم أنه ليس قول البشر، إنما هو قول رب العالمين جلّ وعلا.

أما قوله: ﴿إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرٌ﴾ (إن) هنا بمعنى إن النافية ما هو إلا ذكر وقرآن مبين، (**فَلَمَّا نَفَى اللهُ عنْهُ أنَّهُ شِعْرٌ وأثبتَهُ قُرْآناً لم يَبْقَ شُبْهَةٌ لِذِي لُبٍّ في أنَّ القرآنَ هو هذا الكتابُ العرَبِيُّ الَّذي هُوَ حُرُوفٌ وكلِماتٌ، وآياتٌ؛ لأنَّ ما لَيْس كذلِك لا يقُولُ أحَدٌ: إنَّه شعِرٌ**).

إذاً يقول رحمه الله في الاستدلال: (**فَلَمَّا نَفَى اللهُ عنْهُ**)**أي نفى عن القرآن** (**أَنَّهُ شِعْرٌ وأثبتَهُ قُرْآناً لم يَبْقَ شُبْهَةٌ**) الشبهة هي عارض يعتري القلب يحول بينه وبين رؤية الحق ومعرفته وإدراكه.

يقول رحمه الله: (**لم يَبْقَ شُبْهَةٌ لِذِي لُبٍّ**) أي لصاحب عقل وصاحب بصر في أن القرآن هو هذا الكتاب العربي الذي جاء به مَن؟ محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

(**الَّذي هُوَ.. كلِماتٌ**) أي إنه مكون من كلمات وحروف وآيات؛ (**لأنَّ ما لَيْس كذلِك لا يقُولُ أحَدٌ: إنَّه شعِرٌ**) يعني لولا أن هذا القرآن الذي يخبر الله بأنه منه، وأنه قوله، ونفى أن يكون قول البشر، لو لم يكن محل الخلاف هو القرآن لما نفى أنه شعر، فلما نفى أنه شعر وبيَّن أنه ليس بقول البشر عُلم أنه قول رب العالمين، كما قال الله جلّ وعلا:﴿ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾،[1] في ما ساقه المؤلف من الآيات الدالة على أن القرآن كلام الله جلّ وعلا.

(**وقالَ عزّ وجلّ: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءكُم مِّن دُونِ اللّهِ﴾**،[2]) ذكر المؤلف رحمه الله دليلاً آخر من الأدلة الدالة على أن القرآن كلام الله، استدل لذلك بقوله تعالى: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ﴾ في ريب يعني في شك واشتباه وعدم بصيرة، ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ﴾ فتحداهم الله جلّ وعلا أن يأتوا بسورة ﴿مِّن مِّثْلِهِ﴾ أي مثل ما أنزل جلّ وعلا على رسوله، فـ﴿مِنْ﴾ هنا بيانية أي فأتوا بسورة مثل إحدى سور القرآن.

وهذا يبين لنا أن التحدي لهؤلاء كان على مراتب:

---

([1]) سورة : فصلت (٤٢).

([2]) سورة : البقرة (٢٣).

فتحداهم الله جلّ وعلا أن يأتوا بمثل هذا القرآن.

وتحداهم أن يأتوا بعشر سور مثله.

ثم انتهى التحدِّي إلى أن يأتوا بسورة من مثله، فقال تعالىٰ: ﴿**وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءكُم مِّن دُونِ اللّهِ**﴾ فلم يأتوا بسورة من مثله. وأقل سورة في القرآن كم عدد آياتها؟ ثلاث آيات وهي سورة الكوثر، فلم يأتوا بمثله، وهذا يدل على عظيم إعجاز هذا القرآن، وأنه من البيان والفصاحة والقوة في الألفاظ والمعاني، وأنه في أعلى طبقات الكلام لفظاً ومعنىً ما لا يمكن أن يدرك شأوه أو يبلغ حده أبلغ البلغاء وأعظم الفصحاء؛ بل إن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الذي أوتي جوامع الكلم يميز المؤمن بين كلامه وبين كلام رب العالمين، وترى الفرق واضحاً بيناً بين كلام الله عز وجل وبين كلام الذي أوتي جوامع الكلم، فكيف بغيره؟ فيتميَّز للإنسان ما قاله رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الكلام وما جاء به كلام رب العالمين.

يقول رحمه الله: (**ولا يجوزُ أنْ يَتحَدَّاهُمْ بالإتْيانِ بِمثْلِ ما لا يُدْرَى ما هُوَ ولا يُعْقَلُ**) هذا فيه بيان أن القرآن ألفاظه ومعانيه من كلام رب العالمين، فإن الله جلّ وعلا تحداهم ليس فقط أن يأتوا بألفاظ مثل ألفاظ القرآن، إنما تحداهم بالقرآن أن يأتوا بمثله، أو بعشر سور من مثله، أو يأتوا بسورة من مثله في ألفاظه ومعانيه، فإنّ إعجاز القرآن لا يقتصر فقط على إعجاز الألفاظ، ولا على إعجاز المعاني فحسب، بل إعجاز القرآن في لفظه ومعناه، وهذا الذي وقع عليه التحدي.

يقول رحمه الله: قال تعالىٰ: ﴿**وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ**﴾ ﴿**تُتْلَى**﴾ أي تُقرأ، ﴿**عَلَيْهِمْ**﴾ أي على الكفار ﴿**آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ**﴾ أي واضحات لا لبس فيها لا في ألفاظها ولا في معانيها ﴿**قَالَ الَّذِينَ لا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا**﴾ أي قال الذين لا يخافون أو لا يطمعون، فالرجاء يطلق على الخوف ويطلق على الطمع، فقوله تعالى: ﴿**قَالَ الَّذِينَ لا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا**﴾ أي الذين لا يطمعون في لقائنا، أو الذين لا يخافون لقاءنا، ومنه قوله تعالىٰ: ﴿**فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاء رَبِّهِ**﴾[1] يعني من كان يخاف لقاء ربه أو من كان يطمع في لقاء ربه، فالرجاء يطلق على الخوف ويطلق على الطمع، فهو من المعاني المشتركة.

---

[1] سورة : الكهف (١١٠).

يقول: ﴿لا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدِّلْهُ﴾ يقولون في الاحتجاج والاعتراض على القرآن وعلى ما جاء به الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا﴾ أعطنا وأحضر لنا قرآناً غير هذا ﴿أَوْ بَدِّلْهُ﴾ أي غير فيه بحذف بعضه أو الزيادة عليه أو ما أشبه ذلك من أنواع التبديل والتغيير.

جاء الجواب من رب العالمين: ﴿قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِي﴾ فأخبرهم رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن الله عز وجل أمر رسوله أن يخبرهم أنه ليس إليه التبديل ﴿قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِي﴾ ولو كان قول النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هو الذي تكلم به، هو الذي أنشأه، أو كان قول جبريل لكان يمكن أن يبدل أو أن يغير؛ لكن الله عز وجل أخبره بأنه لا يمكن أن يبدله محمد أو يأتي بغيره؛ لأنه رسول رب العالمين، ولذلك قال: ﴿قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِن تِلْقَاء نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلاَّ مَا يُوحَى إِلَيَّ﴾؛ يعني ما أتبع إلا ما أوحاه الله إليّ، فإذا كان رسولاً مُتَّبِعاً فليس إليه تبديل القرآن ولا الإتيان بغيره.

قال رحمه الله: (**فَأَثْبَتَ أَنَّ القُرْآنَ هُوَ الآيَاتُ الَّتِي تُتْلَى عَلَيْهِمْ**) لقوله تعالىٰ: ﴿ وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لاَ يَرْجُونَ لِقَاءنَا ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَـذَا﴾،[1] فالقرآن هو كلام الله عز وجل الذي تلاه رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على هؤلاء (**وقال تعالىٰ**: ﴿بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾،[2]) هو الضمير يعود إلى أي شيء؟ إلى القرآن ﴿آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ﴾ بينات أي واضحات، ﴿فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾ معنى هذه الآية:

أن القرآن آيات واضحات في صدور الذين منَّ الله عليهم بالعلم فليس فيه التباس ولا اشتباه.

والمعنى الثاني: ﴿بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ﴾ أي محفوظات في صدور الذين أوتوا العلم، ولذلك قال: ﴿فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾.

فقوله تعالىٰ: ﴿بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾:

يحتمل أنه يريد:

أنه بَيِّن في صدورهم يعلمون أنه الحق ويدركون معانيه.

ويحتمل أنه محفوظ في صدورهم.

---

(1) سورة : يونس (١٥).

(2) سورة : العنكبوت (٤٩).

ويحتمل أنه يريد الأمرين وهو الصواب.

أي إن القرآن في صدور الذين أوتوا العلم حفظاً وفهماً، فكلما علا نصيب الإنسان من فهم كتاب الله عز وجل كان داخلاً في هذه الآية وكان حقيقاً بها، فقوله تعالى: ﴿بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾ لا يقتصر فقط على حفظه؛ بل على فهمه وهو الأهم، فهم القرآن أهم من حفظ بعض حروفه كما نُقل ذلك عن أبي بكر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وعمر حيث قالا: إعراب القرآن أحب إلينا من حفظ بعض حروفه. وليست هذه دعوة لأن يترك الإنسان حفظ القرآن؛ لكنها دعوة إلى أن يجتهد في فهم معناه وإدراك معانيه كاجتهاده في حفظه أو أشد؛ بل ذكر شيخ الإسلام رحمه الله: أن الصحابة كانت عنايتهم الفائقة في فهم الكتاب، وكان الذي يحفظ الكتاب منهم هم القلة، فالأكثرون كانوا يعتنون بالفهم لمعاني كلام الله عز وجل، ولهم عناية بالحفظ؛ لكن كانت عنايتهم بالفهم أعظم؛ لأن الفهم هو المقصود الأول من هذا الكلام الذي أوحاه الله عز وجل لرسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قال رحمه الله: (**وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ (٧٧) فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ (٧٨) لا يَمَسُّهُ إِلاَّ الْمُطَهَّرُونَ﴾**،[١]) ﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ﴾ أي هذا الكلام الذي جئت به يا محمد قرآن كريم. (كَرِيمٌ) أي كثير الخير والبركة والإحسان والفضل والأجر، فالكريم فعيل بمعنى فاعل فهو مكرِم لأهله، يشفع لهم في القبر ويشفع لهم في الآخرة ويحصّلون به خيراً كثيراً كما قال الله عز وجل: ﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ﴾[٢] فهو مبارك في لفظه، مباركٌ في معناه، مباركٌ على حافظه، مبارك على العامل به، مبارك في الدنيا، مبارك في الآخرة، مبارك في البرزخ، مبارك في المحشر، بركته من أعظم البركات، نسأل الله عز وجل أن يرزقنا بركة هذا الكتاب المبين. ﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ (٧٧) فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ(٧٨)﴾ أي محفوظ ، والمراد بالكتاب المكنون هنا اللوح المحفوظ، فالقرآن في الكتاب المكنون، ولا يخلو هذا من أحد معنيين:

---

(١) سورة : الواقعة (٧٧-٧٩).
(٢) سورة : ص (٢٩).

**المعنى الأول**: أن يكون ذكره في الكتاب المحفوظ، أن يكون ذكر القرآن في الكتاب المحفوظ، لا جميع آياته وكلماته، وهذا نظير قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الأَوَّلِينَ (١٩٦)﴾[1] أي هذا القرآن في زبر الأولين مذكور، وليس أنه قد جاءت به الرسل التي سبقت النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

**المعنى الثاني** في قوله تعالى: ﴿فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ﴾ أنّ القرآن بجميع آياته وألفاظه في الكتاب المكنون قبل أن يتكلم الله جلّ وعلا به، وهذا معنىً ثان لقوله تعالى: ﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ (٧٧) فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ﴾.

﴿لا يَمَسُّهُ إِلاَّ الْمُطَهَّرُونَ﴾ هذا المقصود به اللوح المحفوظ، لا يمسه إلا المطهرون، والمطهرون هم الملائكة.

ومن استدل بهذه الآية على أنه لا يجوز مس المصحف إلا بطهارة، فإن استدلاله لا يصح أن يكون على هذا المعنى؛ لأن الكتاب المكنون ليس القرآن، إنما الكتاب المكنون هو اللوح المحفوظ.

يقول رحمه الله:( **بعد أن أقسم على ذلك**) أقسم على ماذا؟ أقسم على قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ (٧٧) فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ﴾. ما هو القسم؟ ﴿فَلا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ (٧٥) وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ (٧٦) إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ (٧٧)﴾[2] هذا المقسم عليه في قوله تعالىٰ: ﴿فَلا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ﴾، وقوله: ﴿فَلاَ أُقْسِمُ﴾: ﴿لا﴾ هنا للعلماء فيها أقوال:

منهم من قال: إن ﴿لاَ﴾ هنا زائدة؛ صلة، والتقدير: أقسم بمواقع النجوم.

ومنهم من قال: إن ﴿لاَ﴾ هنا لنفي كلام سابق مقدّر، أي لا أنظر إلىٰ ما تقولون، ولا أستمع إلى شبهكم، وأقسم بمواقع النجوم. فهو لنفي كلام سابق.

وقيل: إن ﴿لاَ﴾ هنا تفيد التوكيد والتحقيق لهذا القسم، فإن العرب تزيد (لا) في القسم لتأكيده.

وقيل: إن ﴿لاَ﴾ هنا للنفي؛ أي لست محتاجاً إلى أن أقسم، لوضوح الأمر وبيانه.

والصحيح أن ﴿لاَ﴾ هنا صلة تفيد توكيد القسم وإثباته، لا نفيه، ولا نحتاج إلى أن نقدر منفيّاً كما ذكرت في الأقوال السابقة.

---

[1] سورة : الشعراء (١٩٦).

[2] سورة : الواقعة (٧٥-٧٧).

قال رحمه الله: (**وقال تعالىٰ: ﴿كهيعص﴾[1]، ﴿حم (١) عسق﴾[2]، وافْتَتَحَ تِسْعًا وعِشْرينَ سُورةً بالحروفِ المقطَّعَةِ**) . أراد المؤلف رحمه الله بهذا أن يبين أن القرآن حروف ومعانٍ، وأن الحروف كلام الله وأن المعاني كلام الله، ليس الحروف كلام الله دون المعاني، ولا المعاني كلام الله دون الحروف؛ بل القرآن حروفه ومعانيه كلام الله تعالىٰ، وهذا الذي أجمع عليه سلف الأمة.

وهو يرد بهذا على من قال: إن القرآن كلام الله من حيث المعنى، أما الحروف فإنها ليست كلام الله. كما يقوله الكُلاَّبية والأشعرية.

فأول من قال بهذا القول (أن المعاني هي كلام الله دون الحروف) أول من قال بذلك عبد الله بن سعيد ابن كُلاب، وهو أول من أظهر هذا القول في الإسلام فلم يسبق إليه، تبعه عليه –أي تبع عبد الله بن كُلاب على هذا القول– أبو الحسن الأشعري، ثم قال به كثيرٌ من الناس ممن يتبع هذين بعد ذلك.

والذي عليه سلف الأمة ودل عليه الكتاب والسنة أن القرآن كلام الله لفظه ومعناه، فليس الحرف كلام الله دون المعاني، ولا المعاني كلام الله دون الألفاظ؛ بل الحروف والمعاني هي كلام الله جلّ وعلا.

أما هذه الحروف المقطعة التي افتتح الله بها بعض السور فقد اختلف العلماء فيها رحمهم الله على أقوال ثلاثة في الجملة؛ يعني أقوال كثيرة؛ لكن نجملها في ثلاثة أقوال:

**القول الأول**: أنه لا معنى لها مطلقاً ليس لها معنى في ذاتها، وهذا القول قول مجاهد بن جبر إمام التفسير أخذ تفسيره عن ابن عباس وغيره من الصحابة؛ لكنه ممن اختص بابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ هذا القول الأول أنه لا معاني لهذه الحروف.

استدل هؤلاء بأي شيء ؟ بأن الله عز وجل وصف القرآن بأنه كتاب عربي مبين، وأنه أنزله بلسان العرب، والعرب لا تعرف لهذه الحروف المقطعة معاني. هذا هو القول الأول.

**القول الثاني**: أن هذه الحروف لها معانٍ واختلف هٰؤلاء أو انقسم هؤلاء إلى قسمين:

**قسم** قالوا: لها معنى الله أعلم به، لا ندرك معناها.

**والقسم الثاني**: قالوا في بيان معانيها:

فمنهم من قال: إنها أسماء للسور.

---

[1] سورة : مريم (١).

[2] سورة : الشورى (١-٢).

ومنهم من قال: إنها أسماء للرسول.

ومنهم من قال: إنها أسماء من أسماء الله عز وجل.

ومنهم من قال: إنها تعبر عن مدة عُمر هذه الأمة.

وقيل غير ذلك.

**القول الثالث**: التوقف، ومعنى التوقف أنهم لا يجزمون بأحد القولين، لا يقولون: إن لها معنى، ولا يقولون: إنه ليس لها معنى؛ بل يتوقفون.

هذه ثلاثة أقوال لأهل العلم في هذه الحروف المقطعة التي افتتح الله بها بعض سور القرآن.

والراجح من هذه الأقوال الثلاثة هو القول الأول، وأنها ليس لها معنى مطلقاً.

طيب إذا كان ليس لها معنى، هل منها فائدة؟ الجواب: نعم، منها فائدة، ما فائدتها؟ فائدتها بيان إعجاز القرآن، ولذلك الملاحظ في جميع موارد هذه الأحرف أنه يأتي بعدها ذكر القرآن تعظيماً وامتناناً، و لم ينخرم هذا الاطراد إلا في موضعين أو ثلاثة، وإلا ففي جميع الموارد كانت هذه الأحرف معقبة متلوة بذكر القرآن.

﴿الم (١) تَنزِيلُ الْكِتَابِ لا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ الْعَالَمِينَ (٢)﴾،[1] ﴿ آلَمّ (١) ذَلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ﴾[2] ﴿حم (١) تَنزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (٢)﴾[3] وما أشبه ذلك من الموارد التي تذكر فيها هذه الحروف ثم بعد ذلك يشيد الله جلّ وعلا بالقرآن الكريم، لم ينخرم هذا إلا في سورة الروم قال الله عز وجل: ﴿الم (١) غُلِبَتِ الرُّومُ (٢) فِي أَدْنَى الأَرْضِ وَهُم مِّن بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ (٣)﴾[4] أيضاً العنكبوت ماذا قال الله؟ ﴿الم (١) أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لا يُفْتَنُونَ (٢)﴾[5] القلم ماذا قال؟ ﴿ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ (١) مَا أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ (٢)﴾،[6] فلم يذكر

---

(1) سورة : السجدة (١-٢).

(2) سورة : البقرة (١-٢).

(3) سورة : فصلت (١-٢).

(4) سورة : الروم (١-٣).

(5) سورة : العنكبوت (١-٢).

(6) سورة : القلم (١-٢).

القرآن ومريم: ﴿كهيعص (١) ذِكْرُ رَحْمَةِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا (٢)﴾،[١] لكن إذا تأملت في هذه السور التي لم يأتِ فيها ذكر القرآن صريحاً تجد أنه ذكر فيها ما لا يتلقى إلا من القرآن.

فعلى سبيل المثال سورة الروم قال الله تعالىٰ: ﴿الم (١) غُلِبَتِ الرُّومُ (٢) فِي أَدْنَى الأَرْضِ﴾ هذا خبر عن ماذا ؟ عن واقع، وهو ما حدث من ظهور فارس على الروم ﴿غُلِبَتِ الرُّومُ (٢) فِي أَدْنَى الأَرْضِ وَهُم مِّن بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ﴾ من أين هذا؟ هل يتلقى هذا من غير الوحي؟ من غير القرآن؟ لا، فلذلك تجد أن ما لم يذكر فيه القرآن صريحاً في المواضع التي ذكرت فيها هذه الحروف المقطعة، ذُكر فيها شيء يتعلق بالقرآن، أو لا يمكن أن يحصل ولا يتلقى إلا من القرآن، فعادت كسائر المواضع أنها بيان للإعجاز، ووجه الإعجاز في هذه الأحرف أنها من كلام العرب، من هذه الحروف يتكون كلام العرب، ومع ذلك عجزوا أن يأتوا بمثل هذا القرآن أو بسورة من مثله.

ثم قال المؤلف رحمه الله: (**وقال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((مَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ فَأَعْرَبَهُ))** أعربه أي أفصح في قراءته وأبان و لم يلتبس عليه الكتاب، ((**فَلَهُ بِكُلِّ حَرْفٍ مِنْهُ عَشْرُ حَسَنَاتٍ، وَمَنْ قَرَأَهُ وَلَحَنَ فِيهِ**)) أي مال عن القراءة التي جاء بها النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((**فَلَهُ بِكُلِّ حَرْفٍ حَسَنَةٌ**)).

وقد روي هذا من حديث ابن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ في جامع الترمذي، وفيه قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((**من قرأ حرفاً من كتاب الله فله به حسنة، والحسنة بعشر أمثالها، لا أقول:الم حرف؛ بل ألف حرف ولام حرف وميم حرف**)) والحديث صحيح، قال عنه الترمذي: حديث حسنٌ صحيح غريب.[٢]

ثم قال رحمه الله: ((**اقْرَؤوا الْقُرْآنَ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَ قَوْمٌ يُقِيمُونَ حُرُوفَهُ إِقَامَةَ السَّهْمِ**)) أي يعتنون بإقامة كلماته. ((**لا يُجَاوِزُ تَرَاقِيَهُمْ**)) أي إنّه لا ينفذ إلىٰ قلوبهم؛ لأنّ التراقي، الترقوة هي العظمة التي تحيط بالنحر، فقوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((**لا يُجَاوِزُ تَرَاقِيَهُمْ**)) أي إنهم يقتصرون في أثر القرآن وإقامته على اللسان دون أن ينفذ إلى قلوبهم إصلاحاً وتزكية وتربية، هذا معنى قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((**لا يُجَاوِزُ تَرَاقِيَهُمْ يَتَعَجَّلُونَ أَجْرَهُ وَلاَ يَتَأَجَّلُونَهُ**))؛ أي يتعجلون تحصيل نفعه والكسب من ورائه في الدنيا ((**وَلاَ**

---

(١) مريم (١-٢).

(٢) **سنن الترمذي**: كتاب ثواب القرآن، باب ما جاء فيمن قرأ حرفاً من القرآن ما له من الأجر، حديث رقم (٢٩١٠). وقال الترمذي: هـٰذا حديث حسن صحيح غريب من هـٰذا الوجه.

قال **الشيخ الألباني**: صحيح. وأورده في السلسلة الصحيحة برقم (٣٣٢٧).

يَتَأَجَّلُونَهُ)) أي ولا يحتسبون ذلك عند الله عز وجل في الآخرة، فهم يقرؤون إما ليحصلوا كسباً دنيويّاً أو ما أشبه ذلك من الأمور التي يدركها بعض من يقرأ القرآن في الدنيا ولا ينظرون إلىٰ ثواب الآخرة وأجرها وما أعد الله عز وجل لأهل القرآن.

(وقَالَ أَبُو بَكْرٍ وعُمَرُ رضيَ اللهُ عنْهُما: إِعْرابُ القُرآنِ أَحَبُّ إليْنَا مِنْ حِفْظِ بعْضِ حُرُوفِهِ) .

(إِعْرابُ القُرآنِ) أي الإفصاح به، وإدراك معانيه، لماذا جاء التركيز على الإعراب؟ لأن الإعراب سُلَّمُ الفهم، فلا يمكن للإنسان أن يفهم كلام الله إلا إذا أعربه، ولذلك قال ابن عطية رحمه الله: إعراب القرآن أصلٌ في الشريعة؛ لأن به لك تقوم معانيه التي هي من الشرع.

فالمقصود أن إعراب القرآن بلغ هذا الشأو وهذه الأهمية وهـٰـذه المنزلة لأنه سبيل فهم الألفاظ، فإذا لم يقم الإنسان الإعراب لم يتمكن من فهم القرآن، وليس الإعراب أن يعرف الفاعل من المفعول فقط دون أن يفهم ما يترتب على هذا الفهم من الفاعل والمفعول، المقصود من الإعراب أن يفهم كلام الله عز وجل وأن يدرك المعنى الذي جاءت به الآيات.

(وقَالَ عليٌّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: مَنْ كَفَرَ بِحَرْفٍ مِنْهُ فَقَدْ كَفَرَ بِهِ كُلِّهُ) . وهذا لا إشكال فيه، أن من أنكر كلمةً أجمعت الأمة على أنها من القرآن فقد كفر به كله، (كَفَرَ بِهِ كُلِّهُ) أي كفر بجميعه لأنه لا يتم الإيمان ولا يثبتُ بناؤه ولا يستقر قراره إلا بأن يؤمن بجميع القرآن، فمن آمن ببعضه وكفر ببعض فإنه لم يؤمن به لأن الله لم يرضَ من الإيمان بالكتاب إلا أن يؤمن بجميع ما أخبر به سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وجاء به رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وإنما قلنا: ما أجمع عليه العلماء؛ لأنه قد وقع في بعض الحروف خلاف هل هي من القرآن أو لا؟ على اختلاف القراءات، فلذلك من كفر بحرف أجمع العلماء على أنه من القرآن فقد كفر به كله.

قال رحمه الله: (واتَّفَقَ المسلمون على عَدِّ سُوَرِ القرآنِ وآياتِهِ وكلِماتِهِ وحُروفِهِ) . فأهل الإسلام اعتنوا بهذا القرآن عناية فائقة في ضبطه والإحاطة به ومعرفته، وهذا من نعمة الله عز وجل على هذه الأمة، أنه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لم يكل حفظ القرآن إلىٰ فئة من الناس ولا إلى أفراد؛ بل الأمة تلقت هذا القرآن جيلاً بعد جيل، ينقله الخلف عن السلف بسلاسل ثابتة واضحة، فالأمة تلقت هذا القرآن قرنًا بعد قرن ولم يجرِ فيه أي تغيير، ولذلك تذهب إلىٰ حيث ذهبت في أرض أو في سماء تجد أن الأمة متفقة على هذا القرآن ليس بينهم اختلاف فيه، قد يختلفون في طريقة أداء القرآن يعني في طريقة القراءة؛ لكنهم لا يختلفون على حروفه وكلماته وآياته فهي محفوظة بحفظ الله تعالىٰ: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ

**لَحَافِظُونَ (٩)﴾**[1] يقول: (**ولا خِلافَ بيْن المسلمين في أنَّ مَنْ جَحَدَ مِنَ القُرآنِ سُورَةً أو آيَةً أو كلِمَةً أو حرْفًا مُتَّفَقًا عليْه أنَّه كافِرٌ**) لأنه آمن ببعض الكتاب وكفر ببعض (**وفي هذا حُجَّةٌ قاطِعَةٌ على أنَّهُ حُروفٌ**)، وكل هذا لبيان وإبطال الذين قالوا: إن القرآن معانٍ لا حروف.

والمؤلف رحمه الله أطال في مسألة الحرف والمعنى لكونه يرد على الأشاعرة الذين يقولون: إنّ القرآن المعنى من الله والحروف من جبريل أو محمد. ولو كانت الحروف من غير الله لما بلغت هذا المبلغ من التعظيم والحفظ والصيانة والمكانة.

وأنتم تعلمون أن كلام النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أجاز العلماء نقله بالمعنى؛ لكن هذا لم يأت في القرآن فالأمة مجمعة على أنه لا يجوز نقل القرآن إلا كما سُمع وكما تلقته الأمة عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آله وَسَلَّمَ.

وبهذا قد يكون انتهى الفصل المتعلق بتقرير أن القرآن كلام الله، ونقف عليه، ونكمل إن شاء الله تعالى في الدرس القادم.

ﻫﻫ ◈ ﻫﻫ

---

[1] سورة : الحجر (٩).

# شرح لمعة الاعتقاد

# الهادي إلى سبيل الرشاد

لموفق الدّين بن قدامة المقدسي رحمه الله

لفضيلة الشيخ

خالد بن عبد الله المصلح

## الدرس السابع

www.almosleh.com

## بسم الله الرحمن الرحيم

قال الإمام موفق الدِّين أبو محمد عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي رحمه الله تعالى:

(فصل

**والمؤمنون يَرَوْنَ رَبَّهُمْ فِي الآخرةِ بأبْصارِهِم، ويَزُورُونَهُ، ويُكَلِّمُهُم ويُكَلِّمُونَهُ، قال الله تعالىٰ: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ (٢٢) إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾.[1]**

**وقالَ تعالى: ﴿كَلا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ﴾،[2] فلمَّا حَجَبَ أولئك في حالِ السُّخْطِ دَلَّ على أنَّ المؤمنين يَرَوْنَهُ في حال الرِّضَا وإلاّ لم يَكُنْ بَيْنَهُمَا فَرْقٌ.**

**وقال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((إِنّكُمْ ستَرَوْنَ رَبّكُم كَمَا تَرَوْنَ هَذَا الْقَمَرَ، لاَ تُضَامّونَ فِي رُؤْيَتِهِ)).** حديث صحيح متفق عليه.[3]

**وهذا تشبيهٌ للرؤيةِ بالرؤيةِ لا للمرئيِّ بالمرئيِّ، فإنّ الله تعالى لا شبيهَ له ولا نظيرَ) .**

بسم الله الرحمـٰن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وأصلي وأسلم على المبعوث رحمة للعالمين نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه ومن اتبع سنة بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فهذا الفصل عقده المؤلف رحمه الله لبيان عقد أهل السنة والجماعة في مسألة الرؤية، فإن أهل السنة والجماعة يؤمنون بما دلّ عليه كلام النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آله وَسَلَّمَ صراحة من أن المؤمنين يرون ربهم، وإثبات الرؤية جاء في كتاب الله عز وجل وفي سنة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آله وَسَلَّمَ واتفق عليه صحابة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والتابعون ومن تبعهم من أئمة الدين.

فالرؤية من أعظم ما يُنَعَّم به أهل الجنة نسأل الله أن نكون منهم، والأدلة متوافرة متضافرة مستفيضة في إثبات هذا الفضل.

---

(1) سورة : القيامة (٢٢-٢٣).

(2) سورة : المطففين (١٥).

(3) **البخاري**: كتاب التفسير، باب قوله: ﴿وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب﴾[ق:٣٩].

**مسلم**: كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب فضل صلاتي الصبح والعصر والمحافظة عليهما، حديث رقم (٦٣٣).

وقد خالف في إثبات الرؤية المعتزلة والرافضة والجهمية، وكذلك خالف في هذا الأشاعرة؛ لكن الأشاعرة خلافهم في صفة إثبات الرؤية، فهم يقولون بأن المؤمنين يرون ربهم. لكنهم يخالفون أهل السنة والجماعة في هذا الإثبات فيقولون: يرونه من غير معاينة ولا مواجهة. وهذا القول انفردوا به دون سائر الناس، وهو قول من عجائب الأقوال؛ لأن إثبات الرؤية من غير مواجهة أو في غير جهة ومن غير معاينة أمر لا يعقل، إذْ لا بد للرؤية من أن يكون المرئي في جهة وأن يُعَايَن وإلا فإنه لا يكون رؤية.

ولذلك قال محققوهم –أي محققو الأشاعرة–: إن قولهم في الحقيقة قول المعتزلة الذين ينفون الرؤية أي ينفون رؤية المؤمنين لله عز وجل في الآخرة.

هذه الصفة يثبتها أهل السنة والجماعة كما دلّ عليه الكتاب والسنة وأجمع عليه السلف.

يقول المؤلف رحمه الله: (**والمؤمنون يَرَوْنَ رَبَّهُمْ**) المؤمنون هم كل من آمن بالله واليوم الآخر وأتى ببقية أصول الإيمان، (**يَرَوْنَ رَبَّهُمْ فِي الآخرةِ بأبْصارِهِم**) فأثبت الرؤية، وأثبت آلتها فالباء في قوله: (**بأبْصارِهِم**) للاستعانة أو لبيان الآلة التي تحصل بها الرؤية، إما باء الاستعانة أو الآلة؛ يعني يرونه بأعينهم.

وإنما نص على الأبصار نفياً لقول من يقول: إن الرؤية ليست رؤية بصر، إنما هي رؤية كشف، فيكشف لهم من المعارف والعلوم ما ليس لغيرهم، يكشف لهم يوم القيامة من معرفة الرب جل وعلا ما لم يكونوا يعرفونه.

وأيضاً التنصيص على الأبصار للرد على الأشاعرة الذين يقولون: إنهم يرونه من غير معاينة ولا في جهة، فإنه لا يدرك ولا يعقل نظر بالبصر ورؤية بالبصر إلا ما كان في جهة.

والمعتزلة أولوا هذا الذي جاءت به النصوص إلى أنه رؤية كشف أو رؤية ثواب الله عز وجل، فالذين لا يثبتون الرؤية يؤولونها برؤية الثواب أو برؤية كشف يحصل لأهل الإيمان.

وقوله رحمه الله: (**والمؤمنون يَرَوْنَ رَبَّهُمْ فِي الآخرةِ بأبْصارِهِم**) يفيد حصر الرؤية في أهل الإيمان، فخرج بذلك أهل الكفر وأهل النفاق.

أما أهل الكفر فلأنهم ليسوا مؤمنين، لا في الظاهر ولا في الباطن.

وأما أهل النفاق فلأنهم لم يحققوا الإيمان الذي به يحصل الفضل والسبق، وإن كانوا قد أتوا بظاهر العمل، بالإسلام في الظاهر؛ لكنه لم ينفذ إلى قلوبهم فلم ينتفعوا به.

أما دليل حصر الرؤية بالمؤمنين فالأدلة في ذلك كثيرة:

منها قول الله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ (٢٢) إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾.[١] كما ذكر المؤلف رحمه الله فالوجوه التي بشرها الله عز وجل بالنضارة يوم القيامة هي وجوه المؤمنين، لا تكون للكفار؛ بل وجوه الكفار عليها غبرة ترهقها قترة، فالوجوه الناضرة هي وجوه أهل الإيمان كما قال الله عز وجل: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾[٢] فهي وجوه أهل الكفر، وكذلك قول الله تعالىٰ: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ﴾،[٣] فقد جاء تفسير الزيادة بأنها النظر إلى الله عز وجل كما في صحيح الإمام مسلم من حديث صهيب وفيه: ((**أنه إذا دخل أهل الجنة الجنة ناداهم الله عز وجل –أو ناداهم منادٍ–: إن لكم موعداً عند الله عز وجل يريد أن ينجزكموه. فيقولون: ألم يبيض وجوهنا؟ ألم يثقل موازيننا؟ ألم يدخلنا الجنة ويعذنا من النار؟ فيقول: بلى، فيكشف الحجاب**))[٤] فينظرون إلى الله عز وجل، فما يكون من نعيم الجنة شيء عندهم أطيب ولا ألذ ولا أكمل ولا أرضى من النظر إلى الله جل وعلا.

فالنظر، لأهل الإيمان الأدلة متوافرة على إثباته، وهذا النظر الذي يكون لأهل الإيمان لا يلزم منه أن يدرك الناظر اللهَ جل وعلا؛ بل إن النظر لا يلزم منه الإحاطة و الإدراك ولذلك قال الله جلّ وعلا: ﴿لاَّ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ﴾[٥] استدل نفاة الرؤية بهذه الآية على ما ذهبوا إليه من أنه لا يرى جلّ وعلا، قالوا: إن الله جلّ وعلا قال: ﴿لاَّ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ﴾، فإذا كانت لا تدركه الأبصار فإنه لا يُرى. نقول في الجواب على هـٰذا: إن نفي الإدراك أمر زائد على نفي النظر، و لم يأت دليل ينفي النظر، وأما نفي الإدراك فقد تنظر إلى الشيء لكن لا تدركه.[٦]

---

(١) سورة : القيامة (٢٢-٢٣).

(٢) سورة : آل عمران (١٠٦).

(٣) سورة : يونس (٢٦).

(٤) **مسلم**: كتاب الإيمان، باب إثبات رؤية المؤمنين في الآخرة ربَّهم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، حديث رقم (١٨١).

(٥) سورة : الأنعام (١٠٣).

(٦) قال جل وعلا: ﴿فَلَمَّا تَرَاءَا الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرَكُونَ (٦١) قَالَ كَلاَّ﴾[الشعراء:٦١-٦٢] ووجه الدلالة أنه نفى الإدراك، ومع نفي الإدراك أثبت الله جل وعلا الترائي وهو رؤية كل جمع لآخر فقال: ﴿فَلَمَّا تَرَاءَا الْجَمْعَانِ﴾ هذا الجمع رأى ذاك الجمع، وذاك الجمع رأى هـٰذا الجمع ومع ذلك ﴿قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرَكُونَ﴾ فقال موسىٰ: ﴿ كَلاَّ ﴾ يعني لن نُدرَك ولن يُحاط بنا، فنفي الإحاطة لا يستلزم نفي الرؤية. [شرح الطحاوية للشيخ صالح آل الشيخ].

فالإنسان ينظر إلى السماء لكنه لا يحيط بها ولا يدركها.

ينظر إلى القمر ولكنه لا يحيط به ولا يدركه.

ينظر إلى الشمس ولكنه لا يحيط بها ولا يدركها.

بل ينظر إلى الشخص المخلوق الصغير الذي يمكن أن يحاط بوصفه؛ ولكن قد لا يدركه ولا يحيط به.

فليس من لازم الرؤية الإدراك، والمنفي في الآية هل هو مجرد النظر أو أصل النظر أم أنه الإدراك؟ المنفي هو الإدراك، وفرق بين نفي الإدراك وبين نفي الرؤية.

استدلوا لنفي الرؤية بقوله تعالىٰ لموسى: ﴿لَن تَرَانِي﴾[1] ولكن هذا الاستدلال في غير محله؛ لأن نفي الرؤية في قوله تعالىٰ: ﴿لَن تَرَانِي﴾ هو في تلك الساعة، ولو كان يستحيل أن يُرى الله جلّ وعلا لقال لموسى: إنني غير مرئي، أو لا تمكن رؤيتي بالكلية، أما ﴿لَن تَرَانِي﴾ فهو نفي للطلب الذي طلبه في تلك الساعة، و(لن) لا تفيد تأبيد النفي كما زعمه بعض المعتزلة حيث قالوا: لن تفيد التأبيد، وقد رد عليهم أهل اللغة وأئمة اللسان وقالوا: إن (لن) لا تفيد التأبيد، أي لا تفيد تأبيد المنفي، فسقط استدلالهم، وبقيت الأدلة سالمة محفوظة من أن يطرأ عليها ما يناقضها أو يردها: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلاَفًا كَثِيرًا (٨٢)﴾.[2]

هل يرى الكفار يوم القيامة الله جلّ وعلا؟ ذكرنا أن قول المؤلف رحمه الله: (**والمؤمنون يَرَوْنَ رَبَّهُمْ فِي الآخرةِ بأبْصارِهِم**) فيه حصر الرؤية بالمؤمنين، فإن أهل الكفر لا يوصفون بالإيمان وكذلك أهل النفاق لا يوصفون بالإيمان وإن كانوا مسلمين لكنهم لا يوصفون بالإيمان.

وهذا في الجنة لا إشكال فيه فإن الجنة لا يدخلها إلا مؤمن، فما ذكر من تنعيم أهل الجنة بالنظر إلى الله عز وجل لا يكون إلا لأهل الإيمان؛ لأنه لا يدخلها إلا مؤمن.

---

([1]) سورة : الأعراف (١٤٣).

([2]) سورة : النساء (٨٢).

أما في عرصات القيامة فاختلف العلماء رحمهم الله من أهل السنة في رؤية الكفار لله عز وجل على ثلاثة أقوال:

**القول الأول**: أنه لا يراه في أرض المحشر يوم القيامة إلا أهل الإيمان دون غيرهم، لقوله تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ (١٥)﴾،[١] فأخبر الله عز وجل عن حجب الكفار عن الرؤية، وقوله: ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ يعني يوم القيامة، وهذا عليه أكثر أهل العلم من المتأخرين.

**والقول الثاني**: أنه يراه المؤمنون من هذه الأمة، ويراه أيضاً أهل النفاق؛ يعني أهل الكفر الباطني، أما من أظهر الكفر فإنه لا يراه، واستدلوا لهذا بحديث أبي سعيد وأبي هريرة في الصحيحين وفيه قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((**إذا جمع الله الناس ناد منادٍ: ليتبع كل من كان يعبد شيئاً ما كان يعبد، فيتبع أهل الشمس: الشمس، ويتبع عباد القمر: القمر، ويتبع عباد الطواغيت: الطواغيت، فلا يبقى إلا هذه الأمة وفيها منافقوها، فيأتيهم الله عز وجل في صورة غير التي يعرفون، ثم يأتيهم في الصورة التي يعرفونها فيسجد أهل الإيمان فيهُمّ أهل النفاق أن يسجدوا فلا يتمكنون من السجود**))[٢] وقالوا: إن هذا الحديث يدل على أنهم يرونه.

**القول الثالث**: أنه يراه أهل المحشر مسلمهم وكافرهم؛ ولكن هذه الرؤية يختلف فيها الناس، كما أن رؤية الله جلّ وعلا في الجنة يختلف فيها أهل الجنة تفاضلاً ومنزلة، فكذلك الرؤية في المحشر، فإنهم يتفاوتون فيها تفاوتاً بيناً كبيراً.

فأهل المحشر ينقسمون إلى قسمين في الرؤية:

**فأهل الإيمان**: يرونه رؤية تعريف، وهذه دون ما يكون لهم في الجنة؛ يعني أنزل مما يكون لهم من الرؤية في الجنة، ولذلك إذا رأوه جلّ وعلا في الجنة لم يكن شيء أنعم ولا أطيب من النظر إليه عز وجل، فدل ذلك على أنها خلاف ما كان في أرض المحشر، ثم إن أهل الجنة إذا قال لهم المنادي: ((**إن لكم عند الله موعداً يريد أن ينجزكموه. يقولون: ألم يبيض وجوهنا؟ ألم يدخلنا الجنة؟ ألم ينجنا من النار؟**))[٣].

---

([١]) سورة : المطففين (١٥).

([٢]) **البخاري**: كتاب الرقاق، باب الصراط جسر جهنم، حديث رقم (٦٥٧٣).

**مسلم**: كتاب الإيمان، باب معرفة طريق الرؤية، حديث رقم (١٨٢).

([٣]) تم تخريجه صفحة (٢).

ولا يذكرون تلك الرؤية التي كانت في المحشر، فالرؤية التي تكون لأهل الإيمان في المحشر دون ما يكون لهم في الجنة، فهي رؤية تعريف.

أما رؤية الكفار على هذا القول بأنهم يرونه في المحشر فإنها رؤية تعذيب وتحسير، وليست رؤية تنعيم وتكريم، واستدلوا لهذا بقوله تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ (١٥)﴾،[1] بنفس الآية التي استدل بها القائلون بعدم الرؤية.

كيف ذلك ؟ قالوا: إن الحجب لا يكون إلا بعد اطلاع.

وهذه الأقوال كلها مما تكلم به أهل السنة والجماعة، فالخلاف في هذا خلاف محتمل لا يخرج من اختار قولاً من هذه الأقوال عن دائرة أهل السنة باختياره.

يبقى تنبيه مهم وهو أنه على القول الثالث بأن أهل المحشر جميعهم يرون الله عز وجل مسلمهم وكافرهم لا يسوغ أن يطلق القول بأن الكفار يرون الله؛ يعني لا يسوغ أن يأتي أحد ويقول: الكفار يرون الله؛ لأن إطلاق الرؤية يقتضي الإكرام والتنعيم ورؤية الكفار لله عز وجلّ في المحشر ليست رؤية إكرام وتنعيم فلا يسوغ الإطلاق؛ لأن الإطلاق يوهم الإنعام والتكريم؛ لأنها أفضل نعيم أهل الجنة، فلا يسوغ إشراك الكفار فيها أو تسويتهم بأهل الإيمان.

والوجه الثاني الذي يمنع إطلاق القول بأن الكفار يرون ربهم يوم القيامة حتى على القول بأنهم يرونه –يعني على القول الأخير بأنهم يرونه– عندنا تنبيه على هـــٰذا:

أولاً: التنبيه أنه لا تطلق الرؤية لماذا؟ لأن الإطلاق يقتضي الإكرام والتنعيم.

الوجه الثاني الذي يمتنع به الإطلاق أنه ما ورد في الشريعة من الأحكام العامة مثلاً ككون: ﴿اللّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾[2] هذا حكم عام أو لا؟ أسألكم حكم يعم كل شيء، ما ورد من الأحكام العامة إذا كان يلزم من التخصيص نقص فإنه لا يسوغ التخصيص، أو يلزم من التخصيص معنىً قبيح فإنه لا يسوغ التخصيص.

مثاله فيما ضربناه ﴿اللّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ هل يسوغ أن يقول الإنسان: الله خالق الكلاب، يا خالق الكلاب ارزقني، هل يسوغ هذا؟ لماذا لا يسوغ مع أن الله خالق كل شيء ومن جملة الأشياء الكلاب؟

---

[1] سورة : المطففين (١٥).

[2] سورة : الرعد (١٦).

لأن مثل هذا يوهم معنى قبيحاً، والحكم العام إذا كان تخصيصه يقتضي معنى قبيحاً فإنه لا يسوغ أن يأتي به الإنسان.

مثاله أيضاً الإرادة، ما من شيء في الكون إلا أراده الله جلّ وعلا، فهل يسوغ أن يقول الإنسان: يا مريد الزنى ارزقني العفاف، هل يسوغ هذا؟ ما يسوغ لماذا؟ لأن الإرادة وردت عامة في كل شيء، فتخصيصها إذا كان يترتب عليه إيهام معنى قبيح فإنه لا يجوز التخصيص.

مثاله الرؤيا، جاء الخبر بأنه ما من أحد إلا سيرى الله: **((إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر لا تضامون في رؤيته))**،[1] هـٰذا من الأدلة التي استدل بها القائلون بأن كل أحد يرى الله عز وجل في المحشر، **((وما منكم إلا وسيكلمه الله ليس بينه وبينه تَرجُمان))**[2] قالوا: إن هذا يلزم منه أنهم يرونه في المحشر حتى الكفار.

هل يسوغ إذا ورد النص المطلق أن نخصص نقول: يراه الكفار يوم القيامة؟ لا يسوغ لماذا؟ للمعنى الأول الذي ذكرناه؛ ولأن التخصيص يوهِم معنىً قبيحاً، فلأجل هذين المعنيين منع أهل العلم من إطلاق إضافة الرؤية للكفار؛ بل لا بد من التخصيص يقال: يرونه رؤية تعذيب ، يرونه في المحشر ثم يعذبون بالاحتجاب أو ما أشبه ذلك من التقييدات.

يقول رحمه الله: (**والمؤمنون يَرَوْنَ رَبَّهُمْ فِي الآخرةِ بأبْصارِهِم، ويَزُورُونَهُ**) هذا فيه إثبات زيارة المؤمنين لله عز وجل، وأحاديث الزيارة رواها الدارقطني وغيره عن ابن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وعن أنس وأبي هريرة وابن عباس وعن غيرهم من الصحابة، وقد جاء أيضاً ذلك عن جماعة من التابعين.

يقول شيخ الإسلام رحمه الله في أحاديث الزيارة يقول: **وهذه الأحاديث عامتها إذا جُرِّد إسناد الواحد منها لم يخل عن مقال قريب أو شديد؛** -يعني أسانيدها ضعيفة-؛ **لكن تعددها وكثرة طرقها يغلب على الظن ثبوتها في نفس الأمر.**

---

[1] تم تخريجه صفحة (٢).

[2] **البخاري**: كتاب الرقاق، باب من نوقش الحساب عذب، حديث رقم (٦٥٣٩).
**مسلم**: كتاب الزكاة، باب الحث على الصدقة ولو بشق تمرة، حديث رقم (١٠١٦).

يعني أن أصل الزيارة ثابت وإن كانت أفراد هذه الأحاديث ضعيفة قال رحمه الله: **بل قد يقتضي القطع به.** -يعني القطع بثبوت الزيارة-، **فقد رُوي عن الصحابة التابعين ما يوافق ذلك.**[1]

وذكرنا أن المروي عن الصحابة في الزيارة من طريق ابن مسعود وابن عباس وأبي هريرة وأنس، وحديث أنس أمثل الأحاديث في ذلك لم تذكر فيه الزيارة فقد روى الإمام مسلم من حديث حماد بن سلمة عن ثابت البُناني عن أنس بن مالك رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((**إن في الجنة لسوقاً يأتيه أهل الجنة كل جمعة فتهب ريح الشمال فتحثو على ثيابهم ووجوههم فيزدادون حسناً وجمالاً، فيرجعون إلى أهليهم وقد ازدادوا حسناً وجمالاً فيقولون لأهليهم: لقد ازددتم بعدنا حسناً وجمالاً فيقول أهلوهم لهم: وأنتم أيضاً ازددتم بعدنا حسناً وجمالاً**))[2]. هذا الحديث في صحيح الإمام مسلم ليس فيه زيارة الله عز وجل؛ لكنه جاء عند الدارقطني بإسناد وبأسانيد متعددة عن جملة من الصحابة أنّ هذه الزيادة ليس سببها الريح فقط؛ بل سببها الريح ورؤية المؤمنين لله عز وجل كما قال الله جلّ وعلا: ﴿**وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ (٢٢) إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ**﴾.[3] ناضرة أي اكتسبت نضرة وجمالاً، ثم ذكر السبب في هذه النضارة وهي النظر إلى الله عز وجل فقال: ﴿**إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ**﴾.

إذاً أحاديث الزيارة ثابتة أو ليست ثابتة؟ ثابتة، زيارة المؤمنين لله عز وجل، ولذلك قال المؤلف رحمه الله: (**وَيَزُورُونَهُ**).

قال: (**وَيُكَلِّمُهُم**) إثبات الكلام أيضاً ثابت في الصحيحين وفي غيرهما: ((**ما منكم من أحد إلا وسيكلمه الله جلّ وعلا ليس بينه وبينه تَرجُمان**))،[4] وهذا يعم المسلم والكافر؛ لكن الفرق في نوع التكليم: فإن تكليم الله لأهل الإيمان تكليم رحمة وبر وتنعيم، وأما تكليمه لأهل الكفر والنفاق فهو تكليم تقريعٍ وذم.

وكلام الله عز وجل للكفار ليس مقتصراً فقط على أرض المحشر؛ بل يكلمهم في المحشر ويكلمهم أيضاً إذا ساروا إلى النار نسأل الله السلامة والعافية منها، فإنهم إذا سألوا التخفيف يقول الله سُبْحَانَهُ

---

(1) مجموع الفتاوى (ج٦/ص٢٤٢ ط دار الجيل).

(2) **مسلم**: كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب في سوق الجنة وما ينالون فيها من النعيم والجمال، حديث رقم (٢٨٣٣).

(3) سورة : القيامة (٢٢-٢٣).

(4) تم تخريجه صفحة (٢).

وَتَعَالَى لهم فيها: ﴿اخْسَئُوا فِيهَا وَلا تُكَلِّمُونِ (١٠٨)﴾[1] فهذا كلام رب العالمين لأهل النار، فنفي التكليم إنما هو في حال من الأحوال في أرض المحشر، أو يكون المنفي من التكليم هو تكليم البر والإحسان والرحمة والإنعام.

قال رحمه الله: (**وَيُكَلِّمُونَهُ**) فيكلمهم الله عز وجل ويكلمونه (**قال اللهُ تعالىٰ**: ﴿**وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ (٢٢) إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ**﴾[2]).وهذه من أقوى الأدلة التي يثبت بها أهل السنة والجماعة نظر المؤمنين لله عز وجل، رؤية أهل الإيمان لله عز وجل يوم القيامة، فإن الله أخبر عن وجوه أهل الإيمان بالنضارة فقال: ﴿**وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ**﴾ أي حسنة جميلة منعمة مكرمة فيها من البهاء والنور والجمال ما ليس في غيرها، ﴿**إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ**﴾ أي إليه جلّ وعلا ناظرة، فأضاف نظر أهل الإيمان إلى ماذا؟ إلى الرب، ثم النظر بأي شيء كان؟ بالقلوب أو بالوجوه؟ بالوجوه، ولذلك قال: ﴿**وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ**﴾ فنص على الوجوه التي فيها آلة النظر، وهذا دليل ما ذكره المؤلف رحمه الله من أنهم يرونه بأبصارهم؛ لأنه أخبر عن الوجوه بأنها ناظرة إلى ربها فالوجوه هي التي تنظر إلى ربها وتنظر إليه بأبصارها، بالآلة التي يحصل بها النظر في الوجه وهي البصر، فلا يمكن أن يقول قائل: إنها رؤية كشف؛ لأن الكشف لا يكون للأبصار إنما يكون لأي شيء؟ للقلوب، ولا يمكن أن يقال: إنه نظر إلى النعيم لماذا؟ لأن الله أضاف النظر إلى أي شيء؟ إليه جلّ وعلا، فقال: ﴿**وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ (٢٢) إِلَى رَبِّهَا**﴾ فلا يسوغ أن يقال: لا إلىٰ نعيم ربها؛ لأنه أضاف النظر إليه جلّ وعلا، فمن حرّف الكلم عن مواضعه وقال: إن النظر إلى النعيم يكون قد خرج عن ما دلت عليه الآية من إضافة النظر إليه جلّ وعلا.

فهذه الآية من أقوى وأظهر وأصرح الأدلة في إثبات نظر المؤمنين لربهم جلّ وعلا، نسأل الله أن نكون منهم.

يقول رحمه الله: (**وقالَ تعالى**: ﴿**كَلاَّ**﴾) ﴿**كَلاَّ**﴾كلمة رجع وزجر ﴿**إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ**﴾ ﴿**إِنَّهُمْ**﴾ أي أهل الكفر ﴿**عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ**﴾ فهم محجوبون عن النظر إلىٰ الله عز وجل، وهذا في حق أهل الكفر.

---

(1) سورة : المؤمنون (١٠٨).

(2) سورة : القيامة (٢٢-٢٣).

يقول المؤلف رحمه الله: (**فلمَّا حَجَبَ أولئك في حالِ السُّخطِ**) حجب الكفار (**فلمَّا حَجَبَ أولئك في حالِ السُّخْطِ دَلَّ على أنَّ المؤمنين يَرَوْنَهُ في حالِ الرِّضَا**)، فدلالة الآية على إثبات الرؤية.

أي ما يتعلق بالرؤية هذه الآية تدل دلالتين:

**الدلالة الأولى**: حجب الكفار عن ربهم.

**الدلالة الثانية**: وهي من دلالة المخالفة أن المؤمنين يرون ربهم جلّ وعلا.

ولذلك المؤلف رحمه الله ذكر نوعي الدلالة في الآية: دلالة المطابقة، ودلالة المخالفة:

دلالة المطابقة في قوله: (**حَجَبَ أولئك في حالِ السُّخْطِ**).

دلالة المخالفة: (**دَلَّ على أنَّ المؤمنين يَرَوْنَهُ في حالِ الرِّضَا**).

فإذا كان من عقوبة أهل الكفر أنهم لا يرونه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى حال الغضب، فكذلك تدل الآية بمفهوم المخالفة أنهم يرونه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى حال الرضا، قال: (**وإلاّ لم يَكُنْ بَيْنَهُمَا فَرْقٌ**) . يعني إذا لم يكن أهل الإيمان يرونه في حال الرضا وهم كالكفار في الحجب، فما فائدة الإخبار بأن الكفار يُحجبون عن الله عز وجل؟

فدلت الآية دلالة ظاهرة على أن أهل الإيمان ينعّمون برؤيته جلّ وعلا كما أن أهل الكفر يعاقبون بأي شيء ؟ يعاقبون بحجبهم عنه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

(**وقال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((إِنّكُمْ ستَرَوْنَ رَبّكُمْ كَمَا تَرَوْنَ هَذَا الْقَمَرَ، لاَ تُضَامّونَ فِي رُؤْيَتِهِ)). حديث صحيح متفق عليه**) . هذا الحديث رواه الإمام البخاري ومسلم وغيرهما من حديث جرير بن عبد الله،[1] وقد جاء من حديث غيره؛ لكن هذا اللفظ حديث جرير بن عبد الله. يقول شيخ الإسلام رحمه الله: وهو من أصح الأحاديث وقد أجمعت الأمة على قبوله وتلقيه بالقبول، وفيه إثبات رؤية المؤمنين لله عز وجل.

((**إِنّكُمْ ستَرَوْنَ رَبّكُمْ كَمَا تَرَوْنَ هَذَا الْقَمَرَ**)) المشار إليه القمر المعروف الذي في السماء، وفي بعض الروايات ((**كما ترون الشمس ليس دونها سحاب والقمر ليلة البدر**)) ((**لاَ تُضَامونَ فِي رُؤْيَتِهِ**)) أي لا يلحقكم ضيم في رؤيته؛ أي لا ينالكم ضيم بسبب الرؤية؛ بل ترونه في سعة. وفي رواية أخرى: ((**لا تَضَامُّون في رؤيته**)) يعني لا ينضم بعضكم إلى بعض لتروه؛ بل هو جلي واضح.

---

[1] تم تخريجه صفحة (٢).

الآن الناس إذا أرادوا أن يتراءوا الشمس هل يحتاج أحدهم أن يقترب إلى الآخر حتى يرى الشمس أم أن كل أحد يراها وهو منفرد عن الآخر بدون تضام واجتماع، أسألكم: هل يحتاجون إلى تضام أو لا ؟ هل يلحقهم ضيم في رؤيتها؟ لا، في أوسع ما يكون، وأحسن ما يكون رؤية القمر والشمس. رؤية الهلال في أول إهلاله، هل يحتاج الناس فيه إلى تضام حتى يروه؟ الغالب نعم، لذلك تجد أن أحدهم يقترب من الآخر ليريه مكان الهلال، وكذلك يحصل عليهم ضيم، لأن إدراكه ليس بالأمر السهل.

أما رؤية الشمس ورؤية القمر فإنه لا تضام فيها ولا ضيق على أهلها لوضوحها، ولذلك ذكر النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الرؤية القمر والشمس لأمرين:

**الأمر الأول:** أنهما أعظم ما يُرى في الدنيا، أعظم ما يراه أهل الدنيا وأوضحه الشمس والقمر.

**الثاني:** أن صفة رؤيتهما أن صفة رؤية أو كيفية رؤية الشمس والقمر من أروح ما يكون فيراها الحاضر والبادي، الصغير والكبير ، الذكر والأنثى، ليس فيه إشكال في رؤيتهما، فلا عُسر في الرؤية، والرؤية من أوضح ما يكون فاجتمع فيها سهولة الرؤية ووضوحها.

فالوضوح من أوضح ما يكون والسهولة واليسر من أسهل وأيسر ما يكون، ولذلك قال النبي صلى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((**إِنّكُمْ سترَوْنَ رَبّكُمْ كَمَا تَرَوْنَ هَذَا الْقَمَرَ، لاَ تُضَامّونَ فِي رُؤْيَتِهِ**)).

يقول رحمه الله: (**وهذا تشبيهٌ للرؤيةِ بالرؤيةِ لا للمرئيِّ بالمرئيِّ**) يعني لو قال قائل: إن هذا تمثيل، شبه النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الله عز وجل بالقمر، نقول: لا، ليس التشبيه للمرئي إنما التشبيه للرؤية.

فقوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((**إِنّكُمْ سترَوْنَ رَبّكُمْ كَمَا تَرَوْنَ**)) الكاف في قوله: ((**كَمَا تَرَوْنَ**)) كاف التشبيه؛ لكن التشبيه لأي شيء؟ للرؤية أو للمرئي؟ التشبيه للرؤية، ولذلك قال: ((**كَمَا تَرَوْنَ**)) (ما) هنا مصدرية و(ترون) فعل، (ما) المصدرية تنسبك مع الفعل الذي بعدها بمصدر تقديره (كرؤيتكم) هذا معنى قوله رحمه الله: (**وهذا تشبيهٌ للرؤيةِ**) لأن معنى قوله: ((**إِنّكُمْ سترَوْنَ رَبّكُمْ كَمَا تَرَوْنَ هَذَا الْقَمَرَ**)) أي كرؤيتكم هذا القمر، في أي شيء؟ في الوضوح وعدم التضام وعدم الضيق في الرؤية، فالتشبيه للرؤية لا للمرئي، أما الله جلّ وعلا فـ﴿**لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ (١١)**﴾.[1]

قال رحمه الله: (**فإنّ الله تعالى لا شبيهَ له ولا نظيرَ**) أي لا مثيل له ولا مساميَ، فإن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى نفى عن نفسه الند والنظير والمثل والكفء فـ﴿**لَيْسَ كَمِثْلِهِ**

---

[1] سورة : الشورى (١١).

شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ﴾، ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ (٤)﴾،[1] ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا (٦٥)﴾،[2] ﴿فَلاَ تَضْرِبُواْ لِلّهِ الأَمْثَالَ إِنَّ اللّهَ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ (٧٤)﴾[3] فليس له ند ولا يمكن أن يمثل بغيره كما قال تعالىٰ: ﴿فَلاَ تَضْرِبُواْ لِلّهِ الأَمْثَالَ﴾ فلا يجوز أن يقال: المرئي كالمرئي، الله تعالى كالقمر، بل تعالى الله عن ذلك علوّاً كبيراً، ليس كمثله شيء.

بقي علينا مسألة: وهي هل يرى الله عز وجل في الدنيا أو لا؟

الجواب على هذه المسألة أن أهل السنة والجماعة ذهبوا إلى أنه لا يرى جل وعلا في الدنيا، لا يراه أحد من الناس في الدنيا؛ لقول النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آله وَسَلَّمَ: ((واعلموا أن أحداً منكم لن يرى ربه حتى يموت))[4] كما في صحيح الإمام مسلم، وهذا يدل دلالة واضحة على أن رؤية الله عز وجل في الدنيا لا تكون، وأن كل من قال: إنه رأى الله أو ادّعى ذلك فإنما أتي من قبل وهم أو خيال أو ظن، والذي رآه ليس هو الله جلّ وعلا؛ لأن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لا يُرى في الدنيا.

وقد منع الله جلّ وعلا أحد أولي العزم من الرسل –وهو موسى عليه السلام– من أن يراه، فكيف بمن دونه من سائر المؤمنين؟ فإن الله جلّ وعلا لما قال له موسىٰ: ﴿رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَن تَرَانِي﴾[5] فمنعه من أن يراه.

وقد اتفق أهل السنة والجماعة على ذلك فيما يتعلق بأهل الإيمان.

والخلاف الذي وقع هو في رؤية النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آله وَسَلَّمَ ربه؛ هل رأى الله جلّ وعلا أو لا؛ اختلف أهل السنة والجماعة على قولين:

فأنكر هذا جمهورهم، ومن الصحابة ابن مسعود رضي الله عنه وغيره.

---

(١) سورة : الإخلاص (٤).

(٢) سورة : مريم (٦٥).

(٣) سورة : النحل (٧٤).

(٤) **مسلم**: كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب ذكر ابن صياد، حيث رقم (١٦٩).

(٥) سورة : الأعراف (١٤٣).

وأثبت الرؤية أي رؤية النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ربه يقظة جماعة من العلماء واستدلوا واحتجوا لذلك بما جاء عن ابن عباس وجماعة من الصحابة كأبي ذر من أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رأى ربه؛ ولكن هذا الذي ذكروه ليس في كلام الصحابة ما يؤيده.

بل ما في كلام الصحابة:

إما إثبات الرؤية مطلقاً كما جاء ذلك عن ابن عباس و عن غيره.

وإما أن يكون ذلك مقيداً برؤية القلب أو الفؤاد.

فما كان مطلقاً فإنه يحمل على المقيد من كلامهم، والصحيح الذي عليه جمهور أهل العلم أن النبي صلى الله عليه وسلم لم ير ربه يقظة، إنما رآه في المنام، وما كان من الرؤية التي ذكرها بعض الصحابة هي رؤية قلب ورؤية فؤاد وليست رؤية عين.

بقيت مسالة وهي هل يرى جلّ وعلا في المنام؟

من العلماء من قال: إنه يرى في المنام.

والأكثرون على أنه لا يرى، وأن ما يراه الإنسان في منامه، ويظن أنه الله جلّ وعلا فليس هو الله؛ لأنه جلّ وعلا ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ (١١)﴾.

وقد قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **((واعلموا أن أحداً منكم لن يرى ربه حتى يموت))**،[1] والموت هو مفارقة الروح البدن مفارقة تامة كاملة، ولا يصدق هذا على النائم ،النائم ميت من بعض الوجوه؛ لكنه لا يصدق عليه أنه ميت مطلقاً، فلا يمكن أن نحمل قول النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **((واعلموا أن أحداً منكم لن يرى ربه حتى يموت))** على حال النوم باعتبار أن النّوم موت، فنقول: إن الموت الذي أراده رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هو الموت الكامل الذي يحصل به تمام المفارقة –مفارقة الروح للبدن– وينقطع به العمل، أما النائم فموته موت إضافي أو نسبي وليس موتاً تامّاً.

وهذا يدل على أنه لا يرى في المنام.

وذهب جماعة من العلماء إلىٰ أنه يرى في المنام، وقال شيخ الإسلام رحمه الله: إن النائم يمكن أن يرى الله عز وجل، وما يراه في منامه هو على قدر إيمانه، فكلما كمل إيمانه كانت رؤيته أكمل وأتم.

---

(1) تم تخريجه صفحة (٢).

والذي يظهر أنه لا يمكن لأحد أن يجزم بأنه رأى الله جل وعلا، أما النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقد رأى ربه ولا إشكال في منامه فقد جاء في أحاديث متعددة منها حديث: ((**رأيت ربي البارحة في أحسن صورة**))،[1] فهذا يحمل على رؤية المنام.

وأما من عدا النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فإنه لا دليل على ثبوت الرؤية في حقه، ثم ما تراه لا تجزم بأنه الله لأنه ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ (١١)﴾.

وبهذا يكون قد انتهى ما ذكره المؤلف رحمه الله فيما يتعلق بالرؤية، ثم بعد ذلك ذكر فصلاً فيما يتعلق بالقدر نجعله إن شاء الله تعالىٰ في الدرس القادم.

ﮓﮓ ◊ ﮔﮔ

(١) **سنن الترمذي**: كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة ص، حديث رقم (٣٢٣٢). قال **الشيخ الألباني**: صحيح.

# شرح لمعة الاعتقاد

# الهادي إلى سبيل الرشاد

لموفق الدّين بن قدامة المقدسي رحمه الله

لفضيلة الشيخ

خالد بن عبد الله المصلح

الدرس الثامن

www.almosleh.com

## بسم الله الرحمن الرحيم

قال الإمام موفق الدِّين أبو محمد عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي رحمه الله تعالى:

(فصل

ومِنْ صِفاتِ اللهِ تعالى أنَّهُ الفعَّالُ لِمَا يُرِيدُ، لا يَكُونُ شَيءٌ إلا بإرادَتِهِ، وَلا يَخْرُجُ شَيءٌ عَنْ مَشِيئَتِهِ، وَلَيْسَ في العالَمِ شيْءٌ يَخرُجُ عَنْ تَقْدِيرِهِ وَلا يَصْدُرُ إلا عَنْ تدبيرِهِ، ولا مَحِيدَ عَنِ القدَرِ المقدورِ، ولا يتجاوَزُ ما خُطَّ في اللَّوحِ المسْطورِ، أرَادَ ما العالَمُ فاعِلوهُ، وَلَوْ عَصَمَهُم لَمَا خالَفوهُ، وَلَوْ شاءَ أنْ يُطِيعُوهُ جَمِيعًا لأَطاعُوهُ، خَلَقَ الخَلْقَ وأفعالَهم، وقَدَّرَ أرْزَاقَهُم وآجَالَهُم، يَهْدِي مَنْ يَشاءُ بِرَحْمَتِهِ، وَيُضِلُّ مَنْ يَشاءُ بِحِكْمَتِهِ، قال اللهُ تعالىٰ: ﴿لا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾،[1] وقال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾،[2] وقال تعالىٰ: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا﴾،[3] وقال تعالىٰ: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الأَرْضِ وَلا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا﴾،[4] وقال تعالىٰ: ﴿فَمَنْ يُرِدْ اللَّهُ أَنْ يَهدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا﴾.[5]

رَوَى عُمَرُ أنَّ جبْرِيلَ عليه السلامُ قال للنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ما الإيمان؟ قال: ((أنْ تُؤْمِنَ باللهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ، وبِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ))، فقال جبريل: صَدَقْتَ. متفق عليه.[6]

---

(1) سورة : الأنبياء (٢٣).

(2) سورة : القمر (٤٩).

(3) سورة : الفرقان (٢).

(4) سورة : الحديد (٢٢).

(5) سورة : الأنعام (١٢٥).

(6) **البخاري**: كتاب الإيمان، باب سؤال جبريل النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن الإيمان..، حديث رقم (٥٠).

**مسلم**: كتاب الإيمان، باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان.. حديث رقم (٨). واللفظ له.

وقال النبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((آمنْتُ بالقدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّه، وَحُلْوِهِ وَمُرِّهِ)).[1]

ومِنْ دُعَاءِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الّذي علَّمَهُ الحسَنَ بْنَ عَلِيٍّ يَدْعُو بِهِ في قُنُوتِ الوِتْرِ: ((وَقِنِي شَرَّ مَا قَضَيْتَ)).[2]

ولاَ نجعلُ قضاءَ اللهِ وقدَرَهُ حُجَّةً لنا في تَرْكِ أوامِرِهِ واجْتِناب نَوَاهِيه، بلْ يجبُ أنْ نُؤمِنَ ونَعْلَمَ أنَّ للهِ علينا الحُجَّةَ بإنزال الكتُب، وبعْثَةِ الرُّسُلِ، قال اللهُ تعالىٰ: ﴿لِئَلا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾[3].

ونعلَمُ أنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ما أَمَرَ ونَهى إلاَّ المستطيعَ للفِعْلِ والتَّرْكِ، وأنَّه لمْ يُجْبِرْ أَحَداً على معصيةٍ، ولا اضْطَرَّهُ إلى تَرْكِ طَاعَةٍ، قال اللهُ تعالى: ﴿لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلا وُسْعَهَا﴾،[4] وقال تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾،[5] وقال تعالى: ﴿الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لا ظُلْمَ الْيَوْمَ﴾.[6]

فَدَلَّ على أنَّ للعبْدِ فِعْلاً وكَسْبًا يُجْزَى على حَسَنِهِ بالثَّوابِ، وعلى سَيِّئِهِ بالعِقابِ، وهو واقِعٌ بقضاءِ اللهِ وقَدَرِه ) .

---

([1]) أخرجه الحاكم في معرفة علوم الحديث، من طريق يزيد الرقاشي عن أنس بن مالك، ويزيد الرقاشي ضعيف، كما في التقريب بل قال النسائي: متروك، وأحمد: منكر الحديث. وجاء في **سنن ابن ماجه**: كتاب المقدمة، باب في القدر، حديث رقم (٨٧)، بلفظ ((وتؤمن بالأقدار كلها خيرها وشرها وحلوها ومرها)). **قال الشيخ الألباني**: ضعيف جدًّا.

([2]) **سنن الترمذي**: كتاب الوتر، باب ما جاء في القنوت في الوتر، حديث رقم (٤٦٤).

**سنن أبي داوود**: كتاب الصلاة، باب القنوت في الوتر، حديث رقم (١٤٢٥).

**سنن ابن ماجه**: كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، باب ما جاء في القنوت في الوتر حديث رقم (١١٧٨).

**سنن النسائي**: كتاب قيام الليل وتطوع النهار، باب الدعاء في الوتر، حديث رقم (١٧٤٥).

قال **الشيخ الألباني**: صحيح.

([3]) سورة : النساء (١٦٥).

([4]) سورة : البقرة (٢٨٦).

([5]) سورة : التغابن (١٦).

([6]) سورة : غافر (١٧).

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا الفصل ذكر فيه المؤلف رحمه الله ما يتعلق بالإيمان بالقدر، والإيمان بالقدر أصل من أصول الإيمان التي لا يتم إيمان أحد إلا بها، فلا بد للمؤمن أن يؤمن بالقدر خيره وشره، وكل من كان غير مؤمن بالقدر فإنه لم يحقق الإيمان الذي تحصل به النجاة من النار وقد دلّت الأدلة في الكتاب والسنة وأجمع سلف الأمة من الصحابة رَضِيَ اللهُ عَنْهُم والتابعين وأئمة الدين على وجوب الإيمان بالقدر، وأنه ما من شيء إلا بقضاء وقدر.

وقد قال ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ في بيان منـــزلة الإيمان بالقدر: الإيمان بالقدر نظام التوحيد، فمن كذب بالقدر نقض تكذيبُه توحيدَه.

وهذا يدل على أن كل من لم يؤمن بالقدر فقد انتقض توحيده؛ لأن الإيمان بالقدر أساس التوحيد، هذا معنى قوله رضي الله عنه: (نظام التوحيد)؛ أي به ينتظم وبه يستقيم وبه يصلح وبه يستقر، فمن لم يؤمن بالقدر لا توحيد له، ومن لم يؤمن بالقدر لا إيمان له.

فالإيمان بالقدر أصل من أصول الدين، ومن أصول الإيمان وأركانه التي لا يتم إيمان أحد إلا بها، وقد قال ابن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ لما بلغه إنكار من ينكر الإيمان بالقدر، ويقول: إن الأمر أُنف. قال: والذي نفس ابن عمر بيده والله لو أنفق أحد مثل جبل أُحد ذهباً ما قبله الله منه حتى يؤمن بالقدر.

وجاء مثل هذا عن غير واحد من الصحابة رضي الله عنهم.

وقد أخرج الإمام أحمد وأصحاب السنن والدارقطني وابن حبان وابن خزيمة وغيرهم من أئمة أهل السنة حديث عبد الله بن فيروز بن الديلمي الذي جاء إلى أُبي بن كعب، فقال: إن في نفسي شيئاً من القدر فحدثني لعل الله أن يذهبه عني. فقال له أُبي رضي الله عنه: إن الله لو عذب أهل سماواته وأهل أرضه لعذبهم وهو غير ظالم لهم، ولو أنه رحم أهل سماواته وأهل أرضه لكانت رحمته أفضل لهم، وإنه لو أنفق أحد مثل جبل أُحد ذهباً لم يتقبله الله منه حتى يؤمن بالقدر. ثم قال له: وأت ابن مسعود فسأله. يقول ابن الديلمي: فأتيت ابن مسعود وحذيفة بن اليمان وزيد بن ثابت فكلمهم حدثني بما حدثني به أُبيّ عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آله وَسَلَّمَ.

فدلّ ذلك على أنّ الصحابة رَضِيَ اللهُ عَنْهُم مُجمعون على الإيمان بالقدر، وأنه من لم يؤمن بالقدر مات على غير الإسلام.

ولذلك جاء في حديث عُبادة بن الصامت في وصيته لابنه الوليد بن عُبادة لما قال له: واعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك وما أخطأك لم يكن ليصيبك. ثم قال:قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((**إن أول ما خلق الله القلم قال له: اكتب، قال: ما أكتُب، قال: اكتب ما هو كائن إلى يوم القيامة**))،[1] وفي رواية: ((**فإن مِتَّ على غير ذلك أحرقك الله بالنار**))، أو ((**فمن مات على غير هذا أحرقه الله بالنار**)).

فدل ذلك على وجوب الإيمان بالقدر، وأمر القدر أمر خطير عظيم، إنكاره ينقض التوحيد كما ذكرنا في كلام ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وهو تكذيب للقرآن وانتقاص لرب العالمين.

ولذلك لما سئُل الإمام أحمد رحمه الله عن القدر قال: القدر قدرة الله عز وجل، فمن أنكر القدر فقد أنكر قدرة الله جل وعلا.

وكل هذا يبين لنا عظيم مترلة القدر وأن الاختلال فيه اختلال في الإيمان، يعني الاختلال في الإيمان به اختلال في الإيمان، ولذلك لا يخلو كتاب من كتب الاعتقاد من الحديث عن القدر وبيان مترلته وما الذي يجب فيه.

والقدر يطلق في اللغة على التقدير، والمراد به في كلام النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في مثل قوله: ((**أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره**)).[2]

المراد به علم الله بالكائنات وحكمه فيها.

وعرفه جماعة من العلماء بأنه الحكم الكوني؛ يعني الحكم وقضاء الله عز وجل في الكون.

وعرّفه آخرون بأنه علم الله وكتابته ومشيئته وخلقه.

وهذا تعريف يسير سهل يجمع لك بيان القدر وبيان مراتب الإيمان بالقدر، فإن الإيمان بالقدر مراتب:

أولاها: الإيمان بعلم الله عز وجل، وأنه ما من شيء إلا بعلمه جل وعلا.

---

(1) **سنن أبي داوود**: كتاب السنة، باب في القدر، حديث رقم (٤٧٠٠).

**سنن الترمذي**: كتاب القدر، باب (١٧)، حديث رقم (٢١٥٥)، وقال الترمذي: هـٰذا حديث غريب من هـٰذا الوجه.

قال **الشيخ الألباني**: صحيح، وأورده في السلسلة الصحيحة برقم (١٣٣).

(2) تم تخريجه صفحة (٢).

الثانية: الإيمان بكتابة الله تعالى وأنه ما من شيء إلا وقد كتبه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فما من شيء من علمه إلا وهو مكتوب.

الثالثة: مشيئته، فما من شيء إلا بمشيئة الله جل وعلا.

الرابعة: خلقه فما من شيء في الكون إلا وخلقه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

وقد قال في بيان القدر بعض العلماء في نظمه:

علمٌ كتابة مولانا مشيئته		وخلقه وهو إيجادٌ وتكوين

وهذا يجمع لك تعريف القدر. وقوله: (وهو إيجاد وتكوين) بيان معنى الخلق وأنه يطلق على الإيجاد ويطلق على التكوين.

يقول ابن قدامة رحمه الله في هذه العقيدة: (**وَمِنْ صِفاتِ اللهِ تعالى أَنَّهُ الفَعَّالُ لِمَا يُرِيدُ**) وابتدأ تقرير ما يتعلق بالقدر بإثبات صفات الفعل لله جلّ وعلا، وأن الإيمان بالقدر فرع عن الإيمان بأنه فعال لما يريد، وأن من قال: إنه لا يقدر مقادير الأشياء، وإن في الكون ما يكون بلا تقديره ولا خلقه ولا مشيئته، فإنه مكذّب لإيمانه بأن الله جلّ وعلا فعال لما يريد، وإذا كان جلّ وعلا فعالاً لما يريد فإنه ﴿**لا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ**﴾.

وقوله رحمه الله: (**الفَعَّالُ لِمَا يُرِيدُ**) مأخوذ من قول الله تعالىٰ: ﴿**فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ (١٠٧)**﴾[1] في بيان صفة الرب جلّ وعلا فيما أخبر به سبحانه وتعالى عن نفسه في كتابه.

و﴿**فَعَّالٌ**﴾ جيء بها على صيغة المبالغة لإفادة معنيين:

المعنى الأول: كثرة الفعل.

والثاني: عظم الفعل.

فصيغة المبالغة تستعمل لأحد هذين المعنيين: إما لكثرة الشيء، وإما لعظمه ولو لم يكن كثيراً.

والذي في حقه جلّ وعلا المعنيان، فأفعاله كثيرة سبحانه وتعالى ما يكون من شيء إلا بأمره وتقديره، وأيضاً هذه الأفعال عظيمة كبيرة المنزلة والمكانة، رفيعة الشأن.

يقول رحمه الله: (**الفَعَّالُ لِمَا يُرِيدُ**) الإرادة هنا المقصود بها الإرادة الكونية، وإنه لمن المهم لمن أراد أن يفهم باب القدر أن يميز بين نوعين من الإرادة:

---

[1] سورة : هود (١٠٧).

**النوع الأول**: الإرادة الكونية، وتسمى الإرادة الخَلْقية، وهذه الإرادة الكونية الخلقية تعني كل ما يقع في هذا الكون، فالإرادة الكونية بها يحصل كل شيء في الكون: من خير وشر، من أمر الخلق البشر ومن أمر غيرهم، فكل ما يجري في الكون فهو مندرج تحت الإرادة الكونية، من خير وشر، من صلاح وفساد، من حوادث ووقائع في السماوات وفي الأرض وفي البشر وفي غيرهم، فهي الإرادة الشاملة المحيطة بكل الوقائع في الكون.

وهي التي يقصدها العلماء في قولهم: ما من شيء إلا بإرادة الله ومشيئته. فمقصود العلماء بهذا كل شيء، وكل ما يقع في الكون.

ولذلك قال المؤلف: (**لا يَكُونُ شَيءٌ إلا بِإرادَتِهِ، وَلا يَخْرُجُ شَيءٌ عَنْ مَشِيئَتِهِ**) فالمشيئة هنا والإرادة هي الإرادة الكونية التي تنتظم جميع الحادثات والكائنات بلا استثناء.

هذا النوع الأول من الإرادة.

هذا النوع من الإرادة هل يتعلق بمحبة الله عز وجل؟ الجواب: لا يتعلق بالمحبة؛ يعني لا يلزم من هذا أن يكون مما يحبه الله سبحانه وتعالى، فليس كل ما يقع في الكون محبوباً له؛ لكنه ما من شيء في الكون إلا وهو مراد له جلّ وعلا، فصلاح الصالحين وفساد المفسدين، وما إلىٰ ذلك من وقائع الدنيا هي كلها مندرجة تحت إرادته الكونية سبحانه وبحمده.

ولذلك لما قال أحد أهل البدعة لعالم من العلماء: سبحان من تنزه عن الفحشاء، قالها أحد المبتدعة في مجلس أحد العلماء، يريد بهذا أن ما يقع من الشر والفساد في الدنيا ليس من إرادته سبحانه وبحمده.

فماذا أجابه العالِم المدرك لمعنى ما يقول هذا المبتدع؟ قال: سبحان من لا يكون في ملكه إلا ما يشاء. أيهما أعظم إجلالاً لله عز وجل؟ الثاني؛ لأنه إذا كان الله جلّ وعلا المالك والملِك فإنه لا يسوغ أن يكون في ملكه ما لا يشاء؛ يعني ما لم يرده؛ لكن لا يلزم أن يكون جميع ما في ملكه محبوباً له، فإن الزنى والسرقة وفساد المفسدين وترك التاركين للتوحيد والواجبات الشرعية، هذا يحبه الله أو لا يحبه؟ لا يحبه، ومع ذلك فهو جلّ وعلا يريده لحكمةٍ بالغة، فهو مما يريده الله عز وجلّ؛ لكن بأي أنواع الإرادة يريده؟ بالإرادة الكونية الخلقية التي تنتظم جميع الكائنات وجميع الحادثات، ولا يخرج عنها شيء من خلق الله عز وجل.

**النوع الثاني من الإرادات**: الإرادة الدينية الشرعية الأمرية، كل هذه من الأسماء: تسمى الإرادة الدينية، تسمى الإرادة الأمرية، تسمى الإرادة الشرعية، وهي لا تكون إلا فيما يحبه الله سبحانه وتعالىٰ

ويرضاه، فلا يدخل في هـذا النوع من الإرادة شيءٌ من المبغوضات والمكروهات لربّ العالمين؛ بل ليس فيها إلا ما يحبه الله جلّ وعلا ويرضاه.

إذاً فهمنا أن الإرادة في كلام الله عز وجل وفي كلام رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تنقسم إلى كم قسم؟ إلى قسمين، وهذا أساس في فهم باب القدر، والسلامة من الضلال فيه؛ لأن ممن ضل في هذا الباب من لم يميز بين هذين النوعين من الإرادة: الإرادة الكونية الخلقية، والإرادة الشرعية الدينية.

إذاً الإرادة الشرعية تختص بما يحبه الله ويرضاه، تختص بما يتعلق بمحاب الله سبحانه وتعالى.

أما الإرادة الكونية الخلقية فهي تشمل جميع الحادثات، جميع الكائنات بلا استثناء.

مثال النوع الأول من الإرادة وهو الإرادة الخلقية الكونية، من يأتي بمثال من كلام الله عز وجل لهذا النوع؟ نريد آية ﴿فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ (١٠٧)﴾[1] قلنا: إن الإرادة هنا إرادة كونية؛ لأنها تشمل كل ما في الكون، فإنه داخل في إرادته هذه، سواء كان يحبه أو لا يحبه، ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ (٨٢)﴾.[2]

مثال للإرادة الكونية أيضاً قول نوح عليه السلام لقومه لما قالوا له في نصيحته لهم قال: ﴿وَلاَ يَنفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ إِن كَانَ اللّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ﴾[3]. الإرادة هنا أي نوع من أنواع الإرادة؛ الشرعية التي يحبها ويرضاها أو الكونية التي تنتظم كل ما يقع في الكون؟ الكونية.

طيب قول الله تعالى: ﴿فَمَن يُرِدِ اللّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلاَمِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاء﴾[4] الإرادة المذكورة في الآية من أي النوعين؟ من الإرادة الكونية؛ لأن بها يقع الضلال ويقع الفساد ويقع الخير والصلاح؛ لأنها تنتظم كل شيء.

وهذه الآية تشكل على بعض طلبة العلم، ويظن أنها تجمع نوعي الإرادة؛ لكن هذا ليس مقصوداً، ليس المقصود هنا إثبات نوعي الإرادة، إنما الإرادة هنا إرادة واحدة وهي الإرادة الكونية ﴿فَمَن يُرِدِ اللّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلاَمِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي

---

(1) سورة : هود (١٠٧).

(2) سورة : يس (٨٢).

(3) سورة : هود (٣٤).

(4) سورة : الأنعام (١٢٥).

﴿السَّمَاءِ﴾، وهذه الآية نظير قوله تعالى: ﴿مَن يَشَإِ اللّهُ يُضْلِلْهُ وَمَن يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ (٣٩)﴾[١]. والمشيئة هل هي تنقسم إلى مشيئة شرعية ومشيئة كونية أو هي مشيئة واحدة تنتظم كل شيء؟ المشيئة واحدة لا تنقسم إلى شرعية دينية وخلقية كونية، هي واحدة تنتظم كل شيء.

ولذلك الإرادة الكونية هي المشيئة.

يقول المؤلف رحمه الله بعد أن ذكرنا هذين القسمين: (لا يَكُونُ شَيءٌ إلا بِإرادَتِهِ) أي أنواع الإرادة؟ الكونية، (وَلا يَخْرُجُ شَيءٌ عَنْ مَشِيئَتِهِ) أي مشيئة؛ المشيئة الشرعية؟ أصلاً ما فيه مشيئة شرعية وكونية، المشيئة تشمل كل ما يكون، لا تنقسم المشيئة، بخلاف الإرادة.

قال رحمه الله: (وَلَيْسَ في العالَمِ شيْءٌ يَخْرُجُ عَنْ تَقْدِيرِهِ) نؤمن بهذا أنه ليس في العالم شيء يخرج عن تقدير الله عز وجل، فكل حركة وسكون في بر أو بحر أو سماء أو أرض ، في بني آدم أو في غيرهم هي من تقدير الله جلّ وعلا، نبض عروقنا، لحظ أعيننا، سير أقدامنا، كله بتقدير الله جلّ وعلا.

واجعل في بالك أنه ما من حركة ولا سكون من حي أو ميت في سماء أو في أرض إلا بتقدير الله جلّ وعلا، دليل ذلك قول الله تعالىٰ: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾،[٢] فكل شيء هو مخلوق بتقدير الله جلّ وعلا، فالقدر ينتظم كلَّ كائن في الكون، لا يخرج عنه شيء من خلق الله عز وجل في العالم.

يقول: (وَلَيْسَ في العالَمِ شيْءٌ يَخْرُجُ عَنْ تَقْدِيرِهِ وَلا يَصْدُرُ إلا عَنْ تدبيرِهِ) ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن جلّ وعلا، إيمان العبد بهذا يورثه عظيم التوحيد لله جلّ وعلا، ويعقبه عظيم التعظيم والمحبة للرب سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى الذي بيده مقاليد الأمور يصرفها كيف شاء، يهب لمن يشاء ما يشاء، ويمنع من يشاء ما يشاء ((لا مانع لما أعطى ولا معطي لما منع، ولا ينفع ذا الجدِّ)) أي صاحب الغنى ((ولا ينفع ذا الجدِّ منه الجد))[٣] فالجدُّ والغنى لا ينفع صاحبه إذا جرده الله منه، فكم من إنسان عنده من المال العريق ما يملك به الشيء الكثير؛ لكنه لا يستطيع أن يدخل إلى جوفه قطرة ماء إما لمرض أو لمانع، فكل شيء في هذا الكون لا يصدر إلا عن تدبير الله جل وعلا.

---

(١) سورة : الأنعام (٣٩).

(٢) سورة : القمر (٤٩).

(٣) **مسلم**: كتاب الصلاة، باب ما يقول إذا رفع رأسه من الركوع، حديث رقم (٤٧٧).

يقول: (**ولا مَحِيدَ**) يعني لا مصرف ولا مهرب (**عَنِ القدَر المقدورِ**)، وهذا ما قاله عُبادة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ لابنه: واعلم أن ما أخطأك لم يكن ليصيبك، وما أصابك لم يكن ليخطئك. وهذا قد جاء مرفوعاً من غير حديث عُبادة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مرفوعاً إلى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وفيه وجوب الإيمان بأن ما نزل بك لا يمكن أن يندفع عنك مهما فعلت، وما صرفه الله عنك لا يمكن أن يصيبك مهما سعى الناس في أن يترل بك. وهذا معنى ما ذكره النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لابن عباس في الوصية المشهورة المعروفة: ((**احْفَظِ الله يَحْفَظْكَ، احْفَظِ الله تَجِدْهُ تُجاهَكَ، إذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ الله، وَإِذَا استَعَنْتَ فاسْتَعِن بالله، وَاعْلَمْ أَنَّ الأمَّةَ لَوِ اجْتَمَعَتْ عَلى أَنْ يَنْفَعُوكَ بشَيءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إلاَّ بِشَيءٍ قَدْ كَتَبَهُ الله لَكَ، وَإنِ اجْتَمَعُوا عَلى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إلاَّ بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ الله علَيْكَ، رُفِعَتِ الأَقْلاَمُ، وَجَفَّتِ الصُّحُفُ**))[1]. أي قضي الأمر وفُرغ منه، ليس الأمر وليد الساعة أو الآن أو يمكن زحزحته وتغييره، أمر قضاه الله وقدره قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة لما خلق القلم قال له: اكتب. قال: ما أكتب؟ قال: اكتب مقادير كل شيء، أو اكتب ما هو كائن إلى يوم القيامة. فإذا أيقن العبد بهذا اطمأن وعلم أنه لا مفر من تقدير الله عز وجل (**ولا مَحِيدَ عَنِ القدَر المقدورِ**) أي القدر التقدير الذي قدره الله جلّ وعلا (**ولا يتجاوَزُ ما خُطَّ في اللَّوحِ المسْطورِ**) يعني ما يصيبك وما يترل بك لا يتجاوز ما رُقم و كُتب (**في اللَّوحِ المسْطورِ**) أي في اللوح المحفوظ الذي كتب فيه القلم مقادير كل شيء حتى تقوم الساعة.

قال رحمه الله بعد أن أثبت الكتابة والمشيئة؛ الآن المؤلف أثبت مرتبتين من مراتب القدر:

المشيئة حيثُ قال: (**لا يَكُونُ شَيءٌ إلا بِإرادَتِهِ، وَلا يَخْرُجُ شَيءٌ عَنْ مَشِيئَتِهِ، وَلَيْسَ في العالَمِ شيْءٌ يَخْرُجُ عَنْ تَقْدِيرِهِ وَلا يَصْدُرُ إلا عَنْ تدبيرِهِ، ولا مَحِيدَ عَنِ القدَرِ المقدورِ**).

ثم قال: (**ولا يتجاوَزُ ما خُطَّ في اللَّوحِ المسْطورِ**) أفادنا أن هذا القدر مكتوب، وهذا من مراتب الإيمان بالقدر: أن تؤمن بأن الله كتب مقادير كل شيء، فما من شيء إلا قد كتبه الله جلّ وعلا، جرى به القلم الذي خلقه الله سبحانه وتعالى.

---

([1]) **سنن الترمذي**: كتاب صفة القيامة والرقائق والورع ، باب (٦٠)، حديث رقم (٢٥١٦)، قال الترمذي: هـذا حديث حسن صحيح. قال الشيخ الألباني: صحيح.

(أرَاد ما العالَمُ فاعِلوهُ)، (أرَاد) أي أنواع الإرادة؟ الكونية التي تنتظم فِعل بني آدم كلهم.

يقول رحمه الله: (وَلَوْ عَصَمَهُم لَمَا خالَفوهُ) هذا فيه الجواب عن إشكال: هل معصية العاصين تقع بمشيئة الله أو بغير مشيئته، بإرادة الله الكونية أو بغير إرادته؟ الجواب: تقع بمشيئته وإرادته، وهو على كل شيء قدير جلّ وعلا؛ لكنه مكنهم من مخالفته، وأذن لهم في عصيانه لحكمة بالغة، ولذلك قال: (وَلَوْ عَصَمَهُم) أي منعهم من الوقوع في المعصية أو منعهم من ترك الواجب (لَمَا خالَفوهُ، وَلَوْ شاءَ أنْ يُطِيعُوهُ جَمِيعًا لأَطاعُوهُ) قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ شَاء رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾[1] أي في الإيمان والتقوى والصلاح والهدى ﴿وَلاَ يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ (١١٨)﴾[2] فمنهم مؤمن ومنهم كافر كما قال الله جل وعلا، فاختلافهم المذكور في سورة هود هو المشار إليه في سورة التغابن: ﴿فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ﴾.[3]

فقسم الله عز وجل الناس إلى فريقين: فريق في الجنة وفريق في السعير. هذا في المآل.

وفي العمل أيضاً قسمهم جلّ وعلا إلى قسمين: قسم يؤمن وقسم يكفر.

فقوله رحمه الله: (وَلَوْ شاءَ أنْ يُطِيعُوهُ جَمِيعًا لأَطاعُوهُ) أدلة هذا من الكتاب كثيرة منها ما ذكرناه.

(خَلَقَ الخَلْقَ وأفعالَهم) هذا فيه الرد على القدرية.

واعلم أن القدر ضل فيه طائفتان من الناس:

**الطائفة الأولى القدرية**: الذين قالوا: إن الله لم يشأ معصية العاصين و لم يقدر مخالفتهم، فالله لم يخلق أفعال العباد، بل العباد هم الذين يخلقون أفعالهم.

قابل هؤلاء فرقة أخرى غلوا في إثبات القدر وهم الجبرية: الذين قالوا: إنه ليس للإنسان اختيار ولا له فعل، وإنما هو كالريشة في مهب الريح لا تملك لنفسها تصريفاً ولا توجيهاً، فأفعال الخلق هي أفعال الله جلّ وعلا، ليس لهم إدارة ولا اختيار، وإنما هم مجبورون على كل ما يكون منهم.

يشير رحمه الله إلىٰ قوله: (وَلَوْ عَصَمَهُم لَمَا خالَفوهُ، وَلَوْ شاءَ أنْ يُطِيعُوهُ جَمِيعًا لأَطاعُوهُ، خَلَقَ الخَلْقَ وأفعالَهم) فيه الرد على أي الطائفتين؛ الذين غلوا في إثبات القدر أو الذين نفوا أن يكون فعل الخلق من

---

(1) سورة : هود (١١٨).

(2) سورة : هود (١١٨).

(3) سورة : التغابن (٢).

تقدير الله وخلقه؟ الثاني؛ الرد على القدرية الذين يقولون: إن فعل المخلوق ليس مقدراً من الله جلّ وعلا.

يقول رحمه الله: (**وقَدَّرَ أرْزَاقَهُم وآجَالَهُم**)، (**وقَدَّرَ أرْزَاقَهُم**) أي ما ينالهم من الرزق.

و(**أرْزَاقَهُم**) جمع رزق، والرزق هو كل ما يصل إلى الإنسان من نعمة الله عز وجل.

يشمل هـٰذا: النعم الحسية والنعم المعنوية.

فيدخل في الرزق صلاح القلب واستقامة الحال وصلاح العمل والتقوى والإيمان، هـٰذا من رزق الله جل وعلا.

ويدخل فيه ما يقوم به البدن.

فرزق الله يشمل ما يقيم القلوب وما يقيم الأبدان، كله يدخل في رزق الله.

قال: (**وآجَالَهُم**) أي قدّر سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أعمارهم وآجال أعمالهم وآجال ما يكون منهم .

(**يهدِي مَنْ يَشاءُ بِرَحْمَتِهِ وَيُضِلُّ مَنْ يَشاءُ بحِكْمَتِه**) أي هو في فعله جلّ وعلا في الهداية والإضلال لا يخرج عن الرحمة والحكمة.

يأتي بقية الكلام على هذا إن شاء الله تعالىٰ في الدرس القادم غداً إن شاء الله تعالى.

# شرح لمعة الاعتقاد

# الهادي إلى سبيل الرشاد

لموفق الدّين بن قدامة المقدسي رحمه الله

لفضيلة الشيخ

خالد بن عبد الله المصلح

الدرس التاسع

www.almosleh.com

**بسم الله الرحمن الرحيم**

قال الإمام موفق الدِّين أبو محمد عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي رحمه الله تعالى:

**أَرَادَ ما العالَمُ فاعِلوهُ، وَلَوْ عَصَمَهُم لَمَا خالَفوهُ، وَلَوْ شاءَ أنْ يُطِيعُوهُ جَمِيعًا لأَطاعُوهُ، خَلَقَ الخَلْقَ وأفعالَهم، وقَدَّرَ أَرْزَاقَهُم وآجَالَهُم، يَهْدِي مَنْ يَشاءُ بِرَحْمَتِهِ، وَيُضِلُّ مَنْ يَشاءُ بحِكْمَتِه، قال اللهُ تعالىٰ: ﴿لا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾،**[1] **وقال اللهُ تعالىٰ: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾،**[2] **وقال تعالىٰ: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا﴾،**[3] **وقال تعالىٰ: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الأَرْضِ وَلا فِي أَنْفُسِكُمْ إلا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا﴾،**[4] **وقال تعالىٰ: ﴿فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا﴾.**[5]

**وَرَوَى عُمَرُ أَنَّ جِبْرِيلَ عليه السلامُ قال للنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ما الإيمان؟ قال: ((أَنْ تُؤْمِنَ باللهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ، وبِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ))، فقال جبريل: صَدَقْتَ.** متفق عليه.[6]

بسم الله الرحمـٰـن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وأصلي وأسلم على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه ومن اتبع سنته بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فيقول المؤلف رحمه الله: (**أَرَادَ ما العالَمُ فاعِلوهُ**) في صلة كلامه عما يتعلق بالقدر وما يجب من الإيمان به، يقول رحمه الله: (**أَرَادَ ما العالَمُ فاعِلوهُ، وَلَوْ عَصَمَهُم لَمَا خالَفوهُ، وَلَوْ شاءَ أنْ يُطِيعُوهُ جَمِيعًا لأَطاعُوهُ**) هذا تكلمنا عليه في الدرس السابق، وذكرنا أن قوله: (**أَرَادَ ما العالَمُ فاعِلوهُ**) أن ما يكون في

---

([1]) سورة : الأنبياء (٢٣).

([2]) سورة : القمر (٤٩).

([3]) سورة : الفرقان (٢).

([4]) سورة : الحديد (٢٢).

([5]) سورة : الأنعام (١٢٥).

([6]) **البخاري**: كتاب الإيمان، باب سؤال جبريل النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن الإيمان..، حديث رقم (٥٠).

**مسلم**: كتاب الإيمان، باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان.. حديث رقم (٨). واللفظ له.

هذا الكون من خير وشر، من صلاح وفساد، من طاعة ومعصية، كله مراد لله جلّ وعلا يدخل في إرادته، لا يخرج شيء عن ما أراده جلّ وعلا، وهذه الإرادة هي الإرادة الكونية الخلقية القدرية؛ أي التي يصدر عنها خلق الله ويصدر عنها كل شيء، فهي تنتظم كل ما يكون في الكون.

وقوله رحمه الله: (**وَلَوْ عَصَمَهُم لَمَا خالَفوهُ**) فيه بيان أن ما يكون من المعصية إنما هو بتقدير الله جلّ وعلا، ولو شاء لمنع العاصي من أن يعصيه؛ ولذلك قال رحمه الله: (**وَلَوْ شاءَ أنْ يُطِيعُوهُ جَمِيعًا لأَطاعُوهُ**)، وقد ذكر الله جلّ وعلا هذا في كتابه في مواضع عديدة أنه لو شاء جلّ وعلا لهدى الناس جميعاً كما قال الله جلّ وعلا: ﴿**وَلَوْ شِئْنَا لآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا**﴾[1] وكما قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿**وَلَوْ شَاء رَبُّكَ لآمَنَ مَن فِي الأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا**﴾[2] فكل هذه الأدلة تدل على أن الله جلّ وعلا لو شاء هداية أهل المعصية وأهل الكفر لهداهم؛ لكن هذه المشيئة ليست حجة لهم على ما هم عليه من كفر وعصيان كما سيأتينا إن شاء الله تعالى في كلام المؤلف.

الذي نريد أن نقرّره الآن أنه ما من شيء في الكون إلا بمشيئة الله عزّ وجل، وتعلمون أن الإيمان بالمشيئة أي بأن مشيئة الله أحاطت بكل شيء مرتبة من مراتب الإيمان بالقدر، وقد ذكرنا المراتب في الدرس السابق، قلنا: إن أولها علم الله، كتابته، مشيئته، خلقه.

قال رحمه الله: (**خَلَقَ الخَلْقَ وأفعالَهم**)، (**خَلَقَ الخَلْقَ**) أي الأعيان، (**وأفعالَهم**) أي ما يصدر عنهم من أعمال وأقوال وسائر ما يعُدّ من كسبهم ظاهر أو مستتر، فكله خلق الله جلّ وعلا، كما قال الله جلّ وعلا: ﴿**وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ (٩٦)**﴾[3] وسيأتي دليل ذلك في كلام المؤلف رحمه الله.

(**وقَدَّرَ أرْزَاقَهُم وآجَالَهُم**)، (**قَدَّرَ أرْزَاقَهُم**) أي أرزاق الخلق (**وآجَالَهُم**) أي أعمارهم، والتقدير تقدير الأرزاق والآجال على مراحل ومراتب، التقدير الكلي السابق هو الذي جرى به القلم لما قال له الله جلّ وعلا: اكتب مقادير كل شيء حتى تقوم الساعة. كما في حديث عُبادة وغيره، فهذا تقدير سابق.

---

(١) سورة : السجدة (١٣).

(٢) سورة : يونس (٩٩).

(٣) سورة : الصافات (٩٦).

أيضاً ذكر النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كما في صحيح الإمام مسلم من حديث عبد الله بن عمرو: ((أن الله قدر مقادير كل شيء قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة)).[1]

هناك أيضاً التقدير الذي يكون في الأرحام، وهو ما جاء به الخبر عن جماعة من الصحابة رَضِيَ اللهُ عَنْهُم: أن الله يبعث ملكاً فيكتب أجل الإنسان وعمله وشقي أم سعيد ورزقه، كما في حديث ابن مسعود وحديث أبي هريرة وحديث حذيفة وغيرهم.

وقد اتفق سلف الأمة على أن الشقي من شقي في بطن أمه؛ أي إن الشقاء يكتب قبل الخلق، وقد ذكر ذلك ابن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ كما في صحيح الإمام مسلم، وهو يشير إلى مراحل وأطوار الخلق وما يكون من مجيء الملك لكتابة الأربع الكلمات التي تكون قبل خلق الإنسان.

يقول رحمه الله: (يَهْدِي مَنْ يَشاءُ بِرَحْمَتِهِ، وَيُضِلُّ مَنْ يَشاءُ بِحِكْمَتِه) وهذا يدل على أن ما يكون من هداية المهتدين، ومن ضلال الضالين، إنما هو بمشيئة الله عز وجل، ومشيئته ليست مجردة عن حكمته، بل كل شيء شاءه فهو لحكمة، فهو الحكيم الخبير سبحانه وبحمده.

قال المؤلف رحمه الله في الاستدلال لما تقدم: ﴿لا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾،[2] ﴿لا يُسْأَلُ﴾ أي الله جلّ وعلا لا يسأل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ﴿عَمَّا يَفْعَلُ﴾ يعني عما يكون منه من خلق وتقدير، ﴿وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾ أي والخلق يسألون، وهذه الآية نفي السؤال فيها عن الله عز وجل لماذا؟ هل لكونه يفعل بغير حكمة؟ الجواب: لا، لا يسأل عما يفعل، فهذا لكمال حكمته وعلمه جلّ وعلا، وأنه يضع الأشياء مواضعها، وأنه ليس في فعله خلل ولا عبث ولا فساد حتى يسأل عنه؛ بل فعله في غاية الحكمة، فله فيما يقضي ويقدِّر الحكمة البالغة، هذه الحكمة قد يدركها الإنسان بنظره وفكره وتأمله وتدبره، وقد يحال بينه وبين إدراكها؛ لكن امتناع الحكمة من أن تدرك وأن يعقلها الإنسان لا يدل على أنه ليس لهذا الفعل حكمة، أو ليس لهذا القضاء أو هذا القدر حكمة، بل لا بد له من حكمة؛ لكن هذه الحكمة قد تخفى ولا تدرك.

---

[1] **مسلم**: كتاب القدر ، باب حجاج آدم موسىٰ عليهما السلام، حديث رقم (٢٦٥٣).

[2] سورة : الأنبياء (٢٣).

فقوله تعالى: ﴿لا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾ هذا لأي شيء ؟ لكمال حكمته وعلمه وأن ما يفعله ليس فيه خلل ولا عبث، وأنه جلّ وعلا يضع الأشياء مواضعها.

خلافاً لمن استدل بهذه الآية على نفي التعليل قال: إن الله جلّ وعلا يفعل لا لحكمة، والدليل أنه لا يسأل عما يفعل. ففعله ما تحتاج أن تطلب له حكمة.

وهذا لجهلهم بكلام الله عز وجل وصفاته وما يجب له؛ لأن المؤمن يدرك أن الله جل وعلا حكيم كما وصف نفسه بذلك، وحكمته لا تقتصر على شيء من فعله جلّ وعلا أو من قضائه وقدره؛ بل هي منتظمة جميع أفعاله وجميع أقضيته وما يقدره سبحانه وبحمده.

وهذه الآية بدأ بها المؤلف رحمه الله، ذكر الأدلة الدالة على ما تقدم من الكلام؛ لبيان أنه يجب إذا عجز الإنسان عن إدراك الحكمة في قضاء الله عز وجل ألا يُعارض القدر؛ بل يجب أن يسلم للقدر، فالقدر سر الله في خلقه، لم يطلع عليه ملكاً مقرباً ولا نبيّاً مرسلاً.

فإذا عجز الإنسان عن إدراك شيء مما يقضيه الله ويقدِّره، فالواجب عليه أن يسلم، وألا يتهم الله جلّ وعلا بظلم أو بشيء من ذلك؛ بل الواجب عليه أن يعتقد كمال الرب، وأن يتهم نفسه، وأنه جلّ وعلا من الحكمة والعلم ﴿لا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾؛ ولذلك لما جاء ابن الديلمي لأبي بن كعب وقال له: إن في نفسي شيئاً من القدر. قال له مبتدئاً الجواب: لو أن الله عذب أهل سماواته وأرضه لعذبهم وهو غير ظالم لهم، ولو رحمهم لكانت رحمته أوسع لهم وأفضل لهم.

فالواجب على المؤمن فيما يتعلق بالقدر إذا وقع في قلبه شيء أن يطلب حله من كلام الله وكلام رسوله ومن سؤال أهل العلم، كما قال الله جلّ وعلا: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ﴾،[1] فإن لم يجد جواباً فالواجب عليه أن يرد هذا الاشتباه إلى ما يعلمه من عظيم صفات ربه وأنه الحكيم الحليم الخبير الذي لا يظلم الناس شيئاً، وأن يعلم أن قدر الله من جملة ما يدخل في قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ (١١)﴾[2] فإنه ليس كمثله شيء في شأن من شؤونه، وإذا اعتقد العبد أنه ليس كمثل ربه شيء فإنه ينحلّ ما قد يورثه الشيطان أو يوسوس به الشيطان من انتفاء الحكمة

(1) سورة : النحل (٤٣)، الأنبياء (٧).

(2) سورة : الشورى (١١).

أو وجود الظُّلم أو ما أشبه ذلك في شيء من أقضية الله وقدره، وليكن على باله قول الله تعالى: ﴿لا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾.[1]

ثم ذكر المؤلف رحمه الله في الاستدلال لما تقدم من أن الله خالق كل شيء وأنه ما من شيء إلا بقضاء وقدر (قال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾،[2]) ﴿إنّا﴾ الضمير يعود إلى الرب جلّ وعلا، وتكلم الله عز وجل بضمير الجمع ويريد نفسه تعظيماً لنفسه جلّ وعلا، ﴿كُلَّ شَيْءٍ﴾ يشمل كل شيء في هذا العالم فقد خلقه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بقدر، ﴿خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ الباء هنا للسببية ويمكن أن تكون للمصاحبة؛ يعني أنه بتقدير، مع تقدير وليس خالياً عن تقدير، فهو ملتبس بتقدير الله عز وجل، قدر الله محيط به.

وقد قال طاووس كما روى الإمام مسلم: أدركت ناساً من أصحاب النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقولون: كل شيءٍ بقدر. وهذا حكاية إجماع الصحابة على هــٰذا، أو تكلم الصحابة بهذا.

ثم قال رحمه الله: وسمعت عبد الله بن عمر يقول: كل شيء بقدر حتى العجز والكَيْس. يعني حتى الضعف وعدم إدراك ما تحب، والكيس أي الفطنة والذكاء وإدراك المطلوب، فكل شيء بقضاء وقدر، كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾،[3] وهذا إجماع أهل الإسلام، فقد دلت الأدلة في الكتاب والسنة ودل أيضاً إجماع سلف الأمة على أنه ما من شيء إلا بقضاء وقدر.

على هذا مضى أهل العلم وأئمة الدين، ولم يقع خلاف في ذلك إلا لما تكلم معبد الجهني فيما يتعلق بالقدر وأن الأمر أنف، وقد رد الصحابة رَضِيَ اللهُ عَنْهُم ابن عمر وواثلة بن الأسقع وغيرهما ردوا على هذه الشبهة وبينوا خطرها، وأنه لا يبلغ الإنسان الإيمان إلا بأن يسلِّم لله عز وجل ويؤمن بالقدر.

قال رحمه الله في ذكر الأدلة: (وقال تعالىٰ: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا﴾،[4]) ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا﴾ أي خلق مصاحب للقدر، فليس هناك شيء بلا تقدير، فقد خلق كل شيء وقدر كل شيء تقديراً، وأكد القدر بذكر المصدر؛ أكد تقدير الله بذكر المصدر تأكيداً له وتقريراً لمعناه وأنه ما

---

([1]) سورة : الأنبياء (٢٣).

([2]) سورة : القمر (٤٩).

([3]) سورة : القمر (٤٩).

([4]) سورة : الفرقان (٢).

من شيء إلا بقدر، وأما الخلق فإنه لم يؤكده قال: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ ثم جاء في القدر فذكره مؤكداً لتقريره ونفي شبه المعارضين لهذا الذين يقولون: إن الله جلّ وعلا لم يقدر بعض أفعال الخلق، وليس كل شيء بقضائه وقدره.

ثم قال رحمه الله: (وقال تعالىٰ: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الأَرْضِ وَلا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا﴾،[1]) هذه الآية من الأدلة الدالة على ما تقدم من أنه ما من شيء في الكون، ما من شيء من حركة وسكون يقع من الأنفس إلا بقضاء الله عز وجل وقدره.

يقول الله تعالىٰ: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ﴾ ويشمل كل ما يصيب الإنسان ويترل به مما يفرح به ويسر ومما يسوؤه ويكدره، فكل شيء بقضاء وقدر.

﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الأَرْضِ وَلا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلا فِي كِتَابٍ﴾ أي إنه مكتوب، وهذا يدل على شيئين: على علم الله بهذا المصاب وبهذا النازل، وأنه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى قد كتبه، فهذه الآية تدل على العلم وتدل على الكتابة.

قوله تعالى: ﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا﴾ الضمير في قوله: ﴿نَبْرَأَهَا﴾ للعلماء فيه أقوال:

منهم من قال: إنه يعود إلى المصيبة لقوله تعالىٰ: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الأَرْضِ وَلا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا﴾ أي من قبل أن نبرأ المصيبة، من قبل أن نخلقها ونوجدها، وهذا يدل على الخلق والمشيئة.

فهذه الآية تضمنت إثبات جميع المراتب: الكتابة، العلم، المشيئة، الخلق، فجميع هذه المراتب مضمنة في هذه الآية.

قوله: ﴿نَبْرَأَهَا﴾ قلنا: إن الضمير فيها يعود على أي شيء؟ على المصيبة.

وقيل: على الأرض ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الأَرْضِ وَلا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا﴾ أي من قبل أن نبرأ الأرض، وهذا يدل له حديث عن عبد الله بن عمرو: ((أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى كتب مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة)).[2]

---

([1]) سورة : الحديد (٢٢).

([2]) تم تخريجه صفحة (٢).

القول الثالثفي ضمير ﴿نَبْرَأَهَا﴾ : أنه يعود إلى الأنفس؛ أي من قبل أن نخلق الأنفس؛ أي من قبل أن نبرأ الأنفس، وهذا مطابق لحديث من؟ لحديث عبد الله بن عمرو ولحديث عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وغيره من الصحابة الذين أخبروا بالتقدير قبل الخلق، فيؤمر بأربع كلمات ثم ينفخ فيه الروح، هــٰذه الأربع الكلمات قبل الخلق؛ لأن نفخ الروح جاء بعدها.

فأي هذه الأقوال أرجح؟

من حيث النظر: أرجحها الأخير؛ لأن الضمير يعود إلى أقرب مذكور، وأقرب مذكور ما هو ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الأَرْضِ وَلا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا﴾ أقرب مذكور الأنفس.

وقال ابن القيم رحمه الله: إنه يصلح أن يكون الضمير عائداً إلى كل ما تقدم. قال: وهو أحسن. فتكون الآية في قوله تعالى: ﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا﴾ أي من قبل أن نخلق المصيبة، من قبل أن نخلق الأرض، من قبل أن نخلق الأنفس، وكل هذه المعاني صحيحة دل عليها الكتاب والسنة، فتحمل الآية على جميع هذه المعاني.

قال رحمه الله: (وقال تعالىٰ: ﴿فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا﴾ [١]). هذه الآية فيها إثبات الإرادة لله جلّ وعلا، والإرادة هنا أي نوعي الإرادة؟ الإرادة الكونية الخلقية؛ لأن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ذكر فيها إرادة الهداية وإرادة الضلال، وما الذي ينتظم هذه النوعين من الإرادة؟ الإرادة الكونية؛ لأن الإرادة الكونية هي التي تنتظم ويندرج تحتها ويصدر عنها كل شيء في الكون، من صلاح وفساد، من هداية وضلال، من خير وشر، ماذا يسمى هذا النوع من الإرادة؟ الإرادة الكونية وهي بمعنى المشيئة.

ونظير هذه الآية قوله تعالى: ﴿مَن يَشَإِ اللّهُ يُضْلِلْهُ وَمَن يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ (٣٩)﴾، [٢] فإنه مطابق لمعنى هذه الآية؛ حيث ذكر الله مشيئته للهداية ومشيئته للإضلال، وهنا ذكر إرادته للهداية وإرادته للإضلال، فالإرادة هنا هي المشيئة هناك، فيكون المعنى: ما من شيء في الكون إلا بإرادة الله عز وجل، وهذه الإرادة هي الإرادة الكونية.

---

(١) سورة : الأنعام (١٢٥).

(٢) سورة : الأنعام (٣٩).

النوع الثاني من الإرادة: الإرادة الشرعية، مثالها: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ﴾،[1] وأيضاً قوله تعالىٰ: ﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ﴾،[2] وقوله تعالىٰ: ﴿مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ﴾[3]. كل هذه الأنواع من الإرادة المذكورة في كلام الله عز وجل هي من الإرادة الشرعية.

طيب، ما الفرق بين الإرادة الشرعية والإرادة الكونية؛ لأن هذه المسألة هي الأساس الذي يسلم به الإنسان من الضلال فيما يتعلق بباب القدر، الإرادة الكونية والإرادة الشرعية ما الفرق بينهما؟ يعني الإرادة الشرعية تتعلق بالمحبة والرضا، فلا يريد الله إلا ما يحبه ويرضاه.

وأما الإرادة الكونية، فلا تتعلق بمحبة الله ورضاه؛ بل هي متعلقة بكل واقع في الكون، من خير وشر،من صلاح وفساد وغير ذلك، هذا فرق.

هناك فرق آخر بين الإرادة الشرعية والإرادة الكونية ما هو؟ الإرادة الشرعية غير لازمة الوقوع، يحتمل ألا تقع، يريد الله عز وجل من الناس عبادته أليس كذلك؟ ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلا لِيَعْبُدُونِ (٥٦)﴾،[4] فالعبادة مرادة من الله من جميع الناس هل حصلت هذه ؟ ما حصلت ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ﴾،[5] ﴿وَلَوْ شَاء رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلاَ يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ (١١٨)﴾[6] أي مؤمن وكافر.

فالإرادة الشرعية غير لازمة الوقوع، قد تقع وقد لا تقع.

طيب أمر الله عز وجل الناس بالصلاة من أي أنواع الإرادة؟ الإرادة الشرعية، كيف استدللت على أنها من الإدارة الشرعية؟ لأنه مما يحبه الله ويرضاه، لأنه قد لا يقع، كثير من الناس لا يصلي، من أهل الكفر وبعض من هو مسلم يترك بعض الصلوات، أو يترك الصلوات.

المراد أن الإرادة الشرعية تتميز بميزتين:

---

(1) سورة : الأحزاب (٣٣).

(2) سورة : النساء (٢٧).

(3) سورة : المائدة (٦).

(4) سورة : الذاريات (٥٦).

(5) سورة : التغابن (٢).

(6) سورة : هود (١١٨).

أولاً: أنها محبوبة لله عز وجل مرضية.

الثاني: أنها غير لازمة الوقوع.

أما الإرادة الكونية فهي لا تتعلق بالمحبة، تتعلق بأي شيء؟ تتعلق بكل شيء في الكون، بكل ما يكون.

والثاني: أنها لازمة الوقوع، لا بد أن تقع ما يمكن أن تتخلف، نعم.

ثم ذكر بعد ذلك قال: (**وَرَوَى عُمَرُ أَنَّ جِبْرِيلَ عليه السلامُ قال للنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ما الإيمان؟ قال: ((أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ وَمَلاَئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ، وبِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ))**) .الشاهد في سياق هذا الحديث قوله: (**وبِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ**)، (**فقال جبريل: صَدَقْتَ**) . والحديث مشهور حديث عمر رضي الله عنه في الصحيحين وفي غيرهما، فيه وجوب الإيمان بالقدر في قوله: ( **الإيمان أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ وَمَلاَئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ، وَبِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ**) وفيه أيضاً فائدة تدل لما تقدم من شمول التقدير لكل ما يكون في الكون قوله: ((**خَيْرِهِ وَشَرِّهِ**))، فالقدر يكون فيه خير ويكون فيه شر، القدر وهو ما يقضيه الله جلّ وعلا يكون فيه خير ويكون فيه شر ؛لقوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (**بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ**).

(**وقال النبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((آمَنْتُ بالقدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ، وَحُلْوِهِ وَمُرِّهِ))** [1]). هذا الحديث رواه الحاكم في كتاب معرفة علوم الحديث وهو مثال للحديث المسلسل؛ لأن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أخذ بلحيته وقال: ((**آمَنْتُ بالقدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ**))، وراوي الحديث أنس بن مالك أخذ بلحيته عند حكاية قول النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((**آمَنْتُ بالقدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ، وَحُلْوِهِ وَمُرِّهِ**))، وهكذا تسلسل هذا الوصف في الرواة، إلا أن الحديث فيه ضعف فهو من رواية يزيد الرقاشي وهو ضعيف.

على كل حال الشاهد من الحديث قوله: ((**خَيْرِهِ وَشَرِّهِ، وَحُلْوِهِ وَمُرِّهِ**))، وهذا يفيد ما أفاده حديث عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ في الصحيحين وفيه قوله: ((**وَبِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ**)).

---

([1]) أخرجه الحاكم في معرفة علوم الحديث، من طريق يزيد الرقاشي عن أنس بن مالك، ويزيد الرقاشي ضعيف، كما في التقريب بل قال النسائي: متروك، وأحمد: منكر الحديث. وجاء في **سنن ابن ماجه**: كتاب المقدمة، باب في القدر، حديث رقم (٨٧)، بلفظ: ((**وتؤمن بالأقدار كلها خيرها وشرها وحلوها ومرها**)). **قال الشيخ الألباني**: ضعيف جداً.

ثم قال: (**ومِنْ دُعَاءِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الّذي علَّمَهُ الحسَنَ بْنَ عَلِيٍّ يَدْعُو بِهِ فِي قُنُوتِ الوِتْرِ: ((وَقِنِي شَرَّ مَا قَضَيْتَ))** [1]). المقصود من سياق هذا الحديث هو الاستدلال على أن القدر ينتظم الشر، فالشر صادر عن تقدير الله عز وجل، فليس خارجاً عن قدر الله عز وجل؛ لعموم قول الله تعالىٰ: ﴿**إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ**﴾، [2] وقوله: ﴿**وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا**﴾، [3] وقوله: ﴿**مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الأَرْضِ وَلا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ (٢٢)**﴾، [4] والآيات الكثيرة دالة على هـٰذا، وأن القدر يشمل الخير والشر.

لكن يبقى سؤال : هل الشر في فعل الله عز وجل أو في مفعوله؛ يعني في مقضيه وما يقدره؟

**الجواب:** ليس في فعله شر بالكلية، دليل هذا ما رواه الإمام مسلم من حديث علي بن أبي طالب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ في دعاء الاستفتاح الذي كان يقوله النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في صلاته: ((**وجهت وجهي للذي فطر السماوات والأرض حنيفاً وما أنا من المشركين**)) وفيه: ((**لبيك وسعديك والخير كله في يديك والشر ليس إليك**)) فقال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الثناء على ربه: ((**والشر ليس إليك**)) أي لا ينسب إليك، يفهم هذا من قوله: ((**والخير كله في يديك**)) [5] فإذا كان الخير كله في يديه فإنه لا ينسب إليه الشر ولا يوصف به، ولذلك الشر في كلام الله عز وجل وكلام رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا يضاف إلى الله جل وعلا؛ بل إما أن يضيفه الله عز وجل للمخلوق المقضي المقدر، من ذلك قول الله تعالىٰ في سورة الفلق: ﴿**قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ (١) مِن شَرِّ مَا خَلَقَ (٢)**﴾ [6] من شر الذي

---

[1] **سنن الترمذي**: كتاب الوتر، باب ما جاء في القنوت في الوتر، حديث رقم (٤٦٤).
**سنن أبي داوود**: كتاب الصلاة، باب القنوت في الوتر، حديث رقم (١٤٢٥).
**سنن ابن ماجه**: كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، باب ما جاء في القنوت في الوتر، خديث رقم (١١٧٨).
**سنن النسائي**: كتاب قيام الليل وتطوع النهار، باب الدعاء في الوتر، حديث رقم (١٧٤٥).
قال **الشيخ الألباني**: صحيح.

[2] سورة : القمر (٤٩).

[3] سورة : الفرقان (٢).

[4] سورة : الحديد (٢٢).

[5] **مسلم** : كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب صلاة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ودعائه في الليل، حديث رقم (٧٧١).

[6] سورة : الفلق (١-٢).

خلق، ﴿مَا﴾ موصولة فأضاف الشر للمخلوق. ومنه أيضاً هنا: ((وَقِنِي شَرَّ مَا قَضَيْتَ)) فأضاف الشر للمخلوق في آية سورة الفلق، وفي هذا الحديث أضاف الشر للمقضي المقدر: ((وَقِنِي شَرَّ مَا قَضَيْتَ)).

يأتي ذكر الشر دون ذكر فاعله في كلام الله عز وجل مع التصريح بأن الخير من الله، فلا يضاف إليه الشر ومن ذلك قوله تعالىٰ: ﴿اهدِنَا الصِّرَاطَ المُستَقِيمَ (٦) صِرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِمْ﴾ ثم ماذا قال في المغضوب عليهم والضالين؟ قال: ﴿غَيرِ المَغضُوبِ عَلَيهِمْ وَلاَ الضَّالِّينَ (٧)﴾ [1] ولم يذكر فاعل ذلك، ذكر المفعول والواقع وهو الغضب والضلال، ويذكر أيضاً الشر على وجه الإجمال؛ يعني يندرج في غيره وليس منصوصاً عليه، مثل قول الله تعالىٰ: ﴿اللّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾،[2] ومثل قوله: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾،[3] فلا يشكّ مؤمن يدرك معاني كلام الله عز وجل وما كان عليه السلف الصالح من فهم هــٰذه الآية أن الشر مندرج في هذه الآية؛ لعموم قوله: ﴿كُلَّ شَيْءٍ﴾ فإنه يشمل كل شيء من خلق الله عز وجل.

إذاً إضافة الشر إلىٰ الله عز وجل ليس في كلام الله ولا في كلام الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إضافة الشر إلىٰ الرب جلّ وعلا، إنما يرد على هذه الأنحاء الثلاثة أو على هذه الصيغ والصور الثلاث التي ذكرناها قبل قليل.

فالشر ليس من فعله، إنما الشر الذي يكون في المقضي المقدر، وإنما أضفناه إلى المقضي المقدر لأنه شر، فالمرض شر والمعصية شر؛ ولكنها شر نسبي وليست شرّاً محضاً، فهي شر من جهة وخير من جهة: شر من جهة المخالفة أو من جهة ما يلحق الإنسان من ضرر، وخير باعتبار ما يترتب على وجود هذه الأشياء من الحكمة البالغة والرحمة الواسعة.

فقول المؤلف رحمه الله في سياق هذه الآيات والأحاديث كله لتقرير أن القدر يشمل هذا وذاك، يشمل الصلاح والفساد، يشمل الخير والشر، يشمل الطاعة والمعصية.

هذا الحديث حديث الحسن بن علي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ رواه الخمسة ونبه ابن حبان وابن خزيمة إلى أن زيادة في قنوت الوتر –يعني قول الحسن: علمني رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دعاء أقوله في قنوت

---

[1] سورة : الفاتحة (٦-٧).

[2] سورة : الرعد (١٦)، الزمر (٦٢).

[3] سورة : القمر (٤٩).

الوتر- تفرد بها أبو إسحاق السبيعي، وخالفه فيها شعبة وشعبة أحفظ من أبي إسحاق والبون بينهما شاسع؛ ولذلك رجح جماعة من العلماء رواية شعبة على رواية أبي إسحاق، ورواية شعبة ليس فيها ذكر القنوت: إنما علمني النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دعاءً. وليس فيها أنه يقال في الوتر. لكن جاء عند النسائي من طريق ثانية أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ علمه في دعاء الوتر فيعضد ما ذكره أبو إسحاق السبيعي عن بريد بن أبي مريم فيصح ما ذهب إليه الجمهور من أن هذا الدعاء يقال في قنوت الوتر.

طيب هذه مسألة خارجة عن ما نحن فيه.

يقول رحمه الله: (**ولاَ نجعلُ قضاءَ اللهِ وقدَرَهُ حُجَّةً لنا في تَرْكِ أوامِرِهِ واجْتِناب نَوَاهِيه**).

هذه المسألة تحتاج إلى وقفة نجعلها إن شاء الله تعالى في الدرس القادم غداً إن شاء الله تعالىٰ.

ﮋﮋ◊ﮊﮊ

# شرح لمعة الاعتقاد

# الهادي إلى سبيل الرشاد

**لموفق الدّين بن قدامة المقدسي رحمه الله**

**لفضيلة الشيخ**

خالد بن عبد الله المصلح

الدرس العاشر

www.almosleh.com

## بسم الله الرحمن الرحيم

قال الإمام موفق الدِّين أبو محمد عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي رحمه الله تعالى:

**(ولاَ نجعلُ قضاءَ اللهِ وقدَرَهُ حُجَّةً لنا في تَرْكِ أوامِرِهِ وارتِكاب نَوَاهِيه، بلْ يجبُ أنْ نُؤمِنَ ونَعْلَمَ أنَّ للهِ علينا الحُجَّةَ بإنزال الكتُب، وبعْثةِ الرُّسُلِ، قال اللهُ تعالىٰ: ﴿لِئَلا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾.[1]**

**ونعلَمُ أنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ما أَمَرَ ونَهى إلاَّ المستطيعَ للفِعْلِ والتَّرْكِ، وأنَّه لمْ يُجبِرْ أَحَداً على معصيةٍ، ولا اضْطَرَّهُ إلى تَرْكِ طَاعَةٍ، قال اللهُ تعالىٰ: ﴿لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلا وُسْعَهَا﴾،[2] وقال تعالىٰ: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾،[3] وقال تعالىٰ: ﴿الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لا ظُلْمَ الْيَوْمَ﴾.[4]**

**فَدَلَّ على أنَّ للعبْدِ فِعْلاً وكَسْبًا يُجْزَى على حَسَنِهِ بالثَّواب، وعلى سَيِّئِهِ بالعِقاب، وهو واقِعٌ بقضاءِ الله وقَدَرِه) .**

بسم الله الرحمـٰـن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وأصلي وأسلم على نبينا محمد المبعوث رحمة للعالمين، وعلى آله وأصحابه ومن اتبع سنته بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فهذا صلة ما تقدّم من البحث في بيان عقيدة أهل السنة والجماعة فيما يتعلق بالقدر.

يقول رحمه الله: **(ولاَ نجعلُ قضاءَ اللهِ وقدَرَهُ حُجَّةً لنا في تَرْكِ أوامِرِهِ وارْتِكاب نَوَاهِيه، بلْ يجبُ أنْ نُؤمِنَ ونَعْلَمَ أنَّ للهِ علينا الحُجَّةَ بإنزال الكتُب، وبعْثةِ الرُّسُلِ)**. في هذا المقطع من كلام المؤلف رحمه الله بيان إبطال احتجاج أهل المعصية والكفر بالقدر على ما هم عليه أو على ما هم فيه من معصية الله والكفر به؛ وذلك أن القدر انقسم الناس فيه من حيث الإيمان إلى طوائف:

---

(1) سورة : النساء (١٦٥).

(2) سورة : البقرة (٢٨٦).

(3) سورة : التغابن (١٦).

(4) سورة : غافر (١٧).

فطائفة غلت في إثبات القدر، وجعلت كلّ ما يكون من الإنسان وما يقع في هذا الكون محبوباً لله عز وجل مرضيّاً ، فكل ما في الكون هو محبوب لله جلّ وعلا، يحبه ويرضاه، وهو فعله ومشيئته، لا فعل للإنسان ولا مشيئة ولا إرادة، فألغوا تماماً فعل الإنسان واختياره ومشيئته وإرادته، وقالوا: كل ما في الكون إنما هو بفعل الله لا فعل لغيره، ومشيئة الله لا مشيئة لغيره، فاحتجوا بالقدر وبما يقع من قضاء الله وقدره على أمره ونهيه ودينه وشرعه، فجعلوا القدر حجة لإبطال الشرع.

وهؤلاء إمامهم فيما ذهبوا إليه إبليس حيث قال: ﴿قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ (١٦)﴾[1] لما أبى السجود قال في خطابه لله عز وجل: ﴿قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ (١٦)﴾ فأضاف الإغواء إلى الله عز وجل، فاحتج بإغواء الله جلّ وعلا وعدم هدايته على فعل نفسه، وهو صحة ما هو عليه، فزاده ذلك من الله جلّ وعلا بُعداً وعذاباً.

وقد سلك هذا المسلك أهل الشرك أيضاً فاحتجوا بالقدر على معصية الله عز وجل، كما قال الله جلّ وعلا: ﴿سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاء اللّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلاَ آبَاؤُنَا وَلاَ حَرَّمْنَا مِن شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم﴾[2] فأخبر الله جلّ وعلا عن مقولة المشركين أو ما سيقوله المشركون من أن ما يقع منهم من الشرك و تحريم ما أحلّ الله أو تحليل ما حرم الله، أن ذلك واقع منهم بمشيئة الله عز وجل، فاحتجوا بالقدر والقضاء على مخالفة أمر الله جلّ وعلا في توحيده وإفراده بالعبادة، وقد كذّبهم الله جلّ وعلا في ذلك، كما أن هذه الحجة هي حجة أهل التفريط والتقصير الذين أسرفوا على أنفسهم يوم القيامة، فإنه مما ذكر الله جلّ وعلا من أقوالهم: ﴿ أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ (٥٧)﴾[3] فلم ينفعهم ذلك في دفع عذاب ولا رفع عقاب، وقد قال أهل الشرك كذلك: ﴿لَوْ شَاء اللّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِ مِن شَيْءٍ نَّحْنُ وَلا آبَاؤُنَا﴾،[4] ولما دعاهم جلّ وعلا وأمرهم بالإنفاق والإطعام والصّدقة قالوا: أَنُطْعِمُ مَن لَّوْ يَشَاء اللَّهُ أَطْعَمَهُ، كما قال الله تعالىٰ: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنفِقُوا مِمَّا رَزَقَكُمْ اللَّهُ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنُطْعِمُ مَن لَّوْ يَشَاء اللَّهُ أَطْعَمَهُ﴾[5] فاحتجوا بالقدر على

---

(١) سورة : الأعراف (١٦).

(٢) سورة : الأنعام (١٤٨).

(٣) سورة : الزمر (٥٧).

(٤) سورة : النحل (٣٥).

(٥) سورة : يس (٤٧).

إبطال الأمر والنهي، على إبطال الشرع، وهذا من أخبث الأقوال وأرداها؛ لما يترتب عليه من المفاسد العظيمة.

يقابل هؤلاء: القدرية، وهم الذين نفوا خلق الله عز وجل لأفعال العباد، وهٰؤلاء حادوا وانحرفوا عن الصراط المستقيم، وخالفوا هدي سيد المرسلين صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وما عليه الصحابة وأئمة الدين؛ لكنهم في البدعة أخفّ من الجبرية الذين احتجوا بالقدر على إبطال الشرع.

فهؤلاء عندهم تعظيم للأمر والنهي وعندهم تعظيم للشريعة، بخلاف أولئك الذين أبطلوا الشرائع وأهدروها وليس لها عندهم قيمة؛ لأنه ما من شيء في الكون إلا وهو محبوب لله عز وجل، فإذا كان كل ما في الكون محبوباً لله عز وجل فقد بطل الشرع وبطل الدين ولا حاجة للشرائع ولا حاجة لبعثة الرسل وإرسال من أرسل جلّ وعلا للخلق مبشرين ومنذرين.

يقول المؤلف رحمه الله: (**ولاَ نجعلُ قضاءَ اللهِ وقدَرَهُ حُجَّةً**) والحجة هي كل ما يحتج به الخصم من حق أو باطل، فليس من لازم الحجة أن تكون حقّاً؛ بل قد تكون باطلاً، فالحجة إذا كانت باطلاً فهي حجة زاهقة ذاهبة مضمحلة داحضة، وإذا كانت حقّاً فهي برهانٌ وبينة.

فقوله رحمه الله: (**ولاَ نجعلُ قضاءَ اللهِ وقدَرَهُ حُجَّةً**) أي لا نجعلها مما يحتج به في المخاصمة (**حُجَّةً لنا في تَرْكِ أوامِرِهِ وارْتِكاب نَوَاهِيه**)، فعل من؟ فعل الجبرية الذين قالوا: إن المحبوب هو ما قدّره الله وقضاه. فأبطلوا الشرع بأي شيء؟ أبطلوا الشرع بالقدر.

يقول رحمه الله: (**بلْ يجِبُ أنْ نُؤمِنَ ونَعْلَمَ أنَّ لله علينا الحُجَّةَ بإنزال الكتُب، وبعْثَةِ الرُّسُلِ**) أي علينا الحجة البالغة التي ينقطع بها العذر (**بإنزال الكتُب، وبعْثَةِ الرُّسُلِ، قال اللهُ تعالىٰ: ﴿لِئلا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾**[1]) أي بعث الله عز وجل الرسل مبشرين ومنذرين لأجل أي شيء؟ لأجل ألا يكون للناس على الله حجة يحتجون بها ويتذرعون في ما هم فيه من كفر وما هم فيه من عدم توحيد، ومما ينبغي التنبه له أن بطلان الاحتجاج بالقدر على إبطال الشرع قد استقر في الفطر واتفقت عليه الأمم، فإنّ الأمم متفقة على أنه لا يسوغ إبطال الشرائع بكون الأمر قد قضاه الله وقدّره، وقد ذكر أئمة هذا الدين وعلماء المسلمين، ذكروا أوجهاً لإبطال الاحتجاج بالقدر وهي حجة باردة يحتج بها

---

[1] سورة : النساء (١٦٥).

كثير من العصاة في تسويغ ما هم عليه من باطل، وفي مضيّهم فيما هم فيه من مخالفة أمر الله وأمر رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وهذه بعض الأوجه التي يُستدل بها على بطلان الاحتجاج بالقدر في إبطال الشريعة وفي عدم العمل بها:

أول هذه الأوجه: أنه لا بد لمن احتج بالقدر على إبطال الشرع على ترك الواجب وفعل المحرم يلزمه أن يسوّغ كل فسادٍ وظلم يقع عليه من غيره، كل من احتج بالقدر في إبطال الشريعة، فيقال له: قم صلّ، قم افعل ما أمر الله أن تفعل، أو اترك ما نهاك الله عنه. قال: ما كتب الله لي، هذا أمر قدره الله علي. كل من احتج بمثل هذه الحجة من لازم حجته أن يقال له: كل ظلم يقع عليك في مالك أو أهلك أو نفسك فإنه يجب عليك أن تقبله وألا تنكره. لماذا؟ لأن الناس يشتركون جميعاً في كونهم تحت قدر الله عز وجل، لا خروج لهم ولا قدرة لهم على أن ينفكوا عن تقدير الله وقضائه؛ عن قضاء الله وقدره.

فإذا كان كذلك فإنه لا يسوغ لك أن تنكر ظلم الظالم لك؛ لأن ظلم الظالم لك هو بماذا؟ بقدر الله عز وجل، وهذا مما لا يقبله أحد مهما كان، حتى لو كان محتجّاً بالقدر في إسرافه ومعصيته وينافح إذا جاء عند هذه المسألة لا يمكن أن يقبل الاحتجاج بالقدر؛ بل يرد الاحتجاج بالقدر ليأخذ حقه ويرفع عن نفسه الظلم في ماله أو أهله أو أي شيء من شؤونه.

إذاً هذا الوجه الأول من أوجه إبطال الاحتجاج بالقدر.

من أوجه إبطال الاحتجاج بالقدر على إبطال الشرع، أو من أوجه بيان فساد احتجاج من احتجّ بالقدر على إبطال الشرع: أنّ من لازم ذلك أن يكون كل من أخبر الله عنهم بالكفر، ووعدهم بالهلاك أو أوقع عليهم هلاكاً أنّهم في الحقيقة معذورون، فإذا كانوا معذورين فلماذا يعذبهم الله جلّ وعلا؟ فإنه بعث الرّسل لقطع العذر، فلم ينفع بعث الرسل لهؤلاء؛ لأنهم كذبوا وخالفوا وأوقع الله عليهم من العذاب والعقاب ما حفظه كتابه جلّ وعلا وأخبر به رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأجمعت عليه الأمم، فدل ذلك على أن الاحتجاج بالقدر باطل؛ لأنه لو لم يكن باطلاً لكان إبليس وفرعون وقوم نوح وغيرهم من الأمم التي أخبر الله بإهلاكها وعقابها، لكانوا معذورين فيما هم فيه من الكفر؛ لأنه بقضاء الله وقدره.

الوجه الثالث من أوجه إبطال الاحتجاج بالقدر: أن الاحتجاج بالقدر على إبطال الأمر، على إبطال النهي، على إبطال الشريعة يُفضي إلى التسوية بين أولياء الله عز وجل وبين أعدائه؛ لأن المميز والفارق

بين أعداء الله و أوليائه أن هؤلاء امتثلوا الأمر فكانوا أولياء لله عز وجل، وأن هؤلاء عصوا الله عز وجل وخالفوا أمره، فكانوا أعداء له جل وعلا، فإذا كان الاحتجاج بالقدر على إبطال الشريعة صحيحاً فإنّ من لازم ذلك أن يُلغى التفريق بين المؤمنين والكفار، بين الأعمى والبصير، بين المهتدي والضال، وقد جاء في كتاب الله عز وجل في مواضع كثيرة ذكر الفرق بين هؤلاء، كما قال الله تعالى: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ (١٩) وَلا الظُّلُمَاتُ وَلا النُّورُ (٢٠) وَلا الظِّلُّ وَلا الْحَرُورُ (٢١)﴾،[1] ولو كان القدر حجةً للفريقين فيما هم فيه لانتفى الفرق ولاستوى هؤلاء جميعاً وقد قال الله جلّ وعلا: ﴿أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ (٢٨)﴾،[2] وهذا استفهام إنكار للتسوية بين هذين الفريقين.

الوجه الرابع من أوجه إبطال الاحتجاج بالقدر على إبطال الشريعة: أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كما في حديث علي بن أبي طالب في الصحيحين لما أخبر بأن الله جلّ وعلا قد علم ما الخلق عاملون حيث قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((ما من أحد إلا وقد عُلم مقعده من الجنة وعُلم مقعده من النار)) فقال بعض الصحابة: ففيمَ العمل يا رسول الله؟ أفلا نتكل على الكتاب وندعُ العمل؟ قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في جواب هذا: ((اعملوا فكلٌّ ميسر لما خُلق له))،[3] فلم يجعل النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ القدر مسوغاً لترك العمل؛ بل لما قالوا له: أفلا نتكل على الكتاب وندعُ العمل؟ ماذا قال لهم النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آله وَسَلَّمَ؟ قال: ((اعملوا))، فلم يقل اتركوا، اعتمدوا على الكتاب، اعتمدوا على التقدير، ((اعملوا فكل ميسر لما خُلق له)).

وكذلك جاء في حديث سُراقة بن مالك في صحيح الإمام مسلم أنّ رجلاً سأل النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقال: يا رسول الله بين لنا ديننا كأنا خلقنا الآن فيمَ العمل اليوم، أفيما جفت به الأقلام وجرت به المقادير أم فيما نستقبل؟ فقال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((بل فيما جفت به الأقلام وجرت به المقادير)). فقال رجل: ففيمَ العمل؟ يعني في أي شيء؟ ما فائدة العمل؟ قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

---

(١) سورة : فاطر (١٩-٢١).

(٢) سورة : ص (٢٨).

(٣) **البخاري**: كتاب التفسير، باب ﴿فسنيسره للعسرى﴾[الليل:١٠]، حديث رقم (٤٩٤٩).

**مسلم**: كتاب القدر، باب كيفية خلق الآدمي في بطن أمه ..حديث رقم (٢٦٤٧).

((اعملوا فكل ميسر لما خُلق له))، [1] وهذا يبين لنا أنّ الاحتجاج بالقدر من أبطل ما يكون في إبطال الشرائع؛ أي إن الاحتجاج بالقدر على إبطال الشريعة وعدم العمل بها وإهدار الأمر والنهي من أفسد ما يكون؛ لقول النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأصحابه: ((اعملوا فكل ميسر لما خُلق له)).

أيضاً من أوجه إبطال الاحتجاج بالقدر: أنه لو كان القدر حجةً على إبطال الشريعة لما عذب الله عز وجل أحداً في الدنيا ولا في الآخرة؛ لأنه لو عذبهم مع كون القدر حجة لكان ظالماً لهم، حيث إنه لم يمضِ ما هو حجة؛ لكن لما كان القدر ليس حجة في إبطال الشريعة عذب الله من خالف أمره وجعل المخالفة سبباً للعقوبة.

بعد هذا العرْض الموجز لبعض الأوجه التي يتبيّن بها فساد الاحتجاج بالقدر في إبطال الشريعة، وترك العمل بها، نعلم علماً لا يخالطه ريبٌ ولا شكٌّ، علماً يقينيّاً أن أهل السنة والجماعة على حق في هذا وهم وسط بين هذين الفريقين المختلفين: بيْن من ألغى قدر الله عز وجل وقدرته على خلق أفعال العباد، وبيْن من ألغى قدرة الإنسان واختياره في ما يكون منه وما يصدر عنه.

قال رحمه الله: (**ونعلَمُ أنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ما أَمَرَ ونَهى إلاَّ المستطيعَ للفِعْلِ والتَّرْكِ**)، وهذا أيضاً يضاف إلى الأوجه التي يُبطَل بها الاحتجاج بالقدر على إبطال الشريعة، نعلم أنه سبحانه ما أمر ونهى إلا المستطيع للفعل والترك؛ أي المستطيع لإيجاد ما أمر والقيام بما أمر وترك ما نهى عنه وزجر.

(**وأنَّه لَمْ يُجْبِرْ أَحَداً على معصيةٍ**) أي ليس هناك إجبار على المعصية؛ بل العاصي يعصي الله جلّ وعلا بإرادته واختياره، وكون الله جلّ وعلا علم ذلك وكتبه وشاءه وخلقه لا ينافي اختيار العبد؛ بل العبد مختار لما يفعل وما يقع منه من معصية الله عز وجل في ترك الواجبات ومواقعة المنهيات والمحرمات.

فالعبد ليس مجبوراً على معصية الله عز وجل؛ بل له الاختيار التام في طاعة الله عز وجل والتزام شرعه وفي معصيته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى والإعراض عن دينه؛ ولذلك رتّب الله جلّ وعلا العقاب والثواب على امتثال الأمر وترك النهي، فمن امتثل فاز بالفضل، ومن أعرض وتنكب ووقع في ما حرم الله عز وجل استحق العقوبة.

قال رحمه الله: (**ولا اضْطَرَّهُ**) أي ما اضطره الله جلّ وعلا (**إلى تَرْكِ طَاعَةٍ**) بل معصية العاصي بفعله ومشيئته واختياره، وطاعة الطائع بمشيئته واختياره؛ ولذلك إذا وقعت المعصية إكراهاً لم تُرتّب عليها

---

[1] **مسلم**: كتاب القدر، باب كيفية خلق الآدمي في بطن أمه ..حديث رقم (٢٦٤٨).

ماذا؟ لم ترتب عليها العقوبة حتى إذا كانت هذه المعصية أكبر ما يكون من المعصية وهي الكفر، كما قال الله جلّ وعلا: ﴿إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ﴾،[1] فإن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى استثنى من المؤاخذة من أكره وكان منشرح الصدر بالإيمان مطمئن القلب بحقائق الإسلام، فإنه لا يؤاخذ على ما يكون منه، فدل ذلك على أن الإكراه يخرج الإنسان عن التكليف.

فقوله رحمه الله: (وأنَّه لَمْ يُجبِرْ أَحَداً على معصيةٍ، ولا اضْطَرَّهُ إلى تَرْكِ طَاعَةٍ) واضح.

أدلة هذا: ذكر المؤلف رحمه الله منها:

(قال اللهُ تعالىٰ: ﴿لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلا وُسْعَهَا﴾،[2]) ﴿وُسْعَهَا﴾ أي طاقتها وقدرها، يعني ما تتسعه من العمل فعلاً وإيجاداً وتركاً واجتناباً، فالله جلّ وعلا لا يكلف نفساً إلا ما تقدر عليه وما تستطيعه.

(وقال تعالىٰ: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾[3]) تقوى الله فعل ما أمر وترك ما نهى، فالأمر وهو إيجاد المطلوب، والنهي وهو ترك المحرم كله ينتظمه قوله تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ أي اتقوا الله ما قدرتم وتمكنتم من ذلك.

قال رحمه الله (وقال تعالىٰ: ﴿الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لا ظُلْمَ الْيَوْمَ﴾[4]) وهـٰذا فيه أن ما يكون من الإنسان كسبه وعمله ويجازى على هذا الكسب والعمل يوم القيامة، ولذلك قال: ﴿الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ﴾ أي بما عملت وبما قدمت ﴿لا ظُلْمَ الْيَوْمَ﴾ فلا يظلم صاحب الطاعة بنقص طاعته ولا يظلم صاحب المعصية بالزيادة عليه في إساءته ومعصيته.

(فَدَلَّ) أي دل ما تقدم (على أنَّ للعبْدِ فِعْلاً وكَسْبًا) (فِعْلاً) يعني أثراً في إيجاد فعله واختياراً في إيجاد فعله (وكَسْبًا) فينسب إليه ما يكون من العمل.

يقول: (يُجْزَى على حَسَنِهِ) يعني من الفعل والكسب (بالثَّوابِ)، (وعلى سَيِّئِهِ) يعني من الفعل والكسب (بالعِقابِ)، (وهو واقِعٌ) أي ما يكون من فعله وكسبه، من حسناته وسيئاته كل ذلك واقع

---

([1]) سورة : النحل (١٠٦).

([2]) سورة : البقرة (٢٨٦).

([3]) سورة : التغابن (١٦).

([4]) سورة : غافر (١٧).

(**بقضاءِ الله وقَدَرِه**)، فيجتمع بهذا كمال الإيمان وكمال العبودية لله عز وجل حيث يؤمن العبد بالشرع ويعمل ويصدق بالقدر ويؤمن، وبه ينتظم إيمانه ويستقيم إسلامه، ولا قرار للإيمان إلا بهذا.

وبهذا يكون قد انتهى ما ذكره المؤلف رحمه الله مما يتعلق بالإيمان بالقدر.

ومما ينبه إليه في مسألة الاحتجاج بالقدر على المعصية أن الجبرية –الذين غلوا في إثبات القدر وجعلوا القدر حجة على إبطال الشريعة– يستدلون بما رواه البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ في محاجة موسى آدم حيث قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((**حج آدم موسى، فإن موسى قال سائلاً الرب جلّ وعلا: أرنا أبانا الذي أخرجنا من الجنة. فلما رآه، قال: يا آدم أنت أبو البشر خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه وأسجد لك ملائكته، لَم خرجت وأخرجتنا من الجنة؟ فقال آدم عليه السلام لموسى: يا موسىٰ أنت الذي اصطفاك الله بتكليمه فكلّمك وكتب لك التوراة بيده، بكم وجدت مكتوباً عليّ** ﴿وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى (١٢١)﴾،[1]) أي بكم قبل خلقي وجدت مكتوباً علي ﴿وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى (١٢١)﴾؟ ((**قال: بأربعين سنة**)) . قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((**فحجّ آدم موسىٰ**)).[2]

هذا الحديث يحتج به الذين يقولون: إنه يسوغ أن يحتج بالقدر على المعصية. كيف؟ قالوا: إن آدم عليه السلام رد على موسى بأي شيء؟ بأن الله كتب عليه المعصية، حيث قال له: ((**بكم وجدت مكتوباً عليّ قبل أن أخلق** ﴿وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى﴾؟)).

والصحيح أنه لا حجة لهم في هذا الحديث على ما ذهبوا إليه من الاحتجاج بالقدر على إبطال الشرع؛ لأن موضوع المحاجة بين آدم وموسى في أي شيء؟ هل هو في المعصية أم في المصيبة وهي الإخراج من الجنة؟

هل قال موسى لآدم: يا آدم لم عصيت الله وأكلت من الشجرة، أو قال له: لم أخرجتنا؟ أسألكم. المحاجة والمناقشة وقعت في المصيبة التي ترتّبت على وقوع المعصية، وهي الإخراج من الجنة.

---

[1] سورة : طه (١٢١).

[2] **البخاري**: كتاب القدر، باب تحاج آدم وموسىٰ عند الله، حديث رقم (٦٦١٤).

**مسلم**: كتاب القدر، باب حجاج آدم موسىٰ عليهما السلام، حديث رقم (٢٦٥٢).

فبماذا أجاب؟ أجاب على المصيبة بأنها من قدر الله عز وجل، وهذا لا يخالف ما عليه أهل السنة والجماعة، من أنه يجوز الاحتجاج بالقدر على المصائب، فإذا نزلت بالإنسان مصيبة احتج بالقدر.

ومن ذلك قول النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيما رواه الإمام مسلم في الصحيح، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((**المؤمن القوي خيرٌ من المؤمن الضعيف وفي كل خير، احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز، فإذا أصابك شيء فلا تقل: لو أني فعلت كذا لكان كذا وكذا؛ ولكن قل: قدر الله وما شاء فعل –أو قدّر الله وما شاء فعل–**))[1] فهنا احتجاج بالقدر على أي شيء؟ على المصيبة؛ ولذلك إذا أصابك شيء يعني مما تكره ففات خير، أو نزل بك ضُر فماذا تقول ؟ تقول: قَدَرُ الله وما شاء فعل.

فدل هذا على أنه يجوز الاحتجاج بالقدر على أي شيء؟ على المصائب، وهذا إجماع من أهل السنة والجماعة لا خلاف بينهم فيه.

لكن هل يسوغ لأحد أن يحتج بالقدر على المعصية؟ الجواب: لا.

فآدم عليه السلام إنما احتج بالقدر على أي شيء ؟ على الإخراج، وهي المصيبة التي نزلت به وببنيه، لا على المخالفة.

وهذا هو الذي ذكره شيخ الإسلام رحمه الله ورجحه وأبطل سائر ما ذُكر من الأوجه في الجواب على المحاجة.

لأن من العلماء من قال: إن آدم حج موسى لكونه أباه أو غير ذلك من الأوجه التي ذكروها.

المهم أن هذا أرجح الأوجه.

ابن القيم رحمه الله سلك مسلكاً آخر: قال –بعد أن ذكر كلام الشيخ–: وهناك وجه آخر يصلح أن يكون جواباً في هذا المحاجة وهو أن آدم عليه السلام إنما احتج بالقدر على المعصية بعد أن وقعت وتاب منها. يقول رحمه الله: فيجوز للإنسان إذا وقعت منه معصية، وتاب الله عليه منها أن يحتج بالقدر، إذا عاتبه أحد.

---

([1]) **مسلم**: كتاب القدر، باب في الأمر بالقوة وترك العجز والاستعانة بالله وتفويض المقادير لله، حديث رقم (٢٦٦٤).

فمثلاً إنسان أسرف على نفسه بشرب الخمر وسائر أنواع المعاصي، ثم تاب، فجاءه شخص وقال: أنت ما فيك خير، أنت شرّاب للخمر سرّاق، وما أشبه ذلك فله أن يقول: هذا بقدر الله؛ لأنّ الحقيقة أنه بقدر الله.

فساغ الاحتجاج بالقدر على المعصية متى؟ بعد التوبة منها.

وهذا الذي وقع من آدم: فإنه ما احتج بالقدر –على ما وجه ابن القيم رحمه الله– ما احتج بالقدر على الاستمرار والمضي في المعصية، إنما احتج بالقدر على أي شيء؟ على أنها وقعت وانتهت، فلا تعيرني بها، ومن تاب تاب الله عليه، التوبة تهدم ما كان قبلها.

فبطل احتجاجهم بهذا الحديث على مسألة الاحتجاج بالقدر في إبطال الشريعة.

وإنما أطلنا في هذا وبينا أوجه إبطال وفساد احتجاجهم بالقدر على إبطال الشريعة لأن كثيراً ممن ابتلوا بالتصوف يحتجون بالقدر على أخطائهم، وكثير ممن يسرفون على أنفسهم بالمعاصي إذا أُمروا بالمعروف أو نُهوا عن المنكر قالوا: ما قدر الله لنا الطاعة، ما هدانا الله لترك المعصية، وما أشبه ذلك من الحجج الباردة التي يبطلون بها الشريعة.

وفي قول المؤلف رحمه الله: (**فَدَلَّ على أنَّ للعبْدِ فِعْلاً وكَسْبًا**) انتقد هذا بعض أهل العلم فقال: إن هذا فيه شائبة أشعرية حيث قال: (**فَدَلَّ على أنَّ للعبْدِ فِعْلاً وكَسْبًا**)، والصحيح أن كلام المؤلف ليس عليه مؤاخذة، وأنه سارٍ وجارٍ على طريقة أهل السنة والجماعة، وذكر الكسب ليس دليلاً على أشعرية المؤلف؛ لأن الكسب ذكره الله جلّ وعلا في قوله: ﴿**الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لا ظُلْمَ الْيَوْمَ**﴾.[1] وقد ذكره المؤلف رحمه الله قبل ذكر الكسب، ففهم من الكسب ما دلت عليه الآية من أنه فعل الإنسان الذي يكون باختياره وإرادته ومشيئته.

أما الأشعرية فلهم في القدر قول عجب خالفوا به الناس، حيث قالوا: إن أفعال الخلق كسب لهم وليس لهم عليها قدرة. وهذا قول لا نطيل بذكره؛ لأنه من الأقوال المستبشعة والمستغربة التي لا حقيقة لها، ولا معنى لها، ولذلك حذاقهم يرجعون إلى أنهم يقولون بقول الجبرية، فهم يقولون: إن فعل العبد كسْب له لكن لا قدرة له عليه. وهذا لا يمكن أن يكون، لا يتصور كيف يكون فعله كسْباً له ولا قدرة له عليه.

---

([1]) سورة : غافر (١٧).

فمن قال: إن كلام المؤلف رحمه الله هنا فيه شائبة أشعرية أو فيه إيهام أو إبهام، في قوله نظر وتكلف؛ لأن المؤلف رحمه الله ذكر هذا بعد ذكر الآية التي ذكر الله فيها الكسب: ﴿الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لا ظُلْمَ الْيَوْمَ﴾ فيكون معنى الكسب الذي ذكره هو ما دلت عليه الآية.

وبهذا يكون انتهى ما يتعلق بمسائل القدر في هذا الفصل.

وينبغي للمؤمن أن يقرّ قلباً وأن يطمئن فؤاداً أن الله جلّ وعلا حكمٌ عدل لا يظلم الناس شيئاً كما قال الله جلّ وعلا: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ (٤٦)﴾،[1] وكما قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿لا ظُلْمَ الْيَوْمَ﴾.[2] فإذا استقر في قلب العبد هذا اطمأن من أن يقع شيء من ظلم الله عز وجل أو تعارض بين الشرع والقدر؛ بل الأمر كله لله جلّ وعلا يحكم ما يشاء ويقضي ما يريد، والعبد له اختيار ومشيئة وإرادة، ومشيئته وإرادته واختياره لا تخرج عن ما قدره الله جلّ وعلا، ما علمه وكتبه وشاءه وخلقه.

نعم.

**(فصل: ويجب الإيمان بكل ما أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم، وصح به النقل عنه فيما شاهدناه أو غاب عنا، نعلم أنه حق وصدق، وسواء في ذلك ما عقلناه وجهلناه ولم نطلع على حقيقة معناه.**

**مثل حديث الإسراء والمعراج، وكان يقظة لا مناماً، فإن قريشاً أنكرته وأكبرته، ولم تكن تنكر المنامات.**

**ومن ذلك أن ملك الموت لما جاء إلى موسى عليه السلام ليقبض روحه لطمه ففقأ عينه، فرجع إلى ربه فرد عليه عينه).**

طيب، المؤلف رحمه الله ابتدأ هذا الفصل المتعلق بالإيمان بالغيب مما أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم إما يكون في الدنيا، وإما يكون في الآخرة؛ لقوله رحمه الله: **(ويجب الإيمان بكل ما أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم، وصح به النقل عنه فيما شاهدناه أو غاب عنا)**. هذا الإيمان يسمى الإيمان المجمل الذي يجب أن يقر في قلب كل مؤمن، أن يعتقد ما قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم ويؤمن به، ويصدق به، وأنه حق على حقيقته.

---

(1) سورة : فصلت (٤٦).

(2) سورة : غافر (١٧).

هذا هو الواجب على أهل الإيمان، سواء علموه أو لم يعلموه، أدركوه أو لم يدركوه، ظهر لهم أو خفي، من عالم الغيب أو من عالم الشهادة، يجب عليهم أن يؤمنوا بذلك.

ومن خصائص أهل الإسلام وأهل الإيمان أنهم يؤمنون بالغيب، ولذلك قال الله تعالى – في أول صفة ذكرها لأهل الإيمان في كتابه-: ﴿الم * ذَلِكَ الْكِتَابُ لا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ﴾[1]. فأول صفة ذكرها لعباده المتقين الذين يهتدون بالقرآن أنهم يؤمنون بالغيب، وهو الذي يميز بين أهل التقوى والدين وأهل الإيمان، وبين أهل الكفر والجحود والإعراض.

يجب على المؤمن أن يؤمن بكل ما أخبر به الله تعالى في كتابه، أو أخبر به رسوله صلى الله عليه وسلم إيماناً جازماً لا يدخله ريب ولا شك.

هذا هو الإيمان المجمل، ولذلك قال: **(ويجب الإيمان بكل ما أخبر به)** سواء علمنا أو لم نعلم، بلغنا أو لم يبلغنا، يجب الإيمان بكل ما أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم وصح به النقل عنه، ما أخبر به في الكتاب وصح به النقل عنه، الأول يشمل الكتاب والسنة.

وأما قوله: **(وصح به النقل)** فهذا يختص بالسنة؛ لأن النقل إنما تطلب صحته فيما كان من خبر النبي صلى الله عليه وسلم في غير كتاب الله عز وجل.

**(فيما شاهدناه)** أي: فيما أدركناه ووقع عليه بصرنا، وهو من عالم الشهادة.

**(أو غاب عنا)** يعني: ما لم ندركه و لم نشاهده، نعلم أنه حق وصدق.

**(وسواء في ذلك ما عقلناه وجهلناه)** ما عقلناه: يعني ما أدركته عقولنا وفهمته، وما لم تدركه عقولنا و لم تفهمه.

الواجب الإيمان بجميع هذا، ولا يوقف الإنسان إيمانه بما أخبر الله به ورسوله على إدراك العقل وفهمه؛ فإن العقل قد يحار في إدراك خبر من الأخبار، أو إدراك أمر من الأمور، لكنه لا يجوز له أن يتوقف في إيمانه بذلك، بل يجب عليه أن يؤمن بما أخبر الله به ورسوله، الشريعة تأتي بما يحار فيه الإنسان، لكنها لا تأتي بما تحيله العقول.

الشريعة تأتي بما تحار فيه العقول، يعني تتحير في إدراكه وكيفيته وحقيقته، لكن لا يمكن أن تأتي الشريعة بما تحيله العقول، يعني: بما تمنعه العقول وتقول إنه مستحيل.

---

[1] سورة : البقرة (١-٣).

فيجب الإيمان بما أخبرت به الشريعة، سواء أدركنا ذلك بعقولنا أو لم ندركه، يعني: أدركنا حقيقته بعقولنا أو لم ندرك ذلك.

يقول رحمه الله: **(ولم نطلع على حقيقته ومعناه)** مثل ذلك بأمثلة، قال: مثل حديث الإسراء والمعراج.

الإسراء: انتقال النبي صلى الله عليه وسلم من مكة إلى بيت المقدس: ﴿**سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ (١)**﴾[١]. فأسرى الله عز وجل برسوله ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، هذا هو الإسراء وقد أخبر الله عز وجل به في كتابه، وسبح نفسه عليه، فدل ذلك على أنه من عظيم قدرته ودال على عظيم صفاته وكمال قوته جل وعلا.

﴿**لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا**﴾[٢] أي: ليرى ويشهد من آياتنا الدالة على صدق خبرنا ما وقع له صلى الله عليه وسلم.

أما المعراج فكذلك جاء ذكره في القرآن الكريم في سورة النجم، في قوله تعالى: ﴿**وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى (١) مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى (٢) وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى (٣) إِنْ هُوَ إِلا وَحْيٌ يُوحَى (٤) عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى (٥) ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى (٦) وَهُوَ بِالأُفُقِ الأَعْلَى (٧) ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى (٨) فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى(٩)**﴾[٣].

كل هذا في وصف ما كان في تلك الليلة.

﴿ **فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى (١٠) مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى (١١) أَفَتُمَارُونَهُ عَلَى مَا يَرَى(١٢)**﴾[٤].

أي: أتجادلونه وتناقشونه على ما رأى من تلك الآيات العظيمة الكبيرة التي تجلت له وشاهدها في تلك الليلة في معراجه، فالمعراج ثابت بالقرآن أيضاً، وثبوته بالسنة لا مجال لإنكاره، ولا الشك فيه ولا الريب؛ فإن السنة قد دلت على ذلك دلالة واضحة جلية يدركها كل عقل مؤمن وقلب سليم، لكن هل

---

(١) سورة : الإسراء (١).

(٢) سورة : الإسراء (١).

(٣) سورة : النجم (١-٩).

(٤) سورة : النجم (١٠- ١٢).

نحن ندرك كيف كان ذلك؟ ما ندرك كيفية ذلك؛ لأن إدراك الكيفيات أمره زائد على التصديق بالخبر، فنحن نصدق بالخبر لكننا لا ندرك كيفية ذلك، ولذلك مثل به للأمور التي يجب الإيمان بها، وإن كنا لا نعقل و لم نطلع و لم نشاهد كيف أسري به صلى الله عليه وسلم من مكة إلى بيت المقدس من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، ثم عرج به من المسجد الأقصى إلى سابع سماء ثم عاد في ليلة واحدة، كل هذا جرى له صلى الله عليه وسلم في ليلة واحدة.

يقول المؤلف رحمه الله: **(وكان يقظة لا مناماً)** .

هذا الذي عليه جمهور أهل العلم، ودل عليه كتاب الله عز وجل وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، فإن الإسراء والمعراج كانا بالجسد والروح، لا بالروح وحدها كما يقوله من يقوله، بل كان بهما جميعاً كما دلت على ذلك النصوص، وهو ظاهر كتاب الله وظاهر سنة النبي صلى الله عليه وسلم.

**(فإن قريشاً أنكرته وأكبرته)** أنكرت الإسراء والمعراج، وأكبرته: يعني عدته من أكبر دلائل كذب النبي صلى الله عليه وسلم، ولذلك فرحوا به، وشنعوا على النبي صلى الله عليه وسلم فيه، حتى إن بعض أهل الإسلام ممن أسلم بالنبي صلى الله عليه وسلم ارتد؛ بسبب ما وقع في قلبه من شك وريب وشبهة من خبر النبي صلى الله عليه وسلم، وثبت الله من ثبت وكان على رأسهم أبو بكر رضي الله عنه، حيث قال –لما قالوا له ذلك–: إن كان قد قال لكم ذلك، فهو صادق، إنني لأصدقه فيما هو أعظم من ذلك، أصدقه في خبر السماء يأتيه في ساعة من ليل أو نهار.

ثم قال: **(ولم تكن تنكر المنامات)** يعني: لو كان الإسراء مناماً لما كان هناك وجه لإنكار قريش؛ لأن قريشاً لا تنكر المنامات، إنما أنكرت وشنعت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذبت وجادلت في الإسراء الذي كان بالروح والجسد لا بالروح فقط، والذي كان يقظة لا مناماً.

**(ومن ذلك أن ملك الموت)** يعني: مما يجب التصديق به، وإن لم ندرك حقيقته، و لم نعقل كيفيته، ما أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم من أن ملك الموت لما جاء إلى موسى عليه السلام ليقبض روحه لطمه ففقأ عينه، فرجع إلى ربه فرد عليه عينه، وهذا مما أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم كما في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن الله بعث ملك الموت لموسى عليه السلام ليقبض روحه، فجاءه فقال له: إن الله أمرني بقبض روحك، فلطمه موسى عليه السلام ففقأ عينه، فرجع ملك الموت إلى الله جل وعلا وقال: إنك أرسلتني إلى عبد لك لا يريد الموت، فرد الله على ملك الموت عينه،

وأمره بأن يذهب إلى موسى وأن يضع يده على جلد ثور، فما وقع تحت يده فله به سنوات من العمر [1].

الشاهد في هذا الحديث هو ما أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم من فقء عين الملك، فإن هذا مما أخبر به وقد لا يدركه كثير من الناس، فعدم إدراكهم له، وعدم تصورهم لذلك لا يعني أنه يسوغ لهم أن ينكروه وأن يردوه، بل الواجب عليهم أن يؤمنوا به ويقبلوه.

هذا مثال آخر ذكره المؤلف رحمه الله لما يجب الإيمان به مما أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم وصح به النقل مما غاب عنا و لم نعلم حقيقته وكيفيته.

ثم ذكر المؤلف رحمه الله بعد ذلك أشراط الساعة، وهو مبدأ ما ذكره المؤلف رحمه الله من الإيمان باليوم الآخر، فإن الإيمان باليوم الآخر هو الإيمان بكل ما أخبر به رسول الله صلى الله عليه وسلم من ما يكون بعد الموت، وأيضاً يدخل فيه ما أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم من ما يكون بين يدي الساعة من علاماتها وأشراطها التي تدل على قربها وأوان دنوها ووقوعها.

ونجعل إن شاء الله تعالى البحث فيها – لأنها متصلة – في الدرس القادم.

❀❀◈❀❀

(1) انظر: **البخاري**، كتاب الجنائز ، باب من أحب الدفن في الأرض المقدسة ونحوها، رقم (١٣٣٩)
**ومسلم**: كتاب الفضائل، باب من فضائل موسى صلى الله عليه وسلم، حديث رقم (٢٣٧٢) من طريق أبي هريرة رضي الله عنه.

# شرح لمعة الاعتقاد

# الهادي إلى سبيل الرشاد

لموفق الدّين بن قدامة المقدسي رحمه الله

لفضيلة الشيخ

خالد بن عبد الله المصلح

الدرس الحادي عشر

www.almosleh.com

**بسم الله الرحمن الرحيم**

قال الإمام موفق الدِّين أبو محمد عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي رحمه الله تعالى:

**(فصل**

**والإيمانُ قوْلٌ باللسانِ وعمَلٌ بالأرْكانِ وعَقْدٌ بالجَنَانِ، يزيدُ بالطاعةِ وينْقُصُ بالعصيانِ.**

**قال الله تعالىٰ: ﴿وَمَا أُمِرُوا إلا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾[1]، فجعَلَ عبادَةَ اللهِ تعالىٰ وإخلاصَ القلبِ، وإقامَ الصَّلاةِ، وإيتاءَ الزَّكاةِ، كُلَّهُ مِن الدِّينِ.**

**وقالَ رسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((الإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ شُعْبَةً، أَعْلاَهَا شَهَادَةُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاّ اللهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ)). فجعَلَ القَوْلَ والعَمَلَ مِنَ الإيمانِ.**

**وقال تعالىٰ: ﴿فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾،[2] وقال: ﴿لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا﴾.[3]**

**وقال رسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ: لاَ إِلهَ إِلاَّ اللهُ. وَفِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ بُرَّةٍ أَوْ خَرْدَلَةٍ أَوْ ذَرَّةٍ مِنَ الإيمانِ)) فجعَلَهُ متفاضلاً) .**

بسم الله الرحمـٰن الرحيم

والحمد لله رب العالمين، وأصلي وأسلم على نبينا محمد المبعوث رحمة للعالمين، وعلى آله وأصحابه ومن اتبع سنته بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فهـٰذا الفصل جعله المؤلف رحمه الله لبيان عقد أهل السنة والجماعة فيما يتعلق بالإيمان، والإيمان عرّفه المؤلف رحمه الله بقوله: (**والإيمانُ قوْلٌ باللسانِ وعمَلٌ بالأرْكانِ وعَقْدٌ بالجَنَانِ**)، هكذا عرّف المؤلف رحمه الله الإيمان الذي بين أحكامه، واستدل له في هذا الفصل، وهذا التعبير الذي ذكره المؤلف رحمه الله هو أحد ما جاء ونقل عن السلف رحمهم الله في بيان الإيمان (**والإيمانُ قوْلٌ باللسانِ وعمَلٌ**

---

(1) سورة : البينة (٥).

(2) سورة :آل عمران (١٧٣).

(3) سورة : الفتح (٤).

**بالأَرْكَانِ وعَقْدٌ بالجَنَانِ)** فدل ذلك على أن الإيمان يشمل كل ما يكون من الإنسان من عمل ظاهر وعمل باطن.

ولذلك عرف بعض أهل العلم الإيمان بأنه يشمل كل عمل ظاهر وعمل باطن أمر الله به ورسوله، فهو كل ما أمر به الله ورسوله من أعمال القلوب وأعمال الجوارح، وهذا ينتظم جميع خلال الإيمان وجميع شعبه وجميع أوصافه.

والمؤلف رحمه الله ذكر ما يكون من الإيمان بالقول، وما يكون من الإيمان بالعمل، وما يكون من الإيمان بالقلب، فقال رحمه الله: (**قوْلٌ باللسانِ**) ويشمل هذا قول شهادة أن لا إله إلا الله فإن الشهادة لله بالإلهية وللنبي صلى الله عليه وسلم بالرسالة، هي أصل الإيمان الذي يدخل به الإنسان في دائرة الإسلام، ولذلك أول ما يدخل في قوله رحمه الله: (**قوْلٌ باللسانِ**) الشهادتان فإن أول ما يدخل في قول اللسان من أعمال الإيمان وصفاته وخصاله أن يتكلم اللسان بهاتين الشهادتين، ثم يدخل ما وراء ذلك من الذكر والتسبيح والتحميد والتكبير والتهليل وكل ما يتقرب به الإنسان إلى ربه جل وعلا بقوله. فقراءة القرآن من قول اللسان الذي يدخل في الإيمان، تعليم العلم، تعلم العلم، استذكاره، بيان الحق، دعوة الخلق، الجهاد في سبيل الله عز وجل باللسان في الذب عن الشريعة والرد على شبه المشبهين، كل هذا من قول اللسان الذي يدخل في قول المؤلف رحمه الله: (**والإيمانُ قوْلٌ باللسانِ**) إلا أن أوله وأصله وأساسه الذي يبنى عليه غيره هو الشهادتان. قال رحمه الله: (**وعمَلٌ بالأَرْكانِ**) أي عمل بالجوارح، فالمقصود بالأركان أركان الإنسان وما يكون من جوارحه، ويمكن أن يقال: (**وعمَلٌ بالأَرْكانِ**) أي بأركان الإسلام من الصلاة والزكاة والصيام والحج وغير ذلك، أي أيضاً العمل بغير ذلك من أعمال الجوارح التي يقوم بها البدن من الإحسان، غير ذلك من ألوان البر، المراد بالأركان هنا إما أركان بمعنى الجوارح وإما أركان أي أركان الإسلام التي بها يستقر الإسلام لمن أسلم، وهي الصلاة والزكاة والصيام والحج. قوله: (**وعَقْدٌ بالجَنَانِ**) أي عمل القلب، وعمل القلب منه ما هو قول ومنه ما هو عمل، يعني ما يكون في القلب ينقسم إلى قسمين: قول وهو الاعتقاد والإقرار والتصديق، وعمل وهو جميع ما يكون في قلب الإنسان من أعمال القلوب كالخشية والمحبة والخوف والرجاء والإنابة والتوكل وما إلى ذلك من الأعمال القلبية، فيكون هذا التعريف شاملاً لكل ما يكون من عمل ولكل ما يكون من قول، وهو أحد ما يعبر به عن الإيمان ويبين به الإيمان في كلام أهل العلم وأقوال أهل السنة، وقد تنوعت عبارات السلف في بيان

حقيقة الإيمان: فمنهم من قال ما ذكره المؤلف رحمه الله، ومنهم من قال: إن الإيمان قول وعمل. ومنهم من قال: الإيمان قول وعمل ونية. ومنهم من قال: الإيمان قول وعمل ونية واتباع سنة. ومنهم من قال: الإيمان قول القلب واللسان وعمل القلب والجوارح. كل هذه التعبيرات والبيانات والتعريفات الواردة عن السلف في بيان حقيقة الإيمان هي في الحقيقة تدور على معنى واحد اختلف قول العلماء في التعبير عنه وفي التلفظ بما يدل عليه، وهم متفقون في أن الإيمان يعود إلى قول القلب وعمله وقول اللسان وعمل الجوارح، فهذا أمر متفق عليه، يعني الاختلاف الوارد عن السلف في بيان حقيقة الإيمان ليس اختلافاً في المعنى إنما هو اختلاف في التعبير، اختلاف في اللفظ لبيان حقيقة الشيء، ولا شك أنك تصف الشيء أو تبين الشيء ببعض أموره وتختلف ألفاظ الناس في بيانه ولكنهم يتفقون على معناه، فهم متفقون على هذا المعنى وأن الإيمان قول القلب وقول اللسان وعمل القلب وعمل الجوارح، وإنما يقتصر بعضهم على قول وعمل وبعضهم يزيد نية، وبعضهم يزيد اتباع سنة لأجل أن بعض من يقتصر في التعريف قد يتوهم السامع لهذا التعريف أنه يخرج مثلاً النية أو يخرج العمل عمل الجوارح أو يخرج مثلاً اتباع السنة عن حقيقة الإيمان، وإلا فإن أخصر التعاريف للإيمان هو ما ذكره جماعة من السلف من أن الإيمان قول وعمل، هذا أخصر التعاريف في بيان الإيمان، وهو ينتظم جميع التعاريف الأخرى، أي كل تعريف يزيد على هذا التعريف فهو يزيد احترازاً، فلكون بعض الناس يظن أن قول اللسان لا يدخل في العمل يقول: قول القلب وقول اللسان وعمل الجوارح. فهذه التفصيلات وهذه الاختلافات في التعبيرات إنما هي زيادة بيان لحقيقة الإيمان، لحقيقة أمر متفق عليه بين أهل السنة والجماعة، وهو أن الإيمان قول وعمل، فهذا أمر لا يقبل النقاش ولا يقبل الاختلاف؛ لكون ألفاظ الصحابة وما نقل عنهم وما نقل عن التابعين وما نقل عن أئمة الدين وما دل عليه الكتاب والسنة دالاً على أن الإيمان يتكون ويتركب من شيئين: من عمل باطن ومن عمل ظاهر، عمل قلب وعمل جوارح، ومن عمل الجوارح قول اللسان. إذاً هذه حقيقة الإيمان فلا يشكل عليك تنوع عبارات العلماء في بيان الإيمان وبيان حقيقته وتعريفه. يقول رحمه الله: (**والإيمانُ قوْلٌ باللسانِ وعمَلٌ بالأرْكانِ وعَقْدٌ بالجَنَانِ**) الجنان أشار به إلى عمل القلب، وسمي عمل القلب بعمل الجنان لأنه عمل مختفٍ، عملٌ لا يظهر، وأصل مادة جنَّ سَتَر، وهي تدل بجميع اشتقاقاتها واختلاف مواردها على ما خفي واستتر: فالجنة سميت بالجنة لأنها تجن صاحبها وتستره، والجن سموا بهذا الاسم لأنهم يخفون ويستترون، والجنان سمي بهذا لأنه خافٍ متوارٍ عن الأنظار، فجميع موارد هذه الكلمة تدل على الخفاء والستر. فقوله: (**وعَقْدٌ بالجَنَانِ**) أي عقد بالقلب الذي لا يظهر ولا تقع عليه

الأنظار ولا تطاله الأبصار. يقول رحمه الله بعد أن بين حقيقة الإيمان:( **يزيدُ بالطاعةِ وينْقُصُ بالعصيانِ**) وهذا أيضاً مما اتفق عليه سلف الأمة وجاءت به النصوص في الكتاب والسنة، وقد ذكر البخاري عن ابن أبي مُليكة أنه أدرك ثلاثين من الصحابة كلهم يخاف النفاق على نفسه وما منهم أحد يقول: إن إيمانه كإيمان جبريل وميكائيل، والمقصود بهذا أن الإيمان يزيد وينقص، إذا كان هؤلاء رضي الله عنهم ما منهم من يقول: إن إيمانه كإيمان جبريل وميكائيل فإنهم يقرون بأن الإيمان يزيد وينقص. وقد تواردت كلمات السلف على إثبات الزيادة والنقصان في الإيمان، ولا خلاف بين أهل السنة في إثبات ذلك وإنما خالف من خالف في زيادة الإيمان ونقصانه من المعتزلة والخوارج والمرجئة لأنهم اختلفوا في حقيقة الإيمان، ولذلك يذكر أهل العلم مسألة الزيادة والنقصان بعد حقيقة الإيمان؛ لأن هذا الاختلاف في الزيادة والنقصان ناشئ عن اختلاف في فهم حقيقة الإيمان، الإيمان يتركب ويتكون كما ذكرنا من ماذا؟ من قول وعمل: من قول القلب واللسان وعمل القلب والجوارح، واضح؟ طيب هؤلاء عندهم أن الإيمان كل واحد لا يتركب ولا يتكون من أشياء وليس له خصال، هو شيء واحد إما أن يثبت جميعاً وإما أن ينتفي جميعاً. فالمعتزلة والخوارج لما حكموا بكفر مرتكب الكبيرة قالوا: لا يمكن أن يقر الإيمان في قلب نفى الله ورسوله عن صاحبه الإيمان، فقول النبي صلى الله عليه وسلم: ( لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن) يدل على أن الزاني ليس في قلبه إيمان، معنى هذا أنه إذا زنى فقد خرج عن الإيمان، إذا سرق فقد خرج عن الإيمان، وإذا خرج عن الإيمان فقد وقع في الكفر. الخوارج يركِّبون في هذه الدنيا الحكم والاسم فيقولون: إن فعله كفر وهو كافر. وأما المعتزلة فيقولون: هو في منزلة بين المنزلتين، وإذا صار في الآخرة فحكمه كافر، فهم وافقوا الخوارج في الحكم وخالفوهم في الاسم، فلم يطلقوا على مرتكب الكبيرة وصف الكفر واسم الكفر، إنما قالوا:هو في منزلة بين المنزلتين. المرجئة لما كان الإيمان عندهم شيئاً واحداً قالوا: لا يمكن أن يكون نقص العمل سبباً في نقص الإيمان، فالإيمان قار وثابت ولو نقص العمل وعلى هذا فالإيمان لا يزيد ولا ينقص. إذاً الاختلاف والتشوش في مسألة زيادة الإيمان ونقصه ناشئ عن أي شيء ؟ ناشئ عن عدم فهم حقيقة الإيمان وأن الإيمان خِلال وصفات وشعب كما قال النبي صلى الله عليه وسلم إذا نقصت شعبة من هذه الشعب هل ينقص أو لا ينقص ؟ ينقص، وإذا زاد شعبة من هذه الشعب زاد أو لم يزد ؟ زاد، وهذه واضحة جلية. ولذلك السلف رحمهم الله قرروها تقريراً بيناً وأنكروا على من تكلم بهذا الكلام من المرجئة وأشباههم وبينوا خطأ قولهم وضلال رأيهم، وأن الإيمان يزيد وينقص. وقد جاء بيان زيادة الإيمان ونقصه والإنكار على من أنكر الزيادة والنقصان في كلام

جمهور عظيم من السلف من الصحابة فمن بعدهم، وقد سُئل سفيان بن عُيينة مرة فقيل له: الإيمان يزيد؟ قال: نعم. قيل له: أو ينقص؟ قال: ما من شيء يزيد إلا وينقص ، ما من شيء يوصف بالزيادة إلا وينقص. وقد جاءت الأدلة على أن الإيمان يزيد وينقص في الكتاب والسنة، وذكر المؤلف رحمه الله شيئاً من ذلك في قوله: (**قال الله تعالىٰ: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾**[1]) هذه من أعظم الأدلة الدالة على أن الإيمان قول وأنه عمل بالأركان وأنه اعتقاد بالجنان حيث إنها شملت جميع ذلك: قال تعالى:{ وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء } والإخلاص محله القلب { ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة} إقامة الصلاة تتضمن قول اللسان والعمل بالأركان، وكذلك إيتاء الزكاة يتضمن العمل بالأركان، قال تعالى في جميع ما تقدم:﴿وذلك دين القيمة﴾ والدين هنا بمعنى العمل، فدل ذلك على أن العمل والإيمان الذي أمر الله به يشمل ماذا؟ قول القلب وعمله ويشمل قول اللسان وعمل الجوارح، فهو قول وعمل وهذه من أقوى الأدلة التي استدل بها أهل السنة والجماعة في إبطال قول أهل الإرجاء وقول غيرهم ممن نفوا أن الإيمان قول وعمل أو أنه يزيد وينقص. يقول رحمه الله:( **فجعَلَ عبادَةَ اللهِ تعالىٰ وإخلاصَ القلبِ، وإقامَ الصَّلاةِ، وإيتاءَ الزَّكاةِ، كُلَّهُ مِنَ الدِّينِ**). فدل ذلك على أن الدين قول وعمل وأن الإيمان قولٌ وعمل. ومن ذلك أيضاً قول الله تعالى:{ ليس البر أن تولوا وجوهكم قِبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المال على حبه ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب وأقام الصلاة وآتى الزكاة والموفون بعهدهم إذا عاهدوا والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون}. فهذه الآية من أجمع الآيات الدالة على أن الإيمان قولٌ باللسان وعمل بالأركان وعقدٌ بالجنان. من الأدلة الدالة على ذلك قول الله تعالى في سورة التوبة:{ فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فإخوانكم في الدين} والثانية قال:{فخلوا سبيلهم}فدل ذلك على أن ثبوت الأخوة في الدين والتخلية بعدم المؤاخذة إنما تكون لمن تاب وأقام الصلاة وآتى الزكاة. والآيات والأدلة على هذا أكثر من أن يحاط بها وأن تحصى، إنما ذكرنا أبرز ما يكون من الأدلة الدالة على أن عقد أهل السنة والجماعة موافق لما دل عليه كتاب الله عز وجل، وهو موافق أيضاً لما دلت عليه سنة النبي صلى الله عليه وسلم، كما في حديث جبريل عليه السلام في

---

([1]) سورة : البينة (٥).

مجيئه وسؤاله عن الإسلام والإيمان والإحسان، فلما فرغ من جواب ذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم يسأل عمر: ( أتدري من هذا يا عمر؟ قال: الله ورسوله أعلم. فلبث مليّاً ثم قال: هذا جبريل أتاكم يعلمكم أمر دينكم –وفي رواية: يعلمكم دينكم–). فدل ذلك على أن الدين يشمل الاعتقاد بالجنان والعمل بالأركان وقول اللسان، وهذا واضح جلي. كذلك الحديث الذي ذكره المؤلف رحمه الله،حديث أبي هريرة في صحيح الإمام مسلم:( **وقالَ رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((الإِيْمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ شُعْبَةً، أَعْلاَهَا شَهَادَةُ أَنْ لاَ إِلَهَ إلاّ الله، وَأَدْنَاهَا إمَاطَةُ الأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ**))).

الإيمان بضع وسبعون شعبة أي إنه يبلغ من الخِلال والصفات والأعمال هذا العدد: بضع وسبعون شعبة أي نيف وسبعون يعني ما بين السبعين إلى الثمانين من الخلال والصفات:يبلغ تسعاً وسبعين أو ثمانياً وسبعين أو ما هو أقل، المهم أنه ما بين السبعين إلى الثمانين من العدد. وقوله: شعبة يعني صفة وخلة وعملاً من أعمال الإيمان، أعلاها شهادة أن لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق والحياء شعبة من الإيمان. وهذا الحديث أيضاً من الأدلة الدالة على أن الإيمان قول وعمل: قول القلب وعمله وقول اللسان وعمل الجوارح، فقوله صلى الله عليه وسلم: (أعلاها شهادة أن لا إله إلا الله ) شهادة أن لا إله إلا الله قول باللسان ولا يكمل الإيمان في حق صاحبه إلا إذا وافق ما في لسانه ما في قلبه، فإذا توافق اللسان والقلب الظاهر والباطن كمل هذه الخصلة ( شهادة أن لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق) فإماطة الأذى –إزالته– عن طريق المسلمين هذا من ماذا ؟ هذا من الإيمان، وهو من شُعب الإيمان وخلالها مع أنه عمل من الأعمال. أيضاً قوله صلى الله عليه وسلم: ( والحياء شعبة من الإيمان) يدل على أن الإيمان يكون في القلب، و لم يذكره المؤلف رحمه الله هنا مع أنه في الحديث لأن الخلاف في قول اللسان وفي عمل الجوارح هل يدخل في الإيمان أو لا يدخل في الإيمان ؟ والنبي صلى الله عليه وسلم بين بياناً واضحاً دخول الشهادة التي هي قول اللسان وإماطة الأذى عن الطريق في الإيمان. ثم قال رحمه الله تعالى:( **فجعَلَ القَوْلَ والعَمَلَ مِنَ الإيمانِ**) . ثم انتقل إلى بيان ما يتعلق بأدلة زيادة الإيمان ونقصانه قال رحمه الله:( **وقال تعالىٰ: ﴿فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾**،[1]) فدل ذلك على أن الإيمان يزيد وينقص، ولا يمكن أن يقال: إن الزيادة هنا لغير الإيمان الذي يكون في القلب، بل الزيادة ثابتة بهذه الآية وبقوله أيضاً:{ليزدادوا إيماناً مع إيمانهم} وبقوله تعالى:

(1) سورة :آل عمران (١٧٣).

{إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً} والآيات في زيادة الإيمان متعددة وإنما ذكر المؤلف رحمه الله شيئاً منها. ثم قال: ( **وقال رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ: لاَ إِلهَ إِلاَّ الله. وَفِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ بُرَّةٍ أَوْ خَرْدَلَةٍ أَوْ ذَرَّةٍ مِنَ الإيمانِ))** . هذا دليل على الزيادة أو النقصان؟دليل على الأمرين:الزيادة والنقصان؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم فاوت بين الإيمان، ولذلك قال المؤلف رحمه الله:( **فجعَلَهُ متفاضلاً**) وهذا معنى قول سفيان ابن عُيينة رحمه الله لما سُئل: أينقص؟ قال:نعم، لا يزيد شيء إلا وينقص. فما يمكن أن يوصف شيء بزيادة إلا وهو قابل للنقصان، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (يخرج من النار من قال: لا إله إلا الله وفي قلبه مثقال) مثقال يعني وزن (برة) والبُّرة معروفة (أو خردلة) والخردلة هي وزن أربع ذرات،وقيل: هي أقل ما يوزن، لكن لا شك أن الخردلة أكبر من الذرة، ولذلك قال: (أو خردلة أو ذرة) والذرة قيل: هي أقل ما يوزن، أدنى شيء يمكن وزنه، وقيل: هي الذرة الصغيرة التي ترى من صغار النمل، وقيل: إن الذرة هي الهباء الذي يكون في شعاع الشمس كرؤوس الإبر، وقيل: إن الذرة هي ما يتساقط من اليد عند ضربها في التراب ثم نفخها. وعلى كل حال الذرة شيء يسير ويمكن أن يقال ما قيل أولاً من أنه أدنى شيء يوزن. ويدل لهذا ما في البخاري من أن النبي صلى الله عليه وسلم يقول: ( فيخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة مثقال حبة من إيمان أو مثقال خردلة من إيمان، ثم يخرج من النار من كان في قلبه أدنى شيء من إيمان). فيكون قول النبي صلى الله عليه وسلم:( أو ذرة) المقصود به أدنى ما يكون مما يقبل الوزن من الإيمان، فجعله متفاضلاً، وهذا دليل على الزيادة والنقص. وبهذا يكون قد تبين لنا ما ذكره المؤلف رحمه الله من أن الإيمان قول باللسان وعمل بالأركان وعقدٌ بالجنان، ومن أنه أيضاً يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية.

تبقى مسألة من المسائل المهمة المتعلقة بالإيمان، وهي: هل العمل من الإيمان أو لا؟ تبين مما تقدم أن العمل من الإيمان، هل يدخل جنس العمل في الإيمان أو لا؟ وهل ترك جنس العمل يبطل الإيمان أو لا ؟ هذه مسألة من المسائل التي اشتبكت فيها الأقوال واشتبهت فيها الآراء واختلف فيها الناس، وهي مسألة نرجئ إن شاء الله تعالى بحثها وتناولها إلى درس غدٍ، ونكتفي بهذا في هذا اليوم والله تعالى أعلم وصلى الله وسلم على نبينا محمد. فيه سؤال؟ نعم، بعضهم يقول: إنها ليست للحصر، والظاهر أنها لحصر أُصول الإيمان؛ لأن في بعض روايات البخاري:( بضع وستون).

نعم هناك أصغر من الذرة، لكن الكلام أصغر منها شيءٌ لا يوزن.

نعم صحيح { فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فإخوانكم في الدين} فإذا اختل شرط من هذه الشروط فتنتهي الأخوة الدينية، وهذا مما يستدل به بعض أهل العلم على أن تارك الصلاة لا يكون مسلماً.

# شرح لمعة الاعتقاد

# الهادي إلى سبيل الرشاد

لموفق الدّين بن قدامة المقدسي رحمه الله

لفضيلة الشيخ

خالد بن عبد الله المصلح

الدرس الثاني عشر

www.almosleh.com

**بسم الله الرحمن الرحيم**

قال الإمام موفق الدِّين أبو محمد عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي رحمه الله تعالى:

**(فصل**

**والإيمانُ قوْلٌ باللسانِ وعمَلٌ بالأرْكانِ وعَقْدٌ بالجَنَانِ، يزيدُ بالطاعةِ وينْقُصُ بالعصيانِ.**

**قال الله تعالىٰ: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاء وَيُقِيمُوا الصَّلاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ (٥)﴾،[١] فجعَلَ عبادَةَ اللهِ تعالىٰ وإخلاصَ القلبِ، وإقامَ الصَّلاةِ، وإيتاءَ الزَّكاةِ، كُلَّهُ مِنَ الدِّين.**

**وقالَ رسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((الإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ شُعْبَةً، أَعْلاهَا شَهَادَةُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاّ اللهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ)).[٢]**

**فجعَلَ القَوْلَ والعَمَلَ مِنَ الإيمانِ. وقال تعالىٰ: ﴿فَزَادَهُمْ إِيمَاناً وَقَالُوا حَسْبُنَا اللّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ (١٧٣)﴾،[٣] وقال تعالىٰ: ﴿لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا﴾.[٤]**

**وقال رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ: لاَ إِلهَ إلاَّ اللهُ. وَفِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ بُرَّةٍ أَوْ خَرْدَلَةٍ أَوْ ذَرَّةٍ مِنَ الإيمانِ))،[٥] فجعَلَهُ متفاضلاً) .**

بسم الله الرحمـٰـن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وأصلي وأسلم على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه ومن اتبع سنته بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فقد تقدم الكلام على ما في هذا الفصل، وذكرنا أنّ الإيمان الذي ذكره المؤلف رحمه الله بقوله: (**والإيمانُ قوْلٌ باللسانِ وعمَلٌ بالأرْكانِ وعَقْدٌ بالجَنَانِ**) أنّ هذا عقد أهل السنّة والجماعة في بيان معنى

---

(١) سورة : البينة (٥).

(٢) **مسلم**: كتاب الإيمان، باب بيان عدد شعب الإيمان، حديث رقم (٣٥).

(٣) سورة : آل عمران (١٧٣).

(٤) سورة : الفتح (٤).

(٥) **البخاري**: كتاب الإيمان، باب زيادة الإيمان ونقصانه، حديث رقم (٤٤).

**مسلم**: كتاب الإيمان، باب أدنى أهل الجنة مترلة فيها، حديث رقم (١٩٣).

الإيمان، وأن لهم على ذلك عبارات متعددة منها هذه العبارة، ومنها أن (الإيمان قول وعمل)، ومنها أن (الإيمان قول وعمل ونية)، كل هذا مما جاء عن سلف الأمة ومعناه متفق وإن اختلف لفظه.

وقول المؤلف رحمه الله في الإيمان: (**قَوْلٌ باللسانِ وعمَلٌ بالأرْكانِ وعَقْدٌ بالجَنَانِ**) به رد على أنواع البدع الطارئة فيما يتعلق بالإيمان، فإن المخالفين في الإيمان على طرق:

أشدهم مخالفة الجهمية الذين يقولون: الإيمان هو معرفة القلب. هذا قول جهم ومن أخذ بقوله؛ أن الإيمان معرفة القلب فقط.

معنى هذا أنه لا يحتاج إلى قول، لا يحتاج إلى عمل، لا يحتاج إلى إقرار بالقلب، مجرد المعرفة.

والقول الثاني هو قول مرجئة الفقهاء، الذين قالوا: الإيمان قول باللسان وعقدٌ بالجنان. فتركوا ذكر العمل، أخّروا العمل عن مسمى الإيمان، وهؤلاء يسمون بمرجئة الفقهاء، وهم الذين عابهم سلف الأمة وذَمُّوا قولَهم، فإن هذا القول متقدم على قول الجهمية؛ أي قول مرجئة الفقهاء سابق لقول الجهمية الذين قالوا: إن الإيمان مجرد معرفة القلب. فما جاء من ذم السلف للإرجاء إنما هو ذم لما أحدثه مرجئة الفقهاء من تأخير العمل وإخراجه عن مسمى الإيمان.

وقد تزعم هذا القول وتكلم به جماعة من الفقهاء، من أوائلهم حماد بن أبي سليمان، وممن نسب إليه الأولية في هذا القول ذر بن عبد الله الهمداني وهو من العباد النساك، ونسب هذا القول إلى غير هذين، لكنه اشتهر في فقهاء الكوفة وهم من كان على طريقة أبي حنيفة رحمه الله؛ ولذلك يُنسب هذا القول إلى الحنفية لأنه كثُر فيهم.

وقد اختلف العلماء: هل هو قول أبي حنيفة أو لا؟

فمنهم من قال: إنه قول أبي حنيفة، وهو المشهور عند نقلة الأقوال.

ومنهم من قال: إن أبا حنيفة قال به ثم رجع عنه.

وليس هناك في كلام منقول عنه ما يشهد لقوله به أو رجوعه عنه، والذي يظهر أنه جارٍ على ما كان عليه السلف من أن الإيمان قول وعمل واعتقاد؛ أي قول باللسان وعمل بالأركان وعقدٌ بالجنان.

وأما ما حدث من مرجئة الفقهاء فإنه قول انتشر في الحنفية فنُسب إلى مذهب أبي حنيفة، وهو قول مخالف لقول أهل السنة والجماعة.

وجه المخالفة بين قول مرجئة الفقهاء وبين قول أهل السنة والجماعة إخراج العمل؛ أنهم لم يدخلوا العمل في الإيمان.

وقد اضطرب قولهم؛ يعني نظراً لكون هذا القول فيه نوع إشكال من حيث العمل هل هو من الإيمان أو لا؟ عمل القلب هل هو من الإيمان أو لا؟

فبعضهم قال: عمل القلب من الإيمان، وعلى هذا يلزمهم أن يدخل عمل الجوارح.

وبعضهم أخرج عمل القلب عن مسمى الإيمان. يقول شيخ الإسلام رحمه الله: ويلزمهم على هذا أن يوافقوا جهماً في قوله، وأن الإيمان مجرد المعرفة.

والخلاف بين أهل السنة والجماعة وبين مرجئة الفقهاء خلاف حقيقي وليس خلافاً لفظيّاً كما ذكر ذلك ابن أبي العز رحمه الله في شرحه للطحاوية، فالخلاف حقيقي يترتب عليه خلاف معنوي؛ ليس مجرد خلاف لفظي، فإن جمهور العلماء وأهل السنة والجماعة يقولون: إن الصلاة والزكاة -وهما رأس العمل- من الإيمان، ومرجئة الفقهاء يقولون: إنهما ليسا من الإيمان. ويرد عليهم بقول الله تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاء وَيُقِيمُوا الصَّلاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ (٥)﴾،[1] فجعلها الله من الدين، فدل ذلك على أنها داخلة في الإيمان، وأنها من الإيمان.

فعُلم بهذا أن الخلاف الواقع بين أهل السنة والجماعة هو خلاف حقيقي، وإنما قال من قال بأنه خلاف لفظي بناءً على: هل العمل- عمل القلب- داخل أو لا؟ هل يؤثر في زيادة الإيمان أو لا؟

وقد ذكر الطحاوي رحمه الله في متن الطحاوية ما يدل على أن هذا القول مضطرب فقال رحمه الله: (وَالإِيمَانُ: هُوَ الإِقْرَارُ بِاللِّسَانِ، وَالتَّصْدِيقُ بِالْجَنَانِ) ثم لم يذكر العمل، قال: (وَجَمِيعُ مَا صَحَّ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الشَّرْعِ وَالْبَيَانِ كُلُّهُ حَقٌّ. وَالإِيمَانُ وَاحِدٌ وَأَهْلُهُ فِي أَصْلِهِ سَوَاءٌ) ثم قال: (وَالتَّفَاضُلُ بَيْنَهُمْ بِالْخَشْيَةِ) فجعل الإيمان متفاضلاً حيث قال: (وَالتَّفَاضُلُ بَيْنَهُمْ بِالْخَشْيَةِ وَالتُّقَى، وَمُخَالَفَةِ الْهَوَى، وَمُلازَمَةِ الْأَوْلَى)، هكذا قال رحمه الله في متن الطحاوية.

وهذا يدلك على أن هذا القول فيه من الاضطراب ما فيه، إذ كيف يقول: (وَالإِيمَانُ وَاحِدٌ) ثم يقول: (وَأَهْلُهُ فِي أَصْلِهِ سَوَاءٌ)؛ لأنه لو كان الإيمان واحداً لكان (وأهله فيه سواء) وليس (وَأَهْلُهُ فِي أَصْلِهِ سَوَاءٌ)؛ لأن إيحاءه بأن له أصلاً وفروعاً يدل على أن العمل داخل، ثم يقول: (وَالتَّفَاضُلُ بَيْنَهُمْ بِالْخَشْيَةِ وَالتُّقَى، وَمُخَالَفَةِ الْهَوَى، وَمُلازَمَةِ الْأَوْلَى) يدل على أنه يثبت تفاضلاً، ومرجئة الفقهاء الإيمان عندهم لا يزيد ولا ينقص، بناءً على أن العمل لا يدخل في مسمى الإيمان، والزيادة والنقصان إنما هي في الأعمال.

---

[1] سورة : البينة (٥).

فهذا القول الذي ذكره المؤلف رحمه الله في بيان عقيدة أهل السنة والجماعة انتظم الرد على هذه الطوائف كلها، سواء الجهمية أو مرجئة الفقهاء أو أيضاً الكَرَّامِيَّة، فالكَرَّامِيَّة –وإنما لم نذكره لأنه قول مندثر لا قائل به– يقولون: الإيمان قول اللسان فقط.

والصحيح ما دلت عليه النصوص من أن الإيمان قول باللسان وعمل بالأركان وعقدٌ بالجنان.

يترتب على هذا الاعتقاد اعتقاد أن الإيمان يزيد وينقص؛ ولذلك قال: (**يزيدُ بالطاعةِ وينْقُصُ بالعصيانِ**)، وهذا يخالف فيه كل الفرق التي خالفت في حقيقة الإيمان.

فيخالف فيه الجهمية.

ويخالف فيه مرجئة الفقهاء.

ويخالف فيه الكرامية.

ويخالف فيه الخوارج والمعتزلة؛ لأن الخوارج والمعتزلة –وإن كانوا يقولون كما يقول أهل السنة والجماعة: الإيمان قول باللسان وعمل بالأركان وعقدٌ للجنان؛ لكنهم– يخالفون في زيادة الإيمان ونقصانه؛ ويقولون: الإيمان شيء واحد إما أن يثبت جميعاً وإما أن ينتفي جميعاً، هذا قولهم فيما يتعلق بالإيمان.

(**قال الله تعالىٰ: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاء وَيُقِيمُوا الصَّلاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ (٥)﴾**[١]) وهذا فيه الدليل على ما تقدم من أن الإيمان مركّب من قول باللسان وعمل بالأركان وعقد بالجنان، وبيَّن ذلك المؤلف رحمه الله فيما ذكر قال: (**فجعلَ عبادَةَ الله تعالىٰ وإخلاصَ القلب، وإقامَ الصَّلاةِ، وإيتاءَ الزَّكاةِ، كُلَّهُ مِنَ الدِّين**).

**وقالَ رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((الإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ شُعْبَةً، أَعْلاَهَا شَهَادَةُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاّ الله، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ))**[٢]) وقد تكلمنا عن هذا.

---

([١]) سورة : البينة (٥).

([٢]) تم تخريجه صفحة (٢).

(**فجعَلَ القَوْلَ والعَمَلَ مِنَ الإيمانِ. وقال تعالىٰ: ﴿فَزَادَهُمْ إِيمَاناً﴾،**[1]) إذاً الآن فرغ من الاستدلال لأي شيء؟ لبيان حقيقة الإيمان وأنها قول باللسان وعمل بالأركان وعقدٌ بالجنان.

ثم انتقل إلى بيان دليل الزيادة والنقصان (**وقال تعالىٰ: ﴿فَزَادَهُمْ إِيمَاناً﴾ وقال: ﴿لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا﴾.**[2] **وقال رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ: لاَ إِلَهَ إلاَّ الله. وَفِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ بُرَّةٍ أَوْ خَرْدَلَةٍ أَوْ ذَرَّةٍ مِنَ الإيمانِ))، فجعَلَهُ متفاضلاً**) . وهذا دليل على أي شيء؟ على أن الإيمان يزيد وينقص.

أما الزيادة فبالنص.

وأما النقصان فبالمفهوم كما قال سفيان ابن عُيينة لما سُئل: أينقص الإيمان؟ قال: إنه لا يزيد شيء إلا ينقص.

ثم اعلم أن من المسائل التي يكثُر الكلام فيها دخول جنس العمل في مسمى الإيمان؛ يعني إذا لم يعمل الإنسان شيئاً بالكلية، وإنما قال بلسانه: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وأقر بقلبه –بالإلهية لله وبالرسالة لمحمد– هل يكفي في الإسلام وتحقق الإيمان؟

الجواب: لا يكفي. خالف في هذا مرجئة الفقهاء، وتبعهم بعض من تبعهم ممن ينتسب إلى السلف، ويقول: إن هذا هو عقيدة السلف، وهذا غلط وخطأ وجناية على السلف فيما قالوه، فليس في كلام السلف شيءٌ يدل على ما ذكروا من أن العمل لا يدخل في مسمى الإيمان؛ بل كلامهم واضح وجلي في خلاف هذا وأن العمل من الإيمان.

فقول من يقول: إن تخلف جنس العمل لا يؤثر، قول محدث، تكذِّبه الأدلة من الكتاب والسنة ويكذبه ما نُقل عن سلف الأمة من أن الإيمان قول باللسان وعمل بالأركان وعقدٌ بالجنان، ومن قال هذا القول فإنما تأثّر بقول من قال من مرجئة الفقهاء: إن العمل ليس من الإيمان. ولا فرق بين هذا وذاك في الحقيقة. إذا تأمّل الإنسان لا فرق بين من يخرج جنس العمل من مسمى الإيمان وبين من يقول: إن الإيمان قول باللسان وإقرار بالقلب كما هو قول مرجئة الفقهاء.

---

(1) سورة :آل عمران (١٧٣).

(2) سورة : الفتح (٤).

المشكلة أن الذين يقولون بهذا القول إنما قالوا به نتيجة الفرار من التكفير في بعض الأعمال، وهذا هو منشأ القول، منشأ قول مرجئة الفقهاء أنه ردة فعل على الخوارج الذين كانوا يكفِّرون الأئمة ويكفِّرون المسلمين بكبائر الذنوب، فلما كان الإيمان عندهم أصلاً واحداً وأشكل عليهم ما يقوله الخوارج من أنه إذا كان الإيمان شيئاً واحداً فإنه إما أن يثبت جميعاً أو أن ينتفي جميعاً قال مرجئة الفقهاء: إن الإيمان شيء واحد إما أن يثبت جميعاً وإما أن ينتفي جميعاً وليس منه العمل. فأخرجوا العمل حتى يسلم لهم الإيمان بقاءً فيما إذا خالف الإنسان بسرقة أو بزنى أو بشرب خمر أو بغير ذلك من الأعمال المحرمة التي نفى الله ورسوله الإيمان عن فاعلها.

فلما كان قولهم ردة فعل تشكل بعد ذلك المذهب وتكوّن وهو مذهب المرجئة.

أما من ينصر هذا وينسبه إلى السلف من المتأخرين فكذلك تكرر الأمر، هناك من يكفر مثلاً بترك الصلاة، من يكفر بالحكم بغير ما أنزل الله، فلما رأى هؤلاء أن التكفير بهذه المسائل خلافي وسّعوا الخلاف، وجعلوا المسألة لا تتعلق بهذين العملين والتكفير بهما أو بأشباههما، إنما قالوا: لا نكفر بعمل إلا باستحلال أو انتفاء عقد الجنان أو ترك عقد القلب أو ترك قول اللسان، فوقعوا فيما وقع فيه سلفهم من مرجئة الفقهاء.

فالواجب على المؤمن أن يتحرّى في عقيدته ما دل عليه الكتاب والسنة وما كان عليه سلف الأمة، وألا يكون عقده ودينه عُرضة لردود الأفعال، فإن من كان كذلك يوشك أن يرد الباطل بالباطل.

والواجب على المؤمن أن يرد الباطل بالحق، لا أن يرده بباطل مثله، فإنه لا ينفع نفسه ولا يرد الشر عن المسلمين برده الباطل بالباطل.

وهذه المسألة أُلِّف فيها مؤلفات وكتب فيها كتابات، إنما أحببنا أن نشير إلى بعض ما في هذه المسألة، ومن طلب المزيد فليرجع إلى ما ذكره العلماء في ذلك.

(**فصل**

**ويجبُ الإيمانُ بكلِّ مَا أَخبَرَ به النبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وصَحَّ به النَّقلُ عَنْه فيما شَاهَدْناه أو غابَ عَنّا، نَعْلَمُ أنَّه حَقٌّ وصِدقٌ، وسواءٌ في ذلك ما عقَلْناهُ وجَهلناهُ، ولم نَطَّلِعْ على حقيقةِ معناهُ، مِثل حديثِ الإسْراءِ والمِعراجِ وكان يَقَظَةً لا مَنامًا، فإنَّ قُرَيْشًا أنْكَرَتْهُ وأَكْبَرَتْهُ ولم تكن تُنْكِرُ المناماتِ.**

**ومِنْ ذلك أنَّ ملَكَ الموْتِ لَمَّا جاءَ إلى موسى عليه السلامُ لِيَقْبِضَ روحَهُ لَطَمَهُ فَفَقَأَ عَيْنَهُ، فَرَجَعَ إلى ربِّهِ فَرَدَّ عَلَيْهِ عَيْنَهُ**) .

طيب، المؤلف رحمه الله ابتدأ هذا الفصل المتعلق بالإيمان بالغيب مما أخبر به النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مما يكون في الدنيا ومما يكون في الآخرة بقوله رحمه الله: (**وَيجبُ الإيمانُ بكلِّ مَا أَخبَرَ به النبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وصَحَّ به النَّقلُ عَنْه فيما شَاهَدْناه أو غابَ عَنّا**) هذا الإيمان يسمى الإيمان المجمل الذي يجب أن يقرّ في قلب كل مؤمن: أن يعتقد ما قاله رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ويؤمن به ويصدق به وأنه حق على حقيقته، هذا هو الواجب على أهل الإيمان، سواء علموه أو لم يعلموه، أدركوه أو لم يدركوه، ظهر لهم أو خفي، من عالم الغيب أو من عالم الشهادة، يجب عليهم أن يؤمنوا بذلك.

ومن خصائص أهل الإسلام وأهل الإيمان أنهم يؤمنون بالغيب، ولذلك قال الله تعالىٰ -في أول صفة ذكرها لأهل الإيمان في كتابه-: ﴿**الٓمٓ (١) ذَلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ (٢) الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ**﴾[1] فأول صفة ذكرها لعباده المتقين الذين يهتدون بالقرآن أنهم يؤمنون بالغيب، وهو الذي يميز بين أهل التقوى والدين وأهل الإيمان وبين أهل الكفر والجحود والإعراض.

يجب على المؤمن أن يؤمن بكل ما أخبر به الله تعالى في كتابه، أو أخبر به رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إيماناً جازماً لا يدخله ريب ولا شك، هذا هو الإيمان المجمل.

ولذلك قال: (**وَيجبُ الإيمانُ بكلِّ مَا أَخبَرَ به**) سواء علمناه أو لم نعلمه بلغنا أو لم يبلغنا، (**وَيجبُ الإيمانُ بكلِّ مَا أَخبَرَ به النبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وصَحَّ به النَّقلُ عَنْه**) ما أخبر به في الكتاب وصح به النقل عنه الأول يشمل الكتاب والسنة ، وأما قوله: (**وصَحَّ به النَّقلُ عَنْه**) فهذا يختص السنة؛ لأن النقل إنما تطلب صحته فيما كان من خبر النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في غير كتاب الله عز وجل، (**فيما شَاهَدْناه**) أي فيما أدركناه ووقع عليه بصرنا وهو من عالم الشهادة (**أو غابَ عَنّا**) يعني ما لم ندركه و لم نشاهده، (**نَعْلَمُ أنَّه حَقٌّ وصِدقٌ، وسواءٌ في ذلك ما عقَلْناهُ وجَهلناهُ**)، (**ما عقَلْناهُ**) يعني ما أدركته عقولنا وفهمته، وما لم تدركه عقولنا و لم تفهمه، الواجب الإيمان بجميع هذا ولا يوقف الإنسان إيمانه بما أخبر الله به ورسوله على إدراك العقل وفهمه، فإن العقل قد يحار في إدراك خبر من الأخبار أو إدراك أمر من الأمور؛ لكنه لا يجوز له أن يتوقف في إيمانه بذلك؛ بل يجب عليه أن يؤمن بما أخبر الله به ورسوله.

الشريعة تأتي بما يحار فيه الإنسان؛ لكنها لا تأتي بما تحيله العقول، الشريعة تأتي بما تحار فيه العقول؛ يعني تتحير في إدراكه وكيفيته وحقيقته؛ لكن لا يمكن أن تأتي الشريعة بما تحيله العقول؛ يعني بما تمنعه

---

[1] سورة : البقرة (١-٣).

العقول وتقول: إنه مستحيل، فيجب الإيمان بما أخبرت به الشريعة سواء أدركنا ذلك بعقولنا أو لم ندركه؛ يعني أدركنا حقيقته بعقولنا أو لم ندرك ذلك.

يقول رحمه الله: (**ولم نَطَّلِعْ على حقيقةِ معناهُ**) مَثَّل ذلك بأمثلة قال: (**مِثْل حديثِ الإسْراءِ والمِعراجِ**) الإسراء انتقال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من مكة إلى بيت المقدس ﴿**سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَا الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ**﴾[1] فأسرى الله عز وجل برسوله ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، هذا هو الإسراء.

وقد أخبر الله عز وجل به في كتابه وسبّح نفسه عليه فدلّ ذلك على أنه من عظيم قدرته ودال على عظيم صفاته وكمال قوته جلّ وعلا ﴿**سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَا الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا**﴾[2] أي ليرى ويشهد من آياتنا الدالة على صدق خبرنا ما وقع له صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

أما المعراج فكذلك جاء ذكره في القرآن الكريم في سورة النجم في قوله تعالىٰ: ﴿**وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى (١) مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى (٢) وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى (٣) إِنْ هُوَ إِلا وَحْيٌ يُوحَى (٤) عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى (٥) ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى (٦) وَهُوَ بِالأُفُقِ الأَعْلَى (٧) ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى (٨) فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى (٩)**﴾[3] كل هذا في وصف ما كان في تلك الليلة ﴿**فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى (١٠) مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى (١١) أَفَتُمَارُونَهُ عَلَى مَا يَرَى (١٢)**﴾[4] أي أتجادلونه وتناقشونه على ما رأى من تلك الآيات العظيمة الكبيرة التي تجلّت له وشاهدها في تلك الليلة في معراجه؟ فالمعراج ثابت بالقرآن أيضاً، وثبوته بالسنة لا مجال لإنكاره ولا الشك فيه ولا الرّيب، فإن السنة قد دلت على ذلك دلالة واضحة جلية يُدركها كل عقل مؤمن وقلب سليم؛ لكن هل نحن ندرك كيف كان ذلك؟ ما ندرك كيفية ذلك؛ لأن إدراك الكيفيات أمره زائد على التصديق بالخبر، فنحن نصدق بالخبر لكننا لا ندرك كيفية ذلك.

---

(1) سورة : الإسراء (١).

(2) سورة : الإسراء (١).

(3) سورة : النجم (١-٩).

(4) سورة : النجم (١٠-١٢).

ولذلك مثّل به من الأمور التي يجب الإيمان بها وإن كنا لا نعقل و لم نطلع و لم نشاهد كيف أُسري به صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من مكة إلى بيت المقدس، من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، ثم عُرج به من المسجد الأقصى إلى سابع سماء، ثم عاد في ليلة واحدة. كل هذا جرى له صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في ليلة واحدة، يقول المؤلف رحمه الله: (**وكان يَقَظَةً لا مَنامًا**) هذا الذي عليه جمهور أهل العلم، ودل عليه كتاب الله عز وجل وسنة رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ فإن الإسراء والمعراج كانا بالجسدِ والروح، لا بالروح وحدها كما يقوله من يقوله؛ بل كانا بهما جميعاً كما دلت على ذلك النصوص، وهو ظاهر كتاب الله وظاهر سنة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

(**وكان يَقَظَةً لا مَنامًا، فإنَّ قُرَيْشًا أنْكَرَتْهُ وأَكْبَرَتْهُ**) أنكرت ماذا؟ الإسراء والمعراج (**وأَكْبَرَتْهُ**) يعني عدته من أكبر دلائل كذب النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولذلك فرحوا به وشنّعوا على النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيه، حتى إن بعض أهل الإسلام ممن آمن بالنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ارتد بسبب ما وقع في قلبه من شك وريب وشبهةٍ من خبر النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وثَبَّتَ الله من ثَبَّتَ، وكان على رأسهم أبو بكر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ حيث قال لما قالوا له ذلك: إن كان قد قال لكم ذلك فهو صادق، إنني لأصدقه فيما هو أعظم من ذلك: أصدقه في خبر السماء يأتيه في ساعة من ليل أو نهار.

ثم قال: (**ولم تكن تُنْكِرُ المنامات**) يعني لو كان الإسراء مناماً لما كان هناك وجه لإنكار قريش؛ لأن قريشاً لا تنكر المنامات، إنما أنكرت وشنعت على رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وكذبت وجادلت في الإسراء الذي كان بالروح والجسد لا بالروح فقط، والذي كان يقظةً لا مناماً.

(**ومِنْ ذلك أنَّ ملَكَ الموْتِ**) يعني مما يجب التصديق به –وإن لم ندرك حقيقته و لم نعقل كيفيته– ما أخبر به النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من (**أنَّ ملَكَ الموْتِ لَمَّا جاءَ إلى موسى عليه السلامُ لِيَقْبِضَ روحَهُ لَطَمَهُ ففَقَأَ عَيْنَهُ، فَرجَعَ إلى ربِّهِ فَرَدَّ عَلَيْهِ عَيْنَهُ**) . وهذا مما أخبر به النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كما في الصحيحين من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: (**إن الله بعث ملك الموت لموسى عليه السلام ليقبض روحه فجاءه فقال له: إن الله أمرني بقبض روحك. فلطمه موسىٰ عليه السلام ففقأ عينه، فرجع ملك الموت إلى الله جلّ وعلا وقال: إنك أرسلتني إلى عبدٍ لك لا يريد الموت. فرد الله عز وجل على ملك الموت عينه، وأمره بأن يذهب إلى موسى وأن يضع يده على جلد ثور، فما وقع تحت يده من الشعر**

**فله به سنوات من العمر**))[1]. الشاهد في هذا الحديث هو ما أخبر به النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من فقْء عين الملَك، فإن هذا مما أخبر به، وقد لا يدركه كثير من الناس، فعدم إدراكهم له وعدم تصورهم لذلك لا يعني أنه يسوغ لهم أن ينكروه أو يردوه؛ بل الواجب عليهم أن يؤمنوا به ويقبلوه.

هذا مثال آخر ذكره المؤلف رحمه الله لما يجب الإيمان به مما أخبر به النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وصح به النقل مما غاب عنا ولم نعلم حقيقته وكيفيته.

ثم ذكر المؤلف رحمه الله بعد ذلك أشراط الساعة، وهو مبدأ ما ذكره المؤلف رحمه الله من الإيمان باليوم الآخر، فإن الإيمان باليوم الآخر هو الإيمان بكل ما أخبر به رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مما يكون بعد الموت.

وأيضاً يدخل فيه ما أخبر به النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مما يكون بين يدي الساعة من علاماتها وأشراطها التي تدل على قربها وأوان دنوها ووقوعها.

ونجعل إن شاء الله تعالىٰ البحث فيها -لأنها متصلة- في الدرس القادم.

ﮀﮀ ◊ ﮁﮁ

---

([1]) **البخاري**: كتاب الجنائز، باب من أحب الدفن في الأرض المقدسة، حديث رقم (١٣٣٩)

**مسلم**: كتاب الفضائل، باب من فضائل موسىٰ عليه السلام، حديث رقم (٢٣٧٢).

# شرح لمعة الاعتقاد

# الهادي إلى سبيل الرشاد


لموفق الدّين بن قدامة المقدسي رحمه الله

لفضيلة الشيخ

خالد بن عبد الله المصلح


## الدرس الثالث عشر


www.almosleh.com

**بسم الله الرحمن الرحيم**

قال الإمام موفق الدِّين أبو محمد عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي رحمه الله تعالى:

**(ومِنْ ذلك أشراطُ السّاعةِ، مِثْلُ خُروجِ الدَّجَّالِ، ونُزولِ عيسى ابنِ مريمَ عليه السلامُ فيَقْتُلُهُ، وخروجِ يأجوجَ ومأجوجَ، وخروجِ الدَّابّةِ، وطُلُوعِ الشَّمسِ مِنْ مغْرِبِهَا، وأشْباهِ ذلك مما صحَّ به النَّقْلُ)** .

بسم الله الرحمـــٰن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وأصلي وأسلم على نبينا محمد المبعوث رحمة للعالمين و على آله وأصحابه ومن اتبع سنته بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فهذا الفصل كما بدأه المؤلف رحمه الله بقوله: (**ويجبُ الإيمانُ بكلِّ مَا أَخبَرَ به النبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وصَحَّ به النَّقلُ عَنْه فيما شَاهَدْناه**) علمنا أنه يتكلم فيما يتعلق بالإيمان بالغيب، وقلنا: إن الإيمان بالغيب من أصول أوصاف المتقين التي يجب على المؤمن أن يتحلى بها؛ فإنه لا تقوى ولا إيمان إلا لمن صدق النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيما أخبر به من أمر الغيب، سواءً أدرك حقيقته ومعناه، أو لم يدرك حقيقته ولا معناه.

ومثّل المؤلف رحمه الله لما يجب الإيمان به مما أخبر به النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وصح به النقل عنه بالإسراء والمعراج، فإنّ حديث الإسراء والمعراج مما قد لا تدرك العقول حقيقته ويصعب عليها إدراك كيف كان ذلك للنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ لكنه من آياته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آله وَسَلَّمَ، كذلك ما جاء من الخبر في قصة مجيء ملك الموت لموسى عليه السلام.

يقول رحمه الله في صلة ما وقفنا عليه: (**ومِنْ ذلك**) أي ومما يجب الإيمان به مما أخبر به النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وصح به النقل عنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (**أشراطُ السّاعةِ**) فقوله: (**ذلك**) المشار إليه ما تقدم في أول الفصل، (**أشراطُ السّاعةِ**) وأشراط جمع شرَط بفتح الراء وهو العلامة، والمقصود بـــ(**أشراط السّاعةِ**) علاماتها التي تدل على قربها ودنوّها.

وأعظم هذه العلامات وأولها ظهورًا بعثة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آله وَسَلَّمَ كما في الصحيحين قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آله وَسَلَّمَ: ((**بعثت أنا والساعة كهاتين**)) وأشار بالسبابة والتي تليها،[1] وقد أشار الله جلّ وعلا إلى ذلك في قوله تعالى: ﴿**اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ (١)**﴾،[2] فجعل انشقاق القمر مقارناً لاقتراب الساعة، وانشقاق القمر هو ما جرى من الآية العظيمة للنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في مكة كما روى ذلك ابن مسعود وغيره في الصحيح وغيره: أنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شق الله له القمر فلقتين: فلقة على الجبل وفلقة دونه فرآه أهل مكة، فقالوا: سحرنا محمد، فهذا أيضاً من الآيات الدالة على قرب الساعة.

والأشراط تتنوع، أخبر بها النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في أحاديث كثيرة مستفيضة، فلا إشكال في ثبوت علامات الساعة وأشراطها، فإنه قد جاء الخبر عنها في كتاب الله عز وجل في قوله: ﴿**فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلا السَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً فَقَدْ جَاء أَشْرَاطُهَا**﴾[3] وكذلك قوله تعالى: ﴿**أَزِفَتِ الآزِفَةُ (٥٧) لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ (٥٨)**﴾[4] فهاتان الآيتان في سورة النجم فيهما الدليل على قرب الساعة وقرب علاماتها؛ لأن الله عز وجل أخبر بأن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نذير من النذر الأولى ثم أخبر بقرب الساعة لما ذكر نذارة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آله وَسَلَّمَ ورسالته.

فأشراط الساعة كثيرة متنوعة ثبتت بكتاب الله عز وجل وبسنة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آله وَسَلَّمَ، وهذه العلامات تنقسم إلى أقسام:

قسم منها ظهر وقت النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كبعثته وانشقاق القمر، وما أشبه ذلك من الآيات التي أخبر بها صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وظهرت في زمانه.

ومنها ما ظهر بعد موته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آله وَسَلَّمَ، وهذا ينقسم إلى قسمين:

آيات صغرى: وهي كثيرة لا حصر لها، منها ما رواه الشيخان في حديث عمر بن الخطاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ في سؤال جبريل عن الساعة حيث سأله عن الساعة، قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في جواب

---

(١) **البخاري**: كتاب التفسير، باب ، حديث رقم (٤٩٣٦).

**مسلم**: كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب قرب الساعة، حديث رقم (٢٩٥٠).

(٢) سورة : القمر (١).

(٣) سورة : محمد (١٨).

(٤) سورة : النجم (٥٧-٥٨).

جبريل: ((**ما المسؤول عنها بأعلم من السائل**))، ثم سأله عن أماراتها وعلاماتها فذكر من ذلك ((**أن تلد الأمة ربتها، وأن ترى العراة الحفاة العالة رعاء الشاء يتطاولون في البنيان**))[1]. فهذا من العلامات التي أخبر بها النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وجاءت في حديث اتفقت الأمة على قبوله والعمل به، فهو من أصح الأحاديث، وهذا الذي تضمنه الحديث من علامات الساعة الصغرى.

القسم الثاني من علامات الساعة: العلامات الكبرى.

وهذه العلامات ليست على درجة واحدة؛ بل هي متفاوتة في الدلالة على قرب الساعة:

فمنها ما يكون بين يدي الساعة مباشرة، وهو ما أشار إليه قول النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((**إن أول ما يكون من الآيات خروج الدابة**)) وذكر النبي صلى الله عليه وسلم: ((**طلوع الشمس من مغربها**)) فقال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((**فأيهما كانت قبل كانت التي بعدها تليها**))، [2] فهذا يدل على أن الأولية في أشراط الساعة الكبرى نسبية.

فمنها ما يكون قريباً مباشراً للساعة يدل على اختلال نظام الكون وقرب حصولها.

ومنها ما يكون من العلامات الكبار والأشراط البينة الكبرى؛ لكنها ليست قريبة بين يدي الساعة؛ يعني ليست في القرب كالتي أخبر بأنها أول ما يكون من شأن الساعة، وذلك كخروج الدجال ونزول عيسى ابن مريم، وما أشبه ذلك من الآيات التي أخبر النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بها: كالخسف الذي يكون في المغرب، والخسف الذي يكون في المشرق، والخسف الذي يكون في جزيرة العرب.

هذه الأشراط كلها علامات تدل على الساعة وتبين وتوضح قربها.

والواجب على المؤمن أن يستشعر قرب الساعة لا بمجرد آية أو آيتين، بل بمجموع هذه الآيات ومنها بعثة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وقد أخبر الله عز وجل بقرب الساعة ودنوها فقال: ﴿**اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ (١)**﴾،[3] وقال: ﴿**اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مَّعْرِضُونَ (١)**﴾[4] ﴿**أَزِفَتِ**

---

(1) **البخاري**: كتاب الإيمان، باب سؤال جبريل النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن الإيمان..، حديث رقم (٥٠).

**مسلم**: كتاب الإيمان، باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان.. حديث رقم (٨).

(2) **مسلم**: كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب في خروج الدجال ومكثه في الأرض.. حديث رقم (٢٩٤١).

(3) سورة : القمر (١).

(4) سورة : الأنبياء (١).

**الآزِفَةُ (٥٧)﴾**[١] وما إلى ذلك من الآيات التي يخبر الله عز وجل فيها بقرب وقوع الحساب وقرب قيام الساعة التي يقوم فيها الناس لرب العالمين.

فالواجب على المؤمن أن لا ينتظر آية معينة يستدل بها على قرب الساعة؛ بل الآيات كثيرة منتشرة، منتشرة، منها ما حصل، ومنها ما سيحصل، ومنها ما هو واقع وحاصل في دنيا الناس، فمن ذلك ما أخبر به النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الصحيحين: ((**لا تقوم الساعة حتى يقل العلم ويظهر الجهل ويفشو الزنى وتشرب الخمر**))[٢]. هذه كلها علامات قائمة في حياة الناس اليوم، فإن العلم قليل والجهل منتشر والزنى فاشٍ، وإن كان لا يلزم من فشوه أن يكون فاشياً في كل بلاد العالم؛ لكن ظهور الزنى بما نسمعه ويُنقل إلينا من ظهوره في بلاد الكفار أمر واضح وجلي، وكذلك شرب الخمر استهان به كثير من الناس من المسلمين ومن غيرهم.

المراد أن العلامات منها ما هو يعايشه الناس ومنها ما جاء وفُرغ منه، ومنها ما هو مستقبل أي يستقبله الناس و لم يأتِ بعد.

فالواجب على المؤمن أن يستفيد من هذه الأشراط لا في حسبها وعدها ووقعت أو لم تقع إنما في الاستعداد لليوم الآخر؛ لأن الله عز وجل إنما ذكرها في مساق التنبيه ولفت النظر إلى قرب الساعة الذي يوجب للإنسان العمل الصالح، ويوجب للإنسان استدراك ما مضى وما فات من صالح العمل؛ ولذلك قال الله عز وجل: **﴿فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلا السَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً فَقَدْ جَاء أَشْرَاطُهَا﴾**،[٣] وقال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كما في حديث أبي هريرة في صحيح مسلم: ((**بادروا بالأعمال ستّاً: الدجال والدابة والدخان وطلوع الشمس من مغربها وأمر العامة**)) يعني يوم القيامة ((**وخاصة أحدكم**))[٤] يعني موته. هذه الست الذي ذكرها النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من علامات الساعة، فينبغي للإنسان أن يبادر منها ما هو من علامات الساعة كالأربع الأولى التي ذكرها رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فالواجب على المؤمن أن يبادر؛ ولذلك قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((**بادروا بالأعمال**))، فالفائدة المرجوة من

---

(١) سورة : النجم (٥٨).

(٢) **البخاري**: كتاب العلم، باب رفع العلم وظهور الجهل، حديث رقم (٨٠).

**مسلم**: كتاب العلم، باب رفع العلم وقبضه وظهور الجهل والفتن في آخر الزمان، حديث رقم (٢٦٧١).

(٣) سورة : محمد (١٨).

(٤) **مسلم**: كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب في بقية من أحاديث الدجال، حديث رقم (٢٩٤٧).

أشراط الساعة لا ما يهتم به كثير من الناس اليوم من عدِها وهل وقعت؟ وهل حسر الفرات عن جبل من ذهب أو لم يحسر؟ وهل حصل خسف المشرق أو خسف المغرب وما إلى ذلك من خلاف ونزاع في تحديد بعض أشراط الساعة، إنما المقصود والمراد أن يتهيأ لها أهل الإسلام وأن يستعدوا لذلك اليوم.

ثم إن الساعة منها ما هو عام كالساعة التي تكون بالصعق وموت كل بني آدم وموت الخلق، ومنها ما يكون خاصّاً وهي موت الواحد منا، فإن الساعة وهي القيامة الصغرى هي أن تموت، وقد قرن الله جل وعلا في كتابه في كثير من المواضع ذكر القيامتين: القيامة الخاصة التي تتعلق بكل واحد منا، والقيامة العامة التي تعم الناس ويهلك فيها جميع الخلق.

إذاً فائدة بحث هذه الشروط لا مجرد عدِّها ومعرفتِها والنظر في وقوعها أو لا، إنما في المبادرة إلى العمل الصالح والاستعداد لها.

قال رحمه الله: (**مِثْلُ خُروجِ الدَّجَّالِ**) هذا من أشراط الساعة، وهو من أشراط الساعة الكبار. والدجال كما قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((**ما من نبي أرسله الله عز وجل إلا وأنذر أمته فتنة الدجال**))[1]. وجاء مزيد بيان في رسالة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في شأنه وحاله وعمله ما لم يسبقه إليه أحد من الرسل المتقدمين.

وخروج الدجال أمر مُجمع عليه، وهو خروج حقيقي يحصل به من الفتنة والشر ما الله به عليم.

(**ونُزولِ عيسى ابنِ مريمَ عليه السلامُ فيَقْتُلُهُ**) هذا أيضاً مما جاء به الخبر عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ودلّت عليه آيات الكتاب فإن عيسى ابن مريم عليه السلام رفعه الله تعالىٰ إليه كما قال جل وعلا: ﴿**يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ**﴾[2]. فهو مرفوع عند الله جلّ وعلا لم يمت، ثم يُنزله الله عز وجل متى شاء، فإذا نزل يتزل في وقت هذه الفتنة العظيمة فيكون على يديه نهايتها وإبطالها وقتل الدجال.

---

([1]) **البخاري**: كتاب الفتن، باب ذكر الدجال، حديث رقم (٧١٣١).

**مسلم**: كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب ذكر الدجال وصفته وما معه، حديث رقم (٢٩٣٣).

([2]) سورة : آل عمران (٥٥).

يقول: (وخروجِ يأجوجَ ومأجوجَ) وهذا دل عليه قول الله تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ (٩٦) وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ﴾ [١]. فجعل خروج يأجوج ومأجوج مقترناً باقتراب الوعد الحق.

ويأجوج ومأجوج خلق من بني آدم عظيم أخبر الله عز وجل في الكتاب بأنه بنى ذو القرنين سدّاً يمنعهم من الانتشار والإفساد في الأرض، فإذا أذِن الله خرجوا ووقع الفساد منهم ووقع ما أخبر به النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الأعمال التي تكون منهم من الكفر والشر الذي يعم الأرض، ثم تبطل فتنتهم ويذهب شرهم بإذن الله تعالى.

قال: (وخروج الدَّابّةِ) وخروج الدابة أمر أخبر الله به في قوله: ﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ﴾،[٢] فهذا هو ما أشار إليه المؤلف رحمه الله في قوله: (وخروج الدَّابّةِ)، وخروج الدابة ثابت في السنة في أحاديث لا مجال لردها، فهي تبلغ حد الاستفاضة والتواتر.

والدابة ليس هناك وصف دقيق لها ومتى تكون؛ ولكنْ هناك وصفٌ لما تخرج من أجله وهي أنها يحصل بها بيان وتمييز المؤمن من الكافر.

(وطُلُوعِ الشَّمسِ مِنْ مغْرِبِهَا) وهذه آية سماوية آفاقية تدل على انخرام نظام الكون، وقد جاءت الإشارة إليها في قوله تعالى: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ أَن تَأْتِيهُمُ الْمَلآئِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لاَ يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا﴾ [٣]. فهذه الآية دالة على خروج الشمس من مغربها، وهي آية عظيمة كبرى يبطُل بعدها التوبة ويُغلق بابُها ولا ينتفع أحد بعد ذلك بعمل لم يكن قد عمله وزلّفه من قبل، وهذه الآية من أوضح الآيات وأعمِّها وأظهرها دلالة على دنو الساعة وقربها.

قال رحمه الله بعد ذلك: (وأشْباهِ ذلك مما صحَّ به النَّقْلُ) وهو كثير من الآيات الصغرى والآيات الكبرى.

---

(١) سورة : الأنبياء (٩٦-٩٧).

(٢) سورة : النمل (٨٢).

(٣) سورة : الأنعام (١٥٨).

ثم قال رحمه الله: (وعذابُ القبْرِ ونعيمُه حقٌّ، وقد استعاذَ النبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْهُ) عذاب القبر ونعيمه، (عذابُ القبْرِ) أي ما يكون من العذاب الذي في القبر، (ونعيمُه) أي ما يكون من النعيم الذي في القبر. وعذاب القبر ونعيمه ثابت بالكتاب والسنة، وقد أجمع عليه سلف الأمة، فأدلة الكتاب وأدلة السنة في ثبوته كثيرة.

يقول المؤلف: (وقد استعاذَ النبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْهُ، وأَمَرَ بِهِ في كلِّ صلاةٍ ) يعني وأمر بالاستعاذة منه في كل صلاة.

(عذابُ القبْرِ) أي العذاب الواقع في القبر فهذا من باب إضافة الشيء إلى محله، وليس هذا حصراً أو قصراً على القبور، فمن لم يُقبر فإنه يدركه عذاب القبر ونعيمه ولو لم يكن في قبر، فهو ذكر للعذاب بناءً على محله الغالب، و إلا فإن العذاب يكون للمقبور ويكون لغير المقبور.

دليله من الكتاب قول الله تعالىٰ في آل فرعون: ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ (٤٦)﴾[1]. فأخبر الله عز وجل في هذه الآية بأن آل فرعون يُعرضون على النار غدوّاً وعشيّاً، ثم أخبر ما يكون من حالهم يوم القيامة فقال: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ (٤٦)﴾.

من الأدلة التي يستدل بها العلماء على عذاب القبر قول الله عز وجل: ﴿مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا لَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ أَنصَارًا (٢٥)﴾.[2]

من الأدلة أيضاً الدالة على عذاب القبر قول الله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلآئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ (٥٠)﴾،[3] فذكر الله عز وجل حالهم في العذاب وقت قبض أرواحهم ثم قال: ﴿وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴾ فذكر بعد ذلك عذاب الحريق الذي هو العذاب بالنار، نسأل الله السلامة والعافية.

المراد أن الأدلة الدالة على هذا العذاب الواقع في القبر كثيرة، وكذلك النعيم فإن أدلته كثيرة في سنة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آله وَسَلَّمَ.

---

([1]) سورة : غافر (٤٦).

([2]) سورة : نوح (٢٥).

([3]) سورة : الأنفال (٥٠).

(**وقد استعاذَ النبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْهُ**) أي من عذاب القبر؛ وذلك فيما رواه أبو هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: ((**استعيذوا بالله من أربع: من عذاب جهنم ومن عذاب القبر ومن فتنة المحيا والممات ومن فتنة المسيح الدجال**))[1]. وقد قال ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: إن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يعلمهم هذا الدعاء كما يعلمهم السورة من القرآن.

وقالت عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْها كما في الصحيحين: إن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يستعيذ بالله من أربع: ((**من عذاب القبر ومن عذاب جهنم ومن فتنة المحيا والممات ومن فتنة المسيح الدجال**)).[2]

وهذا العذاب يستحقه كل من كان كافراً بالله العظيم فإنه يعذب في القبر عذاباً دائماً، كما قال تعالى في آل فرعون: ﴿**النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا**﴾، ولم يذكر لذلك منتهى ﴿**وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ (٤٦)**﴾[3] فَفُهم من هذا أن عذابهم مستديم ودائم ومستمر وليس له انقطاع.

النوع الثاني من العذاب: العذاب المنقطع، وهو ما يكون لبعض العصاة الذين يعذبون إزاء ما اقترفوا من جرم وما وقعوا فيه من ذنب ثم يُرفع عنهم هذا العذاب.

من أدلة أن العذاب متفاوت في القبر –متفاوت من حيث الدوام وعدمه، من حيث الشدة والخفة– حديث ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ في قصة مرور النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على القبرين حيث قال –لما غرز في كل قبر جريدة أو القسم من الجريدة، قالوا: لم فعلت ذلك؟ قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–: ((**لعله يخفف عنهما ما لم ييبسا**))[4]. فدل ذلك على أن عذاب القبر ليس على درجة واحدة؛ بل هو متفاوت من حيث الشدة والخفة، وهو أيضاً متفاوت من حيث الدوام والانقطاع: فالكفار عذابهم فيه غير منقطع، وأما أهل الإسلام الذين معهم من المعاصي ما قد يستحقون العقوبة من أجله في القبر فإنه قد

---

(1) **البخاري**: كتاب الجنائز، باب التعوذ من عذاب القبر، حديث رقم (١٣٧٧).
**مسلم**: كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب ما يستعاذ منه في الصلاة، حديث رقم (٥٨٩).

(2) **البخاري**: كتاب الأذان، باب الدعاء قبل السلام، حديث رقم (٨٣٢).
**مسلم**: كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب ما يستعاذ منه في الصلاة، حديث رقم (٥٨٩).

(3) سورة : غافر (٤٦).

(4) **البخاري**: كتاب الوضوء، باب ما جاء في غسل البول، حديث رقم (٢١٨).
**مسلم**: كتاب الطهارة، باب الدليل على نجاسة البول ووجوب الاستبراء منه، حديث رقم (٢٩٢).

يكون منقطعاً، وهذا العذاب الذي يصيب أهل الإسلام في القبر يُكفر الله به عنهم من الخطايا ويكون حاطًّا لهم من أن يعاقبوا بسببه في النار، فهو من جملة ما يصاب به المسلم ويُكفّر به من خطاياه وتمحّص به سيئاته ولا يعاقب به في الآخرة.

يقول رحمه الله:

(وعذابُ القبْرِ ونعيمُه حقٌّ، وقد استعاذَ النبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْهُ، وأَمَرَ بِهِ في كلِّ صلاةٍ.

وفِتْنَةُ القَبْرِ حقٌّ، وسُؤالُ مُنْكَرٍ ونَكيرٍ حقٌّ، والبَعْثُ بعْدَ الموْتِ حقٌّ وذلك حين يَنْفُخُ إسرافيلُ عليه السلامُ في الصُّورِ: ﴿فإِذَا هُمْ مِنَ الأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ﴾.[1]

ويُحْشَرُ النّاسُ يومَ القيّامةِ حُفَاةً عُراةً غُرْلاً بُهْمًا، فيقِفونَ في موْقفِ القيامةِ، حتّى يَشْفَعَ فيهم نبيُّنا محمدٌ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ويُحاسِبُهُم اللهُ تبارك وتعالىٰ، وتُنْصَبُ الموازينُ، وتُنْشَرُ الدَّواوينُ، وتَتَطايَرُ صَحَائفُ[2] الأَعْمالِ إلى الأَيْمانِ والشَّمائِلِ).

طيب، يقول رحمه الله –في بيان ما يجب الإيمان به واعتقاده مما يندرج تحت الإيمان باليوم الآخر–: (وفِتْنَةُ القَبْرِ حقٌّ) فتنة القبر الامتحان الواقع للموتى في قبورهم إذا دُفنوا، فإنّ أهل القبور إذا دُفِنُوا يُمتحنون ويُختبرون ويُسألون، ويقال لهم: من ربُك؟ ما دينُك؟ من نبيك؟ وهذا السؤال يُسأله الإنسان سواء قُبِر أو لم يُقبر؛ لكن من كان سيقبر فإنه يسأل في قبره؛ لحديث أنس وغيره أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: ((إذا وضِع الرجل في قبره –أو: إذا وضِع الميت في قبره– أتاه ملكان))[3] فإتيان الملكين وهو السؤال وهو الفتنة يكون ذلك في القبر، وقد أخبر النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بفتنة القبر وبينها في أحاديث مستفيضة تبلغ حد التواتر، فلا مجال لإنكارها ولا التكذيب بها.

وهذه الفتنة هي لجميع أهل التكليف، يعني لجميع من كان مكلّفاً، واختلفوا في الأنبياء هل يفتنون أو لا؟

والصحيح أنهم لا يفتنون؛ لأن الأنبياء هم المسؤول عنهم لا المسؤولون.

---

(1) سورة : يس (٥١).

(2) في نسخة: صحف.

(3) **البخاري**: كتاب الجنائز، باب الميت يسمع خفق النعال، حديث رقم (١٣٣٨).

**مسلم**: كتاب الجنة وصفة نعيما وأهلها، باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه وإثبات عذاب القبر والتعوذ منه، حديث رقم (٢٨٧٠).

كما أهم اختلفوا في الشهداء هل يفتنون أو لا؟

والصحيح أهم لا يفتنون؛ لقوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((**كفى ببارقة السيوف فوق رؤوسهم فتنة**))[1]. فهذا مما يعطاه أهل الشهادة.

واختلفوا في من لم يبلغ أو من بلغ وهو مجنون أو معتوه لا عقل له، هل يفتن أو لا ؟

على قولين لأهل العلم:

فمنهم من قال: إنهم يفتنون ويمتحنون، وهذا قول أكثر أهل العلم.

والقول الثاني أنهم لا يفتنون ولا يمتحنون؛ لأنهم ليس معهم عقل، وليس عليهم تكليف في حق الصغار، من أجله تقع الفتنة والامتحان.

والذين قالوا بالفتنة استدلوا بما رواه مالك وأيضاً رواه غيره من أن أبا هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ كان إذا صلى على جنازة قال: اللهم قِهِ عذاب القبر أو وقه عذاب القبر.

ومن جملة ما يكون من عذاب القبر، ما يكون فيه من الفتنة؛ لأن الفتنة يترتب عليها العذاب، ويعقبها العذاب، فاستدلوا بهذا على أن الصغار ومن لا عقل له يفتن، والذي يظهر أنهم يفتنون والعلم عند الله، ولكن هذه الفتنة لا ظلم فيها عليهم؛ لأن من لا عقل له يمتحن يوم القيامة، فإن أجاب دخل الجنة، وإن امتنع و لم يجب فإنه يكون من أهل النار، والله حكم عدل: ﴿إِنَّ اللّهَ لاَ يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا﴾.[2]

يقول رحمه الله في بيان الفتنة: (**وفِتْنَةُ القَبْرِ حقٌّ**) أي ثابتة، لا مجال لإنكارها ولا ردها.

ومن أنكرها من المعتزلة وغيرهم إنما أنكروها لكون عقولهم قصرت عن إدراك هذه الفتنة العظيمة التي تكون في القبور.

وأيضاً قالوا: إننا نفتح القبر ولا نرى ملائكة تسأل ولا بدناً يقعد ويضرب بمرزبة من حديد وما أشبه ذلك مما جاء به الخبر من فتنة القبر.

فالجواب عن هذا أن يقال: إن ما ذكره النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الإقعاد والسؤال إنما هو في الأصل للروح لا للبدن، وذلك أن حكم الدار–دار البرزخ، الدار التي بين الدنيا والآخرة، الحكم فيها– على الأرواح لا على الأبدان، وما يكون مما ذُكر بلوغه للبدن أو ظهر أثره حسّاً على الأبدان إنما هو

---

(1) **سنن النسائي**: كتاب الجمعة، باب الشهيد، حديث رقم (٢٠٥٣). قال **الشيخ الألباني**: صحيح.

(2) سورة : يونس (٤٤).

تبع، وإلا فالأصل، فإن أحكام دار البرزخ تتعلق بالأرواح لا تتعلق بالأبدان، فالبدن لا يظهر عليه إقعاد ولا يظهر أثر الضرب الذي أخبر به النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لمن لم يجب ولم يوفق في فتنة الملكين، فإنهما كما في حديث أنس في الصحيحين ((**يضربانه بمرزبة بين أُذنيه أو بمطرقة من حديد بين أذنيه فيصيح فيسمعه كل أحد إلا الثقلين**))،[1] فهذا لا يكون إلا على الروح، لا على البدن.

وذكر شيخ الإسلام رحمه الله وأيضاً ابن القيم أنه قد يظهر أثر ذلك على البدن، وقد يقوى اتصال الروح بالبدن فيُقعد البدن. ولا تقل كيف؟ إنما هذا أمر لا ندركه نحن، فإننا لو فتحنا القبر أو كما يقول وضعنا جهاز تصوير بعد الدفن لم نجد بدناً يقعد ولا ملكاً يأتي؛ لأن الحكم متعلق بالروح، والآن الروح يحصل لها في حال المنام نظير ما ذكر النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في القبر من الانتقال والسؤال وما إلى ذلك، ولا يظهر على البدن أثر، فالإنسان إذا نام ورأى في المنام أنه مثلاً يدخل في عراك أو قتال أو ما أشبه ذلك تجده يتأثر وقد يقوم فزعاً وقد يجد أثر هذا على بدنه وهو في منام، الروح مرتبطة بالجسد والحكم في الدنيا، الأصل فيه على أي شيء على الأجساد أو على الأرواح؟ على الأجساد، فكذلك في الآخرة ما يكون مما أخبر به النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من عذاب القبر ونعيمه الأصل فيه أنه واقع على أي شيء؟ على الأرواح، وما يكون للأبدان إنما هو تابع، تماماً ما يكون من نعيم الروح في الدنيا فهو تابع لنعيم البدن.

أما الآخرة فتقترن الروح بالبدن اقتراناً تامّاً في التعذيب وفي النعيم؛ أي في العذاب والنعيم فيكون عليهما جميعاً.

فالذين أنكروا ما جاءت به الأخبار عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من فتنة القبر ومن عذاب القبر ومن سؤال منكر ونكير، وما أشبه ذلك إنما اعتمدوا في الإنكار على أي شيء؟ على العقل، ويقولون: الحس ما ندرك ذلك ولا نشاهده، نقول: نعم. أما العقل فلا مجال لإعماله فيما أخبر به النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مما يكون من أمر الغيب؛ لأنه بأي عقل يوزن خبر الله وخبر رسوله؟ كما قال الإمام مالك: ليت شعري! بأي عقل نزن الكتاب والسنة.

وأما الحس فنقول: إن الحكم ليس للأبدان حتى تعترضوا، وإنما الحكم في دار البرزخ على أي شيء ؟ الحكم للأرواح وعليها لا للأبدان.

---

(1) تم تخريجه صفحة (٢). وهـٰذا القدر في البخاري دون مسلم، وليس فيه (بمرزبة).

ثم قال رحمه الله: (**وسُؤالُ مُنْكَرٍ ونَكيرٍ حقٌّ**) هذا بيان لتفصيل الفتنة وأن الفتنة تكون بسؤال منكر ونكير. ومنكر ونكير ملكان كريمان، وإنما سميا بهذين الاسمين -منكَر بفتح الكاف ونكير بكسرها- لأنهما لا يعرفهما الإنسان، فهما غير معروفين لمن يأتيان إليه، فالنكارة هنا ليست لفعلهما ولا لحالهما، إنما النكارة لكون الإنسان يجهلهما. وقيل: إنهما أيضاً يأتيانه على صورة منكرة فظيعة تدهش العقول وتذهب الألباب وتزيغ القلوب، وهذا الذي يحصل به الفضل لأهل الفضل في قوله تعالى: ﴿يُثَبِّتُ اللّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ﴾ [1]. الثبات الذي يكون في الآخرة منه ما يكون في القبر عند سؤال منكر ونكير؛ بل هو سبب نزول الآية كما في الصحيح[2]. فهذان الاسمان لهذين الملكين إنما هما في الحقيقة وصف لحالهما وليس تقليلاً من شأنهما، فهما من الملائكة الكرام الذين سخرهم الله عز وجل لما شاء من تسخير.

وقد جاء إطلاق هذين الاسمين عليهما في السنة فيما رواه ابن حبان في صحيحه وأيضاً في مسند الإمام أحمد، فهذان الاسمان لهذين الملكين ثبتت بهما السنة، وإن كان بعض أهل العلم يضعف ما ورد في ذلك.

ثم قال: (**والبَعْثُ بعْدَ الموْتِ حقٌّ**). البعث هو ما أخبر الله عز وجل به وعنه من قيام الناس لرب العالمين. (**حُفَاةً عُراةً غُرْلاً**). ولعلنا نترك تفصيل ما يتعلق بالبعث إلى الدرس القادم.

والله تعالى أعلم وصلى الله وسلم على نبينا محمد.

---

(1) سورة : إبراهيم (٢٧).

(2) **البخاري**: كتاب الجنائز، باب ما جاء في عذاب القبر، حديث رقم (١٣٦٩).

**مسلم**: كتاب الجنة وصفة نعيمها، باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه وإثبات عذاب القبر والتعوذ منه، حديث رقم (٢٨٧١).

# شرح لمعة الاعتقاد

# الهادي إلى سبيل الرشاد


لموفق الدّين بن قدامة المقدسي رحمه الله

لفضيلة الشيخ

خالد بن عبد الله المصلح


الدرس الرابع عشر


www.almosleh.com

## بسم الله الرحمن الرحيم

قال الإمام موفق الدِّين أبو محمد عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي رحمه الله تعالى:

**ويُحْشَرُ النّاسُ يومَ القيّامةِ حُفَاةً عُراةً غُرْلاً بُهْمًا فيقِفونَ في موْقفِ القيّامةِ، حتّى يَشْفَعَ فيهم نبيُّنا محمدٌ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ويُحاسِبُهُم اللهُ تَبَارَكَ وتَعَالىٰ، وتُنْصَبُ الموازينُ، وتُنْشَرُ الدَّواوينُ، وتَتطايَرُ صحائفُ الأَعْمالِ إلى الأَيْمانِ والشَّمائِلِ ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ (٧) فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا (٨) وَيَنقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ مَسْرُورًا (٩) وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ (١٠) فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُورًا (١١) وَيَصْلَى سَعِيرًا﴾.**[١]

**والميزانُ له كِفَّتانِ ولِسانٌ، تُوزَنُ به أعمالُ العبادِ ﴿فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (١٠٢) وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ﴾.**[٢]

بسم الله الرحمـٰن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وأصلي وأسلم على المبعوث رحمة للعالمين نبينا محمد وعلى آله وأصحابه ومن اتبع سنته بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فهذا صلة ما تقدم من الكلام على الإيمان باليوم الآخر، والمؤلف رحمه الله ذكر شيئاً مما يتعلق بالإيمان باليوم الآخر ولم يستوعب، وقد تقدم لنا أنّ الإيمان باليوم الآخر يقتضي الإيمان بكل ما أخبر به النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آله وَسَلَّمَ مما يكون بعد الموت.

قال رحمه الله: (**والبَعْثُ بعْدَ الموْتِ حقٌّ**) تكلمنا على هــٰذا.

ثم قال: (**وذلك حين يَنْفُخُ إسرافيلُ عليه السلامُ في الصُّورِ: ﴿فَإِذَا هُمْ مِنَ الأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ﴾.**[٣]) وقد جاء في الكتاب النفخ في ثلاث مرات:

ففي قوله تعالىٰ: **﴿وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَمَن فِي الأَرْضِ إِلا مَن شَاءَ اللَّهُ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ (٨٧)﴾**[١] هذه النفخة تسمى نفخة الفزع.

---

([١]) سورة : الانشقاق (٧-١٢).

([٢]) سورة : المؤمنون (١٠٢-١٠٣).

([٣]) سورة : يس (٥١).

وهناك نفختان ذكرهما الله في سورة الزمر في قوله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَٰوَاتِ وَمَن فِي الأَرْضِ إلا مَن شَاء اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُم قِيَامٌ يَنظُرُونَ (٦٨)﴾.[٢]

فحصل من هذا ثلاث نفخات:

- نفخة الفزع.
- ونفخة الصعق.
- ونفخة القيام والبعث.

المؤلف رحمه الله ذكر في هذه الآية نفخة البعث التي يقوم بها الناس لرب العالمين كما قال الله عز وجل: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ (١) الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ (٢) وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ (٣)﴾ ثم قال: ﴿أَلا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ (٤) لِيَوْمٍ عَظِيمٍ (٥) يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ (٦)﴾[٣] فهذا القيام هو عقِب النفخ الذي يقوم به الناس من قبورهم ويُحشرون إلى ربهم.

قال رحمه الله: في قوله تعالىٰ: ﴿فَإِذَا هُمْ مِنَ الأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ﴾.[٤] أي يأتون من كل مكان ويجتمعون من كل صوب. والنسل في قوله تعالىٰ: ﴿يَنسِلُونَ﴾ يدل على كثرة وعِظم هذا البعث وأنه بعث عظيم يأتي بالناس ويجمعهم من كل مكان.

قال رحمه الله: (ويُحْشَرُ النّاسُ يومَ القيّامةِ) بعد أن ذكر البعث وقيام الناس لرب العالمين ذكر الحشر فقال: (ويُحْشَرُ النّاسُ يومَ القيّامةِ) ويُحشرون أي يُجمعون، وهذا الجمع ليس خاصّاً بالناس إنما خص المؤلف رحمه الله الناس بالذكر هنا لكون الناس هم المقصودين بالبعث وهم المقصودين بالنشور؛ لأن الحساب والجزاء ليتبين أهل السعادة وليتبين أهل الشقاء.

وأما بعث ونشر وحشر غيرهم فهو تابع، قال الله تعالىٰ: ﴿وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ (٥)﴾[٥] فالوحوش تُحشر وتُجمع، وقال تعالىٰ في حشر الخلائق: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي الكِتَابِ مِن شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ

=

([١]) سورة : النمل (٨٧).

([٢]) سورة : الزمر (٦٨).

([٣]) سورة : المطففين (١-٦).

([٤]) سورة : يس (٥١).

([٥]) سورة : التكوير (٥).

يُحْشَرُونَ (٣٨)﴾[١] فكل الخلق يُحشرون كما قال الله تعالى: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلاَّ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم مَّا فَرَّطْنَا فِي الكِتَابِ مِن شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ (٣٨)﴾ أي كل ما طار وكل ما درج وكل ما خلقه الله عز وجل يُحشر يوم القيامة، فكل ذي حياة يُحشر يوم القيامة ويؤتى به إلىٰ أرض المحشر.

قوله رحمه الله: (**ويُحشَرُ النّاسُ**) تخصيص كما قال تعالىٰ: ﴿يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ (٦)﴾[٢] فيُحشرون ويجمعون على هذه الصفة التي ذكرها الله عز وجل.

وسمى اليوم بيوم القيامة؛ لأنه ﴿يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾؛ ولأنه اليوم الذي يقام فيه الميزان والقسط؛ ولأن الله عز وجل يقيم فيه العدل، فهذا هو سبب تسمية هذا اليوم بيوم القيامة.

قال رحمه الله في صفة حشر الناس: (**حُفَاةً عُراةً غُرْلاً بُهْمًا**) وهذه الأوصاف جاءت بها السنة، ففي حديث ابن عباس في الصحيحين[٣] قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آله وَسَلَّمَ: ((**إنكم ملاقو ربكم حُفَاةً عُراةً غُرْلاً**)) وأما زيادة (**بُهْمًا**) فجاءت في مسند الإمام أحمد بسند لا بأس به، قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((**يُحْشَرُ النّاسُ يومَ القيّامةِ حُفَاةً عُراةً غُرْلاً بُهْمًا**)) قالوا: ما بُهماً يا رسول الله؟ قال: ((**ليس معهم شيء**))، ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ﴾،[٤] ﴿وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاء ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاء﴾[٥] فيأتي يوم القيامة كل أحد ليس معه شيء، ليس معه شيء من هذه الدنيا إلا ما كان من العمل الصالح، كما قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الصحيحين: ((**يأتي الرجل يوم القيامة فينظر أيمن منه فلا يرى إلا ما قدم، وينظر أشأم منه**)) جهة شماله ((**فلا يرى إلا ما قدم، وينظر أمامه فلا يرى إلا النار**))[٦] وإنما ذكر العمل عن اليمين وعن اليسار لأن به يحصل فكاكه مما بيْن يديه.

---

(١) سورة : الأنعام (٣٨).

(٢) سورة : المطففين (٦).

(٣) **البخاري**: كتاب الرقاق، باب كيف الحشر، حديث رقم (٦٥٢٧).

**مسلم**: كتاب في الجنة ، باب فناء الدنيا وبيان الحشر يوم القيامة، حديث رقم (٢٨٥٩).

(٤) سورة : الأنبياء (١٠٤).

(٥) سورة : الأنعام (٩٤).

(٦) **البخاري**: كتاب التوحيد، باب كلام الرب عز وجل يوم القيامة مع الأنبياء وغيرهم، حديث رقم ٧٥١٢.

=

يقول المؤلف رحمه الله في بيان ذلك الموقف: (**حُفَاةً**) أي ليس معهم شيء يقي أقدامهم، (**عُراةً**) ليس معهم شيء يستر أجسادهم، (**غُرْلاً**) أي قد تم خلقهم فلا نقص فيهم بوجه من الوجوه، حتى هذه القطعة التي تأخذ من الذكور عند ختنهم في وقت ولادهم أو بعد ذلك تعاد ﴿**كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ (١٠٤)**﴾،[١] ﴿**مَّا فَرَّطْنَا فِي الكِتَابِ مِن شَيْءٍ**﴾[٢]يعني ما يضيع شيء أبداً من خلق الناس، يُجمعون ويكمّل خلقهم ﴿**قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ الأَرْضُ مِنْهُمْ وَعِندَنَا كِتَابٌ حَفِيظٌ (٤)**﴾[٣] يحفظ كل قطعة وكل جزء وكل ذرّة من خلق الإنسان أين ذهبت فيجمعها الله عز وجل ويتركب منها هـذا الخلق يوم القيامة، (**حُفَاةً عُراةً غُرْلاً بُهْمًا**)، قال: (**فيقِفونَ في موْقفِ القيّامةِ**) أي في أرض المحشر يقفون قياماً على أقدامهم في ذلك اليوم الشديد العصيب.

قال رحمه الله: (**حتّى يَشْفَعَ فيهم نبيُّنا محمدٌ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**) يقفون مدة طويلة، وهذه المدة ليست مدة لهو وابتهاج ونظر، إنما هي مدة عظيمة طويلة يطولها الله على أهل المعصية وأهل الكفر ويقصّرها الله جلّ وعلا ويخففها ويهونها على أهل الإيمان والتقى والصلاح الذين قال الله فيهم: ﴿**فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ (٣٨)**﴾[٤] اللهم اجعلنا منهم. يقول النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيما رواه الإمام مسلم في حديث المِقْداد بن الأسود: ((**إذا كان يوم القيامة أُدنيت الشمس من رؤوس العباد حتى قدر ميل أو قدر ميلين، فيكون الناس في عرقهم بقدر أعمالهم: فمنهم من يأخذه العرق إلى عقبيه، ومنهم من يأخذه العرق إلى حقويه**)) يعني إلى منتصف جسمه ((**ومنهم من يلجمه العرق إلجاماً**))[٥]. هكذا يتفاوت الناس في شدة ذلك اليوم بسبب صهر الشمس لهم بقدر ما كان من أعمالهم في هذه الدنيا.

---

=

**مسلم**: كتاب الزكاة، باب الحث على الصدقة.. حديث رقم (١٠١٦).

(١) سورة : الأنبياء (١٠٤).

(٢) سورة : الأنعام (٣٨).

(٣) سورة : ق (٤).

(٤) سورة : البقرة (٣٨).

(٥) **مسلم**: كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب في صفة يوم القيامة أعاننا الله على أهوالها، حديث رقم (٢٨٦٤).

قف الآن في الشمس وانظر مدى أثرها عليك، وهل تطيق ذلك أو لا؟ يوم القيامة هذه الشمس تُدنـــى من رؤوس الخلائق قدر ميل أو ميلين كما في الحديث، والميل إما أن يكون ميل المكحلة يعني الجزء الذي يدخل في دواة المكحلة، وإما أن يكون الميل قدر المسافة، وكلاهما قريب.

يقف الناس في ذلك الموقف العصيب الشديد، ثم يضيقون لطول الموقف وشدته فيطلبون فكاكاً من ذلك الموقف، فيطلبون شفاعة سادات الخلق وهم الرسل الكرام، فيبدؤون بآدم أبي البشر يبدؤون به، فيأتون إليه يقولون: يا آدم أنت الذي خلقك الله بيده وأسجد لك ملائكته، اشفع لنا ألا ترى ما نحن فيه؟ ألا ترى ما قد بلغنا؟ يعني من الشدة والكرب، فيقول: لست لها، اذهبوا إلى نوح، فيذهبون إلى نوح ويعتذر، ويحولهم إلى إبراهيم فيعتذر، ويحولهم إبراهيم إلى موسى فيعتذر، ويحولهم موسى إلى عيسى ويعتذر، وهذا أربعة من أولي العزم من الرسل وآدم عليه السلام أبو البشر، فيحولهم عيسى عليه السلام إلى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيأتون إليه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آله وَسَلَّمَ في ذلك الموقف الشديد العظيم، يأتون إليه فيقولون: ألا ترى ما نحن فيه؟ ألا ترى إلى ما قد بلغنا؟ يعني من الشدة والكرب، ألا تشفع لنا؟ فيقول النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : **((أنا لها، أنا لها))** فيقوم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيسجد؛ يخر لله عز وجل ساجداً، لا يبدأ بالشفاعة، فيقال له: **((ارفع رأسك، واشفع تشفع، وقل يُسمع))** [1] فيشفع النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في فصل القضاء؛ أي أن يأتي الله جل وعلا لفصل القضاء بين الخلائق، وهذه هي الشفاعة العظمى التي اختص بها رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهو المقام المحمود الذي يحمده عليه الناس كلهم مسلمهم وكافرهم، وهذه الشفاعة لجميع الخلق مسلمِهم وكافرهم؛ لأن الموقف موقف عظيم يضيق به الناس المسلم منهم والكافر. ولذلك هذه الشفاعة فيها نوع شفاعة للكفار؛ لكنها شفاعة لا تنفعهم في الحقيقة، إذ إن ما يُقبلون عليه وما يقدمون إليه أعظم مما خلّفوه، فهم يُشفع فيهم ليتخلصوا من شدة وكرب الموقف، وينتقلون إلى النار نعوذ بالله من الخذلان والخُسران، ويكون الأمر أشد وأعظم.

يقول:( **(فيقِفونَ في موْقفِ القيّامةِ، حتّى يَشْفَعَ فيهم نبيُّنا محمدٌ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)** هــٰذه الشفاعة المشار إليها أي نوع من أنواع الشفاعة؟ الشفاعة العظمى؛ المقام المحمود الذي يحمد فيه النبيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كلُّ الخلائق.

---

[1] **البخاري**: كتاب التوحيد، باب كلام الرب عز وجل يوم القيامة مع الأنبياء وغيرهم، برقم: (٧٥١٠).
**مسلم**: كتاب الإيمان، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها، برقم: (١٩٣).

قال: (**ويُحاسِبُهُم اللهُ تَبَارَكَ وتَعَالىٰ**)، (**ويُحاسِبُهُم**) أي يحاسب الناس، وظاهر هذه الآية أن الحساب لجميع الخلق مؤمنهم وكافرهم.

وقد ذكر الله جلّ وعلا المحاسبة ووصف حسابه بأنه سريع ووصف نفسه بأنه سريع الحساب، يحاسبهم جلّ وعلا على أعمالهم، وهذه المحاسبة لا تختص أهل الإيمان؛ بل تكون لأهل الإيمان وأهل الكفر، إلا أن أهل الإيمان حسابهم حساب يسير كما قال الله عز وجل: ﴿**فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا (٨)**﴾[١] وهذا لتيسير الحساب عليهم.

أما من نوقش الحساب فإنه يعذب كما في الصحيحين من حديث عائشة رضي الله عنها أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعلى آله وَسَلَّمَ قال: ((**من نوقش الحساب عُذب**)) قالت: يا سول الله ألم يقل الله عز وجل: ﴿**فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا (٨)**﴾[٢]؟ فقال: ((**لا؛ إنما ذلك العرض**))[٣] أي إن الله عز وجل يعرض الأعمال على أهل الإيمان ويقررهم عليها؛ لكنه لا يحاسبهم عليها ولا يعاقبهم بها.

أما الكفار فإنهم يحاسبون؛ لكن محاسبتهم ليست محاسبة موازنة، يعني ليست محاسبة من تحصى حسناته وسيئاته فينظر أيهما يرجح؛ لأن الكافر لا حسنات له، قد قال الله جلّ وعلا: ﴿**وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاء مَّنثُورًا (٢٣)**﴾،[٤] الهباء تدرون ما هو؟ الهباء هو الأشياء المتطايرة في شعاع الشمس، هل توزن هذه؟ هل يتكون منها شيء؟ لا يتكون منها شيء؛ ولذلك قال الله عز وجل في الكافر: ﴿**فَلا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا (١٠٥)**﴾[٥] ليس له وزن؛ لأنه لا عمل له يوزن؛ لكن المحاسبة التي ثبتت لأهل الكفر: هي عد الأعمال. هي إحصاء الأعمال. هي عرضها على الكفار.

وأما المحاسبة التي توضع الحسنات في كِفة والسيئات في كفة، فلا تكون لأهل الكفر لماذا؟ لماذا لا تكون؟ لأنه ليس لهم حسنات حتى توزن وينظر هل ترجح بما معهم من السيئات أو لا، إنما معهم سيئات –نعوذُ بالله من الخذلان– وهي التي تهوي بهم في النار نسأل الله السلامة والعافية.

---

(١) سورة : الانشقاق (٨).

(٢) سورة : الانشقاق (٨).

(٣) **البخاري**: كتاب العلم، باب من سمع شيئاً فراجع حتى يعرفه، حديث رقم (١٠٣).

**مسلم**: كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب إثبات الحساب، حديث رقم (٢٨٧٦).

(٤) سورة : الفرقان (٢٣).

(٥) سورة : الكهف (١٠٥).

أهل الإيمان يحاسبون وحسابهم عرض أعمالهم عليهم وأيضاً الموازنة، توازن الحسنات والسيئات، وينقسم الناس في هذا إلى أقسام:

- منهم من ترجح حسناته.
- ومنهم ترجح سيئاته.
- ومنهم من تستوي الحسنات والسيئات.

هـٰذه أقسام الناس من أهل الإيمان في الحساب، أما أهل الكفر فإنه لا وزن لهم كما قال الله عز وجل في الكفار: ﴿فَلا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا﴾.

يقول رحمه الله: (**وتُنْصَبُ الموازينُ**) أي تقام الموازين كما قال الله عز وجل: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾[1] فالله عز وجل يضع الموازين، وقول المؤلف: (**الموازين**) يظهر منه أن الوزن ليس بميزان واحد إنما بموازين متعددة؛ لقوله تعالى: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ﴾ الموازين العدل التي لا تحيف ولا تظلم، فلا يهضم صاحب الطاعة شيئاً ولا يبخس شيئاً، ولا يُحمَّل صاحب السيئات شيئاً فيوضع عليه من السيئات ما لم يعمل؛ بل هي موازين قسط.

قال رحمه الله: (**وتُنْصَبُ الموازينُ**)، قلنا: (**الموازينُ**) جمع ميزان، والأصل في الميزان معروف في كلام العرب، وهو ما يوزن به الشيء، والوزن هنا للأعمال، هذا هو الأصل كما قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعلى آله وَسَلَّمَ: ((**كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان: سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم**))[2] فالوزن في الأصل يكون للعمل، هو الذي يوزن، والعمل لا تقل كيف يوزن، كيف توزن (سبحان الله)؟ كيف توزن (الصلاة)؟ توزن الصلاة وتوزن الأعمال، يوم القيامة شأنه مختلف عن شأن الدنيا، فإن الأعمال يكون لها وزن عند الله عز وجل يزنها به سبحانه وتعالىٰ.

فنحن نؤمن بالميزان؛ لكن كيفية الوزن هل ندرك ذلك أو لا ندركه؟ لا ندركه؛ لأن حقائق ما أخبر الله به مما يكون في الآخرة أمرٌ لا تدركه العقول؛ بل نؤمن بما أخبر الله به ورسوله على مراد الله وعلى مراد رسوله دون أن نلج وأن ندخل في طلب الكيفيات وطلب حقائق تلك الأخبار.

---

(1) سورة : الأنبياء (٤٧).

(2) **البخاري**: كتاب الدعوات، باب فضل التسبيح، رقم (٦٤٠٦)، وهو أيضاً آخر حديث في البخاري.

**مسلم**: كتاب الذكر والدعاء والتوبة، باب فضل التهليل والتسبيح والدعاء، حديث رقم (٢٦٩٤).

إذاً ذكرنا أن الأصل في الوزن لأي شيء؟ للأعمال، هل يوزن غير الأعمال؟ نعم يوزن غير الأعمال يوزن العمال وتوزن الصحائف.

أما وزن العمال فكما في حديث ساقي عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ في مسند الإمام أحمد حيث قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –لما ضحك الصحابة من دقة ساقي عبد الله–: **((أتضحكون من دقة ساقيه؟ فوالله إنهما في الميزان أثقل من جبل أُحد))**[1]. وفي صحيح الإمام مسلم أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: **((يؤتى بالرجل الكافر العظيم –عظيم الوزن وعظيم الجرم– فلا يزن عند الله جناح بعوضة))**،[2] فهذا يدل على أن الوزن يكون للعمال كما يكون للأعمال؛ لكن هل هذا عام في الجميع؟ الله أعلم؛ الذي نوقن بأنه عام للجميع هو وزن الأعمال.

كذلك توزن السجلات، والسجلات هي دواوين العمل، التي يسجل فيها ما يكون من الإنسان، ودليل ذلك ما رواه الإمام الترمذي في جامعه ورواه الحاكم في مستدركه من حديث عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بسند جيّد، **قال**: ((يؤتى برجل يوم القيامة، فيؤتى بصحائفه بتسعة وتسعين سجلاً –من السيئات– كل سجل مد البصر، فتوضع في كفة ، ويؤتى ببطاقة فتوضع في الكفة الأخرى، فتطيش تلك السجلات)) ما هذه البطاقة؟ ما فيها ؟ فيها (لا إله إلا الله)) [3]، فدل هذا على أي شيء؟ على وزن سجلات الأعمال.

فقوله رحمه الله: (**وتُنْصَبُ الموازينُ**) المقصود الموازين التي توزن بها الأعمال، الموازين التي يوزن بها العمال، الموازين التي يوزن بها سجلات العمل. وهذا كله في حق من؟ في حق أهل الإيمان.

أما الكفار فإنهم ليس لهم حسنات توزن؛ بل كل ما قدموه من حسنات يذهب هباءً منثوراً.

وهل هذا ظلم ؟ الجواب: لا، تعالىٰ الله عن أن يظلم أحداً: **﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلامٍ لِّلْعَبِيدِ (٤٦)﴾**،[4] **((يا عبادي، إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرّماً))**،[1] إنما هذا لكونهم جُوزوا وكوفئوا

---

(1) أورده الشيخ الألباني في **السلسلة** الصحيحة برقم (٢٧٥٠، ٣١٩٢).

(2) **البخاري**: كتاب التفسير، باب **﴿أولئك الذين كفروا بآيات ربهم﴾**[الكهف:١٠٥]، حديث رقم (٤٧٢٩).

**مسلم**: كتاب صفة القيامة والجنة والنار، حديث رقم (٢٧٨٥).

(3) **انظر الترمذي**: كتاب الإيمان، باب فيمن يموت وهو يشهد أن لا إله إلا الله، حديث رقم (٢٦٣٩).

**والمستدرك**: كتاب الإيمان ، رقم (٩)

(4) سورة : فصلت (٤٦).

على هذه الأعمال في الدنيا، فإن الله يكافئهم على أعمالهم في الدنيا والله لا يظلم الناس شيئاً، فيقدمون يوم القيامة ليس لهم عمل.

يقول رحمه الله: (**وتُنْشَرُ الدَّواوينُ**)، (**تُنْشَرُ**) النشر ضد الطي وهو البسط والكشف والإشاعة، و(**الدَّواوينُ**) جمع ديوان وأصل الديوان الجريدة التي يتكون منها الكتاب، فالديوان قرطاس من قراطيس الكتاب، فالدواوين هي القراطيس التي يكون فيها عمل بني آدم، تُنشر هذه الدواوين التي تتكون منها الكتب على الخلق ذكر الله عز وجل في قوله تعالى: ﴿**فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ (٧) فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا (٨) وَيَنقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ مَسْرُورًا (٩) وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ (١٠) فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُورًا (١١) وَيَصْلَى سَعِيرًا (١٢)**﴾.[2]

يقول رحمه الله: (**وتَتَطايَرُ صُحُفُ الأَعْمالِ**) والصحائف جمع صحيفة، وهي الدواوين وهي صحف الأعمال (**إلى الأَيْمانِ والشَّمائِلِ**) يعني من الناس من يأخذ كتابه بيمينه نسأل الله أن نكون منهم، ومنهم من يأخذ كتابه بشماله.

استدل لذلك بقوله تعالى: ﴿**فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ**﴾ وهؤلاء هم أهل السعادة أهل التوحيد أهل الإيمان أهل الإسلام يؤتون كتبهم بأيمانهم ﴿**فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا**﴾ الحساب اليسير ما هو؟ العرض؛ عرض العمل عليه، فيعرضه الله عليه ويقرره به ويقول: ((**قد غفرت لك**)) وتطوى تلك الصحائف ويؤول إلى الجنة. نسأل الله أن نكون منهم، ﴿**وَيَنقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ مَسْرُورًا**﴾ بفوزه ونجاته، ﴿**وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ**﴾ وهذا بيده اليمنى أو اليسرى؟ اليسرى إنما قال: ﴿**وَرَاءَ ظَهْرِهِ**﴾ بناءً على سوء الحال وأن الإنسان يخفي هذه الصحيفة ولا يفرح بها ويتمنى أن لم تصل إليه؛ لما فيها من سوء الشهادة عليه وبيان مآله ومصيره وأنه من أهل النار، ولذلك يخفيها، ولذلك قال الله تعالى في صفة أخذها: ﴿**وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ (١٠) فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُورًا**﴾ أي يقول: يا ثبوراه، يا ثبوراه. وذلك لما بان له واتضح من عظيم الخسار وكبير الفوات الذي حصّله في ذلك الموقف، ﴿**وَيَصْلَى**

=

([1]) **مسلم**: كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظلم، حديث رقم (٦٥٧٧).

([2]) سورة : الانشقاق (٧-١٢).

**سَعِيرًا﴾** أي ويحرق بالنار نعوذُ بالله، فقوله: يصلى أي يحرق كما تطبخه على النار كذلك هذا الذي أخذ كتابه وراء ظهره يَصلى سعيراً.

وقد ذكر الله عز وجل الأخذ بالشمائل في قوله تعالى: **﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيهْ (١٩) إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلاقٍ حِسَابِيهْ (٢٠) فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ (٢١) فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ (٢٢) قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ (٢٣) كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الأَيَّامِ الْخَالِيَةِ (٢٤) وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي﴾** هذا السر في أنه بين الله لنا كيف يأخذ كتابه من وراء ظهره **﴿فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيهْ (٢٥) وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيهْ (٢٦) يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ (٢٧)﴾** يعني يا ليت الموتة السابقة كانت القاضية **﴿مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيهْ (٢٨) هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيهْ (٢٩)﴾**[1] هذا الخبر في سورة الحاقة التي ذكر الله فيها انقسام الناس في أخذ الكتاب ذكر الأخذ بالشمائل، وهنا ذكر موضع الأخذ وأنه يؤخذ من وراء الظهر.

من العلماء من قال: إن الناس في أخذ الكتاب ينقسمون إلى ثلاثة أقسام:

منهم من يأخذ كتابه بيمينه.

ومنهم من يأخذ كتابه بشماله.

ومنهم من يأخذ كتابه بشماله من وراء ظهره.

والذي يظهر والعلم عند الله أن الناس ينقسمون إلى قسمين:

قسم يأخذ كتابه بيمينه.

وقسم يأخذ كتابه بشماله من وراء ظهره.

فإنه لا تعارض بين ما في آية الحاقة وبين ما في آية الانشقاق، فإن آية الانشقاق أخبرت بأنه يأخذه من وراء ظهره، وآية الحاقة أخبرت بأنه يأخذه بشماله.

على كل حال هذا انقسام الناس في أخذ ما يكون من الكتب.

قال رحمه الله: (**والميزانُ له كِفَّتانِ ولِسانٌ**) هكذا جاء في بعض الآثار، ويشهد لهذا ما في حديث عبد الله بن عمرو في جامع الترمذي ومستدرك الحاكم حيث ذكر أن السجلات توضع في كفة والبطاقة التي كُتب فيها (لا إله إلا الله) توضع في الكفة الأخرى.

---

[1] سورة : الحاقة (١٩-٢٩).

قال رحمه الله: (**تُوزَنُ به**) أي بالميزان (**الأعمال**)[1] وذكرنا أن الوزن يكون للعمل ويكون للعامل ويكون للصحائف ﴿**فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ**﴾ أي مثاقيله وأعماله، ﴿**فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**﴾ اللهم اجعلنا منهم، ما معنى وصفهم في الآية بالمفلحين في قوله: ﴿**فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**﴾ المفلح هو من أمِن من المرهوب وأدرك المطلوب، فهؤلاء أمنوا مما يخافون ويرهبون، وأدركوا ما يطلبون ويرجون، فتحقق لهم الفلاح. ﴿**وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ**﴾ أي خفت وطاشت ولم يكن لها ثقل ترجح بالميزان ﴿**فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ**﴾، ﴿**فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ**﴾ هــٰذا في حق أهل الكفر، وهذا مما يستدل به على أن الكفار يحاسبون، وتوزن أعمالهم؛ لكن الوزن ليس وزن الموازنة بين الحسنات والسيئات؛ لأنهم كما ذكرنا لا حسنات لهم إنما توضع سيئاتهم ويتبين بها سوء حالهم ومنقلبهم.

ثم بعد ذلك قال المؤلف رحمه الله:

(**ولنبيِّنا محمدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حوْضٌ في القِيامَةِ ماؤُهُ أشَدُّ بياضًا مِنَ اللَّبَنِ، وأحْلَى مِنَ العَسَلِ، وأَبَارِيقُهُ عَدَدُ نُجُومِ السَّمَاءِ، مَنْ شَرِبَ مِنْهُ شَرْبَةً لَمْ يَظْمَأْ بعْدَهَا أبدًا**) .

يقول رحمه الله في بيان شيء مما يكون في ذلك الموقف: (**ولنبيِّنا محمدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حوْضٌ في القِيامَةِ**) الحوض هو مجتمع الماء، يقول: (**ولنبيِّنا محمدٍصَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حوْضٌ في القِيامَةِ**) أي في أرض المحشر، دليل ذلك أنّ الله جلّ وعلا قال لنبيّه: ﴿**إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ (١)**﴾[2] من الكوثر الذي أعطاه الله عز وجل رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذلك الحوض في ذلك الموقف، والأصل في معنى الكوثر الخير الكثير، والله عز وجل قد أعطى رسوله صلى الله عليه وسلم خيراً كثيراً في الدنيا والآخرة، من ذلك ما خصه به من الحوض المورود، وإنما وُصف الحوض بأنه حوض مورود لكثرة من يرده من الناس، وذلك أن حوض النبي صلى الله عليه وسلم أكثر أحواض الأنبياء وارداً، وقد جاء في جامع الترمذي من حديث سمُرة: ((**إن لكل نبي حوضاً**))[3] وأعظم أحواض الأنبياء حوض النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

---

(1) في نسخة : أعمال العباد.

(2) سورة : الكوثر (١).

(3) **سنن الترمذي**: كتاب صفة القيامة والرقائق والورع، باب ما جاء في صفة الحوض، حديث رقم (٢٤٤٣). قال الشيخ الألباني: صحيح.

ذكر المؤلف رحمه الله شيئاً من وصفه، والحوض كما هو ثابت بالكتاب ثابت بالسنة تواترت به سنة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأجمع عليه سلف الأمة وعلماؤها وأئمتها، وهو من أعظم ما خص الله به رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في أرض المحشر. (**مَاؤُهُ أَشَدُّ بياضًا مِنَ اللَّبَنِ، وأحْلَى مِنَ العَسَلِ، وأَبَارِيقُهُ عَدَدُ نُجُومِ السَّمَاءِ، مَنْ شَرِبَ مِنْهُ شَرْبَةً لَمْ يَظْمَأْ بعْدَهَا أبدًا**) . هكذا جاء وصف هذا الحوض عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الصحيحين من حديث أبي ذر وحديث ثوبان وغيرهما من الصحابة، فإن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أخبر بأن ((**الله قد أعطاه حوضاً ماؤه أشد بياضاً من اللبن، وريحه أطيب من المسك، وأحلى من العسل، وعدد كيزانه كعدد نجوم السماء من شرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبداً**))،[1] وجاء في رواية أبي ذر عند مسلم: ((**طعمه أحلى من العسل**))[2] ، وجاء أيضاً في رواية ثوبان. وجاء في رواية أبي ذر أيضاً أن: ((**طوله وعرضه سواء**))[3] طوله شهر وعرضه شهر.

هكذا جاءت الأحاديث في وصف هذا الحوض نسأل الله عز وجل أن نكون ممن يرد على رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيه.

(**مَنْ شَرِبَ مِنْهُ شَرْبَةً لَمْ يَظْمَأْ بعْدَهَا أبدًا**)، موضع هذا الحوض قبل الصراط فيما يظهر من سياق ما يكون في الموقف أنهم يشربون منه قبل أن يردوا الصراط.

ثم ذكر المؤلف رحمه الله الصراط قال:

(**والصِّراطُ حقٌّ يَجُوزُهُ الأَبْرارُ، ويَزِلُّ عنْهُ الفُجَّارُ**) .

طيب (**الصِّراطُ حقٌّ**) الصراط على وزن فِعَال بمعنى مفعول أي مصروط، والصراط في لغة العرب يطلق على الطريق الواسع الرحب الذي لا ضيق فيه.

ولذلك قال جماعة من العلماء: إن الصراط واسع؛ لأنه لا يطلق هذا الوصف إلا على ما اتسع.

وقال آخرون في وصفه ما جاءت به بعض الآثار من أنه أدق من الشعر وأحد من السيف.

---

([1]) **البخاري**: كتاب الرقاق، باب في الحوض، حديث رقم (٦٥٧٩).

**مسلم**: كتاب الفضائل، باب إثبات حوض نبينا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وصفاته، حديث رقم (٢٢٩٢).

([2]) **مسلم**: كتاب الفضائل، باب إثبات حوض نبينا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وصفاته، حديث رقم (٢٣٠٠).

([3]) **مسلم**: كتاب الفضائل، باب إثبات حوض نبينا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وصفاته، حديث رقم (٢٣٠٠). بلفظ: ((**عرضه مثل طوله**)).

ولا يعارض هذا وصفه بالصراط؛ لكونه صراطاً مسلوكاً يمر عليه الناس، فالصراط هو الجسر المضروب على ظهر جهنم، لا يدخل أحد الجنة إلا بالمرور عليه، فكل من صار إلى الجنة فقد مر على الصراط، والصراط إنما يمر عليه ويسير عليه أهل الإسلام دون غيرهم، أهل الإسلام أي كل من كان مسلماً سواء من هذه الملة أو من مِلل الأنبياء من قبل، فأهل الكفر لا يجوزون الصراط ولا يأتون إليه بل يُصار بهم إلى النار ابتداءً كما في حديث أبي سعيد وأبي موسى في الصحيحين أنه: ((**ينادى بالناس يوم القيامة فيقال: من كان يعبد شيئاً فليتبعه، فيتبع عُباد الشمس: الشمس، ويتبع عُباد القمر: القمر، ويتبع عُباد الطواغيت: الطواغيت ويصيرون إلى النار يلقون فيها**))[1] يُكبكبون فيها كما قال الله عز وجل: ﴿ **فَكُبْكِبُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ (٩٤) وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ (٩٥)**﴾[2] فيلقون فيها إلقاءً.

أما الصراط فإنه لا يجوزه؛ أي لا يسير عليه ولا يمر عليه إلا أهل الإسلام، وذلك أنه إذا سارت كل أمة تعبد شيئاً وراء ما تعبد، يبقى أهل الإسلام في مكانهم في أرض المحشر فيأتيهم الله عز وجل في الصورة التي يعرفون فيسجدون له، ثم بعد ذلك يجيزون الصراط على حسب أعمالهم.

يقول رحمه الله: (**والصِّراطُ حقٌّ يَجُوزُهُ**) أي يعبره وينفذ من عليه (**الأَبْرارُ، ويَزِلُّ عنْهُ الفُجَّارُ**) من أهل الإسلام، (**يَزِلُّ عنْهُ**) أي يسقط ويتباطأ سير أهل الفجور والفسق؛ لكنه ليس زللاً أو ليس سقوطاً مؤبداً إنما على حسب ما يكون من العمل، الناس في عبورهم على الصراط يتفاوتون كما وضّحت السنة: فمنهم كالبرق، ومنهم كالريح الشديدة، ومنهم كأجاويد الخيل، ومنهم كركاب الإبل، ومنهم من يمشي مشياً، ومنهم من يزحف زحفاً، ومنهم من تخطفه الكلاليب.

أسرعهم من يمر كلمح البصر، ثم بعد ذلك من كالبرق، ثم من كالريح الشديدة، ثم كأجاويد الخيل، ثم كأجاويد الإبل، ثم على حسب الترتيب، وهذا التفاوت في السير على الصراط ناشئ عن التفاوت في أي شيء؟ في العمل، قال الله عز وجل: ﴿**وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ (١٠)**﴾[3] فالسابقون إلى الطاعات

---

(1) **البخاري**: كتاب الرقاق، باب الصراط جسر جهنم، حديث رقم (٦٥٧٣).
**مسلم**: كتاب الإيمان، باب معرفة طريق الرؤية، حديث رقم (١٨٢).
(2) سورة : الشعراء (٩٤-٩٥).
(3) سورة : الواقعة (١٠).

والمبرّات والخيرات في الدنيا هم السابقون إلى فضل الله ورحمته والفوز بالنجاة من النار والفوز بالجنة نسأل الله أن نكون منهم.

طيب، نقف عند قوله: (**وَيَشْفَعُ نبيُّنا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيمَنْ دخلَ النّارَ**)، والله تعالى أعلم وصلى الله وسلم على نبينا محمد.

# شرح لمعة الاعتقاد

# الهادي إلى سبيل الرشاد

لموفق الدّين بن قدامة المقدسي رحمه الله


لفضيلة الشيخ

خالد بن عبد الله المصلح


## الدرس الخامس عشر

## بسم الله الرحمن الرحيم

قال الإمام موفق الدِّين أبو محمد عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي رحمه الله تعالىٰ:

**(وَيَشْفَعُ نبيُّنا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيمَنْ دخلَ النّارَ مِنْ أُمّتِهِ مِنْ أَهْلِ الكَبَائِرِ فَيَخْرُجونَ بِشفاعَتِهِ بَعْدَمَا احْتَرَقُوا وصاروا فَحْمًا وحَمًا، فيدخلونَ الجنَّةَ بشفاعَتِهِ.**

**ولسائِرِ الأنبياءِ والمؤمنين والملائكةِ شفاعاتٌ، قال تعالىٰ: ﴿وَلا يَشْفَعُونَ إِلا لِمَنِ ارْتَضَى وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ﴾.[1]**

**ولا تَنْفَعُ الكافِرَ شفاعةُ الشّافعين) .**

بسم الله الرحمـٰن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وأصلي وأسلم على نبينا محمد المبعوث رحمة للعالمين، وعلى آله وأصحابه ومن اتبع سنته بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فهذا المقطع من كلام المؤلف رحمه الله فيه بيان ما يكون من الشفاعة في ذلك اليوم العظيم، وقد تقدم لنا إحدى الشفاعات التي تكون في ذلك اليوم، وهي شفاعة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في أهل الموقف، شفاعته للناس جميعاً في أن يقضى بينهم، وأن يأتي الله جلّ وعلا لفصل القضاء.

من الشفاعات التي تكون يوم القيامة ما ذكره رحمه الله في قوله: **(وَيَشْفَعُ نبيُّنا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيمَنْ دخلَ النّارَ مِنْ أُمّتِهِ مِنْ أَهْلِ الكَبَائِرِ)**.

الشفاعة في اللغة: هي من الشفع، وهو جعل الفرد زوجاً، هذا معناها في اللغة، ولذلك تسمى الركعتان شفعاً لكونهما زوجاً، فالشِّفع هو جعل الفرد زوجاً، هذا من حيث اللغة.

وأما من حيث المعنى الاصطلاحي: فالشفاعة هي التوسط في جلب الخير أو دفع الضُّر، فتكون الشفاعة دائرة على أمرين: جلب المنفعة، ودفع البلاء.

فالشفاعة توسط لجلب المنفعة ولدفع البلاء.

وشفاعة نبينا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وشفاعة من يشفع يوم القيامة هي توسط لدى الله جل وعلا في أن يجلب الخير للمشفوع وأن يدفع عنه البلاء والشر.

---

[1] سورة : الأنبياء (٢٨).

وهذه الشفاعة التي تكون يوم القيامة أنواع ودرجات:

منها ما هو للمؤمنين جميعاً، وإن كانوا يتفاوتون في نصيبهم منها.

ومنها ما يكون للأنبياء.

ومنها ما يكون للنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعلى آله وَسَلَّمَ دون غيره.

فالشفاعة من حيث انفراد النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بها تنقسم إلى قسمين:

شفاعة خاصة به لا يشركه فيها غيره.

والنوع الثاني: شفاعة له ولغيره؛ يعني شفاعة تكون منه وتكون من غيره.

الشفاعة التي اختص بها صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آله وَسَلَّمَ دون غيره شفاعته في فصل القضاء، الشفاعة العظمى التي يشفع فيها النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عند الله جلّ وعلا في فصل القضاء وإراحة الناس من الموقف، وقد جاء خبر هذا في الصحيحين وغيرهما من المسانيد والسنن، وهو أمر مجمع عليه لا خلاف فيه بين أهل الإسلام.

النوع الثاني من الشفاعة التي اختص بها النبي صلى الله عليه وسلم: شفاعته في دخول الجنة، فإنه يشفع صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في دخول الجنة لأهلها؛ أي يشفع لأهل الجنة في دخولهم الجنة، وذلك كما في حديث أنس: ((**أنا أول شفيع في الجنة**)) والحديث في صحيح الإمام مسلم[1]. وقد جاء في حديث أبي هريرة في صحيح الإمام مسلم: ((**أن الناس يأتون إلى آدم، أن أهل الإيمان يأتون إلى آدم يطلبون منه الشفاعة في دخول الجنة، فيعتذر ويحيلهم إلى نوح، ونوح يحيلهم إلى إبراهيم، وإبراهيم يحيلهم إلى موسى، وموسى يحيلهم إلى عيسى، وعيسى يحيلهم إلى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**))[2] كالشفاعة التي تكون في أرض المحشر في فصل القضاء، على أن بعض العلماء يقول: هذه هي تلك؛ لأنه بعد ذكر هذه الشفاعة جاء ذكر الصراط وما يكون من أحوال الناس في مرورهم عليه؛ لكن مما لا شك فيه أن النبي صلى الله عليه وسلم هو الذي يشفع في دخول الجنة، ويدل لذلك ما في صحيح الإمام مسلم من أن النبي صلى الله عليه وسلم يقول: ((**آتي باب الجنة فأستفتح، فيقول الخازن: من؟ فأقول: محمد. فيقول: بك**

---

(1) **مسلم**: كتاب الإيمان، باب في قول النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((**أنا أول الناس يشفع في الجنة**))، حديث رقم (١٩٦).

(2) **مسلم**: كتاب الإيمان، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها، برقم: (١٩٥).

**أُمرت لا أفتح لأحد قبلك))**[1]. فدل ذلك على أنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آله وَسَلَّمَ شفيع لأهل الجنة في دخول الجنة. هذا ثاني ما اختص به صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آله وَسَلَّمَ من الشفاعات.

ثالث ما اختص به من الشفاعات: شفاعته في عمه أبي طالب أن يخفف الله عنه العذاب، وذلك كما في الصحيحين من حديث العباس بن عبد المطلب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أنه قال للنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يا رسول الله عمك أبو طالب كان يحوطك وينصرك ويغضب لك، ما أغنيت عنه أو ما نفعته؟ فقال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **((هو في ضحضاح من نار، ولولا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار))**[2]. والضحضاح هو الماء الرقيق على وجه الأرض الذي لا عِرق له، والأصل في الضحضاح هو ما لا قعر له، وقد جاء بيان ذلك أنه في ضحضاح من نار إلى كعبيه، فهو أهون أهل النار عذاباً ممن يخلد فيها، وهذا التخفيف لا يفيده من حيث الواقع؛ فإنه عليه نعلان من نار يغلي منهما دماغه كما قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ لكن هذا إكرام للنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في تخفيف العذاب وتهوينه.

فهذا النوع من الشفاعة خاص بالنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

إذاً هذه الأنواع الثلاثة هي مما اختص به النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آله وَسَلَّمَ.

هناك نوع من الشفاعة خاص بالأنبياء، يعني لا يشركهم فيه غيرهم وهو خاص بالرسل، وهو شفاعتهم عندما يجوزون الصراط، فإنه عندما يجوز الناس الصراط لا يتكلم أحد إلا الرسل، ودعواهم: اللهم سلم، سلم كما في الصحيحين، وفي رواية سهيل قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وعند ذلك حلت الشفاعة، وهذا النوع من الشفاعة هو شفاعة لأهل الإيمان؛ ولكنها شفاعة خاصة بالرسل، وما جاء في جامع الترمذي من حديث المغيرة بن شعبة أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: **((شعار المؤمنين على الصراط يوم القيامة: اللهم سلم سلم))**[3] فهذا لا يعارض ما جاء من أنه لا يتكلم أحد على الصراط إلا الرسل، فإن الرسل يصدق عليهم وصف الإيمان؛ بل هم أعلى المؤمنين إيماناً، فيكون شعار المؤمنين الذين يتكلمون وهم من؟ وهم الرسل دون غيرهم، فإنه لا يتكلم أحد من الناس على الصراط إلا

---

([1]) **مسلم**: كتاب الإيمان، باب في قول النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **((أنا أول الناس يشفع في الجنة))**، حديث رقم (١٩٧).

([2]) **البخاري**: كتاب مناقب الأنصار، باب قصة أبي طالب، حديث رقم (٣٨٨٣).

**مسلم**: كتاب الإيمان، باب شفاعة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأبي طالب والتخفيف عنه بسببه، حديث رقم (٢٠٩).

([3]) **سنن الترمذي**: كتاب صفة القيامة والرقائق والورع، باب ما جاء في شأن الصراط، حديث رقم (٢٤٣٢)، وقال: هـٰذا حديث غريب. قال الشيخ الألباني: ضعيف.

الرسل ودعواهم اللهم سلم سلم؛ لعظم الأمر وشدة الكرب، فهم يدعون لأنفسهم بالسلامة ويدعون لأممهم ومن آمن بهم بالسلامة.

هذه شفاعات الثلاث الأول منها خاصة بالنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والرابعة له ولسائر الرسل.

ويبقى شفاعات للنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ويشركه معه غيره من الرسل والأنبياء، وسائر أهل التقى من الصديقين والشهداء والصالحين.

وذلك كشفاعته في قوم استحقوا النار ألا يدخلوها، فيشفع في ألا يدخلوها.

وكذلك شفاعته وشفاعة أهل الإيمان في قوم استحقوا النار أن يخرجوا منها.

وكذلك شفاعته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وشفاعة أهل الإيمان في رفع درجات أهل الجنة.

هذه الأنواع الثلاثة من الشفاعات تكون للنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وتكون لغيره من المؤمنين؛ لكن نصيبه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وما يكون له من هذه الشفاعات، هل هو مثل غيره أو أعلى؟ الجواب: نصيبه منها أعلى من نصيب غيره، فحظه من هذه الشفاعات أعلى من حظ سائر الخلق.

وهذه الشفاعات كلها جاءت بها النصوص، أو أجمع عليها سلف الأمة وعلماؤها، وأثبتها أهل السنة والجماعة.

وخالف فيها ثلاث طوائف: المعتزلة والخوارج، فهؤلاء لا يثبتون الشفاعة للنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في أهل الكبائر؛ لأن من دخل النار عندهم فإنه لا يخرج منها أبداً.

ووافقهم في إنكار الشفاعة المرجئة الغلاة، فإنه لا يدخل عندهم النار مؤمن ولو ارتكب ما ارتكب من الموبقات والسيئات والأعمال القبيحة، فهؤلاء وافقوا الخوارج في نفي الشفاعة فقالوا: لا شفاعة، وما جاء من نصوص الشفاعة جعلوها في رفع الدرجات.

وهذا تكذيب لما دلت عليه النصوص من شفاعة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وغيره في أهل النار الذين استحقوها أو الذين دخلوها أن يخرجوا منها.

يقول المؤلف رحمه الله: (**وَيَشْفَعُ نبيُّنا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيمَنْ دخلَ النّارَ مِنْ أُمّتِهِ مِنْ أَهْلِ الكَبَائِرِ**) أي أهل الذنوب الكبيرة الموجبة لدخول النار، والكبائر جمع كبيرة، وهي كل ما جاءت النصوص بلعن صاحبه أو التبري منه أو ذكر عقوبة له في الدنيا أو في الآخرة، هـٰذا أقرب ما يقال في بيان ضابط وحد الكبيرة، فالكبيرة هي كل ما هدد الله عز وجل عليه بعقوبة، أو توعد عليه بعقوبة في الدنيا أو في الآخرة، أو جاء في حق صاحبه لعن أو براءة، فهٰؤلاء يستحقون النار إن لم يتوبوا وكانت

سيئاهم راجحة على حسناهم يستحقون النار أو استوت حسناهم وسيئاهم فإهم يستحقون النار، فإذا دخلوها ليمحصوا ويخلوا من هذه الأوزار والسيئات، قد يشفع فيهم النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أو يشفع فيهم من يشفع من أهل الإيمان.

وأحاديث الشفاعة أكثر من تحصر.

يقول رحمه الله: (**فَيَخْرُجونَ بِشفاعَتِهِ بَعْدَمَا احْتَرَقُوا وصاروا فَحْمًا وحَمَمًا**) يخرجون بعدما احترقوا وعُذبوا وعُوقبوا وصاروا إلى هذه الحال فحماً وحمماً من جرّاء الاحتراق بالنار والاصطلاء بها نسأل الله السلامة والعافية. فيُلقون في نهر الحياة في أفواه أبواب الجنة فينبتون فيها كما ينبت الحميل في جنبتي مجرى السيل فينتعشون ويحيون ويكونون من أهل الجنة، (**فيدخلونَ الجنَّةَ بشفاعَتِهِ**).

ثم قال رحمه الله: (**ولسائِرِ الأنبياءِ والمؤمنين والملائكةِ شفاعاتٌ**) وإنما قدّم شفاعة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –مع أن غيره يشركه في هذا النوع من الشفاعة– لكونه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أعظم الناس شفاعة وأعظم الخلق شفاعة، فشفاعته فوق كل شفاعة، وإلا فإنّ الأنبياء يشفعون، والمؤمنين يشفعون، والملائكة تشفع.

ثم قال رحمه الله: (**قال تعالىٰ: ﴿وَلا يَشْفَعُونَ إِلا لِمَنِ ارْتَضَى وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ﴾** [1]). هذا فيه بيان أن أهل الإيمان والملائكة يشفعون فقوله: **﴿وَلا يَشْفَعُونَ إِلا لِمَنِ ارْتَضَى وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ﴾** هذا في خبره عمن؟ عن الملائكة **﴿وَلا يَشْفَعُونَ إِلا لِمَنِ ارْتَضَى﴾** أي إلا لمن رضي الله جل وعلا عنه، وهذا فيه بيان شرط الشفاعة، وأنه لا يُشفع إلا فيمن رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، فمن لم يرض الله عنه لا تنفع فيه شفاعة **﴿وَلا يَشْفَعُونَ إِلا لِمَنِ ارْتَضَى وَهُم﴾** أي هؤلاء الشافعون وهم الملائكة **﴿مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ﴾**، وهذا يبين لنا أن شفاعة الشافعين لا تكون عن استحقاق للشفاعة، إنما هي فضل الله عز وجل على الشافع وعلى المشفوع.

ولذلك الشفاعة حقيقتها إكرام الله عز وجل للشافع في أن يخلّص المشفوع، فهي كرامة بسبب توحيده وإقراره بالإلهية، فيكرم الله عز وجل بالشفاعة الشافع، وينفع بها المشفوع؛ لكن لا يمكن أن تكون الشفاعة إلا بشرطين:

برضا الله جل وعلا عن الشافع.

---

[1] سورة : الأنبياء (٢٨).

وبرضاه الله جل وعلا عن المشفوع، وبإذنه.

﴿وَلا يَشْفَعُونَ إِلا لِمَنِ ارْتَضَى﴾، ﴿مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ﴾،[1] ﴿وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ لا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلا مِن بَعْدِ أَن يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَن يَشَاء وَيَرْضَى (٢٦)﴾.[2]

فتبين لنا من هذا أن الشفاعة لا تكون إلا لمن رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، ولمن أذن له جل وعلا في أن يشفع.

قال: (ولا تَنْفَعُ الكافِرَ شفاعةُ الشّافعين) قال الله تعالىٰ في ذلك: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ (٤٨)﴾.[3]

ونفى الله عز وجل الشفاعة في مواضع كثيرة من كتابه، والشفاعة المنفية في القرآن العظيم هي الشفاعة في أهل الشرك، أو الشفاعة التي يزعمها من يزعمها من المشركين.

فالشفاعة المنفية هي شفاعة الشرك، أو الشفاعة التي يظنها ويتوهمها من لم يفهم كلام الله وكلام رسوله من أن أحداً يشفع دون إذنه ورضاه.

وقوله رحمه الله: (ولا تَنْفَعُ الكافِرَ شفاعةُ الشّافعين) موافقة لقوله تعالى: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ (٤٨)﴾.[4] فنفى الله عز وجل عن أهل الكفر نفع الشفاعة، وهل هذا نفي للنفع بالكلية؟ الجواب: هذا هو الأصل؛ لكن دلت السنة على أن من الكفار من ينتفع بالشفاعة؛ لكنه ليس نفعاً تامّاً، إنما هو نوع تخفيف:

من ذلك الشفاعة الخاصة بالنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في عمه أبي طالب، وقد وسع بعض أهل العلم الدائرة فجعلها شفاعة تشمل كل من نصر النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الكفار، ومعلوم أن الكفر درجات، وليس على مرتبة واحدة، فكما أن الإيمان شُعب ودرجات، فكذلك الكفر أعمال ويتفاوت أهله فيه، قال الله عز وجل: ﴿إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ﴾[5] فجعل النسيء وهو تأخير الأشهر الحرم وتقديمها والتلاعب بها مما يزيد به كفر الكافر، والنار معلوم أنها دركات، وهذا التفاوت في دركات النار

---

[1] سورة : البقرة (٢٥٥).
[2] سورة : النجم (٢٦).
[3] سورة : المدثر (٤٨).
[4] سورة : المدثر (٤٨).
[5] سورة : التوبة (٣٧).

إنها هو لتفاوت درجات الكفر، فالكفار لا تنفعهم شفاعة الشافعين في رفع العذاب وإزالته، إنما تنفعهم في تخفيفه.

وذلك في عم النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو واضح، حيث بيّن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نفعه عمَّه حيث قال: ((إنه في ضحضاح من نار، ولولا أنا لكان في الدرْك الأسفل من النار))، والحديث في الصحيحين.[1]

ويدل أيضاً لهذا التخفيف حديث الشفاعة العظمى، فإن الناس يجتمعون يوم القيامة ويأتون إلى الأنبياء طالبين منهم التخفيف والشفاعة عند رب العالمين في فصل القضاء، هذه الشفاعة هل الذي يطلبها الكفار أو أهل الإيمان؟ كثير من النصوص جاءت مطلقة: ((أن الناس يأتون إلى آدم))، والناس يصدق عليهم المسلم والكافر، وفي بعض روايات الحديث عند الإمام مسلم في صحيحه قال: ((فيجتمع المؤمنون فيأتون آدم)) فيكون الطالب للشفاعة هم أهل الإيمان؛ لكن حتى على هـٰذه الرواية فإن طلب الشفاعة فيه نوع شفاعة للكفار، لكنها شفاعة تخفيف وليست شفاعة رفع؛ لأن ما يُقبلون إليه أعظم وأشد مما أدبروا عنه.

والمراد أن قوله تعالى: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ (٤٨)﴾.[2] هل يدخله تخصيص أو لا؟ لا يدخله تخصيص؛ لأن تخفيف العذاب لا ينتفع به الكافر انتفاعاً تامّاً، وإنما يحصل النفع الكامل في أي شيء؟ في رفع العذاب وإزالته، فأبو طالب مع عظيم نفع النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ له بهذه الشفاعة حيث إنه صار أهون أهل النار عذاباً، هل انتفع بهذا؟ لا، يرى أنه أعظم أهل النار عذاباً؛ يرى أنه أشدهم عذاباً، وهذا صدق قول الله تعالىٰ: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ (٤٨)﴾.[3]

قال رحمه الله بعد ذلك:

**(والجنَّةُ والنّارُ مخلوقتانِ لا تفْنيانِ، فالجنَّةُ مأوى أوليائه، والنّارُ عِقابٌ لأعدائِهِ، وأهلُ الجنَّةِ فيها مُخَلَّدونَ. ﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ (٧٤) لا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ﴾[4]).**

---

([1]) تم تخريجه صفحة (٢).

([2]) سورة : المدثر (٤٨).

([3]) سورة : المدثر (٤٨).

([4]) سورة : الزخرف (٧٤-٧٥).

يقول رحمه الله: (**والجنَّةُ والنّارُ مخلوقتانِ لا تفْنيانِ**) الجنة هي دار النعيم الكامل التي أعدها الله عز وجل لعباده الصالحين، والنار هي دار العذاب التام التي أعدها الله عز وجل للكافرين والعصاة.

يقول المؤلف رحمه الله: (**الجنَّةُ والنّارُ مخلوقتانِ**) يعني الآن، وهذا هو الذي عليه عقد أهل السنة والجماعة، أجمع عليه سلف الأمة ودل عليه الكتاب والسنة، ففي كتاب الله عز وجل يقول في الجنة: ﴿أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ (١٣٣)﴾،[1] ويقول عن النار: ﴿أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾[2] ويقول عن النار: ﴿ إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا (٢١)﴾،[3] ولا يكون هذا إلا فيما أُعد ووجد.

وأما الأحاديث فهي أكثر من أن تحصر، من أبرزها ما رواه الإمام مسلم: ((**أن الله لما خلق الجنة والنار قال لجبريل: اذهب فانظر إلى الجنة وما أعددت لأهلها فيها، فيأتي إلى الجنة فينظر إليها فيقول: يا رب لا يسمع بها أحد إلا دخلها، ثم توضع المكاره حول الجنة، فيقول الله عز وجل: اذهب فانظر إليها وإلى ما أعددت لأهلها فيها، فينظر فيأتي فيقول: إني خشيت ألا يدخلها أحد لما حُفت به من المكاره. ثم يرسله الله إلى النار، لينظر إليها وإلى ما أعد لأهلها فيها، فيقول جبريل عليه السلام للرب جلّ وعلا: إنه لا يسمع بها أحد فيدخلها، فتوضع الشهوات وتُحف بالشهوات فيأتي إليها فينظر إليها فيقول: إني خشيت ألا ينجو منها أحد لما حُفت به من الشهوات**))[4]. الشاهد في هذا الحديث قول النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((**لما خلق الله الجنة والنار**)). فالجنة وما فيها وما أعده الله لأهلها موجود، والأدلة على هذا في السنة مثل ما ذكرت أكثر من أن تحصر، منها ما رواه أنس وعائشة وابن عباس في الصحيح من قول النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في صلاة الكسوف: ((**رأيت في مقامي هذا الجنة**

---

[1] سورة : آل عمران (١٣٣).

[2] سورة : البقرة (٢٤)، آل عمران (١٣١).

[3] سورة : النبأ (٢١).

[4] **سنن الترمذي**: كتاب صفة الجنة، باب ما جاء حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات، حديث رقم (٢٥٦٠). وقال: حسن صحيح.

**سنن أبي داوود**: كتاب السنة، باب في خلق الجنة والنار، حديث رقم (٤٧٤٤).

**سنن النسائي**: كتاب الأيمان والنذور، باب الحلف بعزة الله تعالىٰ، حديث رقم (٣٧٦٣).

قال **الشيخ الألباني**: حسن صحيح.

وهـٰذا الحديث بهذا الطول ليس في مسلم؛ بل الذي في مسلم: ((**حفت الجنة بالمكاره، وحفت النار بالشهوات**)). وهو في البخاري أيضاً.

**والنار))**[1]. وهم النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يتناول قِطفاً من الجنة، ولما رأى النار يحطم بعضها بعضاً تأخر.

فالأدلة على وجود الجنة والنار في الكتاب والسنة كثيرة، وعليه أجمع أهل الإسلام. أهل الاعتزال الذين بلاهم الله بمحاكمة النصوص بعقولهم قالوا: ما فائدة وجود الجنة والنار الآن؟ قالوا: لا فائدة، عبث، والله متره عن العبث، فالجنة والنار ليستا موجودتين، فنفوا وجود الجنة والنار، وقالوا: يخلقهما الله عند الحاجة إليهما، وكذبوا النصوص الدالة على وجود الجنة والنار؛ لكن هذا التكذيب هل معهم فيه نص؟ هل لهم فيه بينة؟ الجواب: لا، إنما معهم عقول كليلة، ومعهم بصائر حسيرة، حاكموا وحكموا بها على النصوص، فأبطلوا ما دلت عليه من وجود الجنة والنار.

فأدلة ما ذكر المؤلف رحمه الله من أن الجنة والنار مخلوقتان، واضحة وظاهرة يدركها كل من قرأ كتاب الله عز وجل، أو سمع ما صح عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في ذلك.

ثم قال المؤلف في مسألة أخرى: (**لا تفْنيانِ**) أي لا تبيدان ولا تذهبان ولا تضمحلان؛ بل هما باقيتان، وهذا الذي عليه جمهور أهل العلم من السلف والخلف، والأدلة عليه دالة.

واعلم أنه لا خلاف بين أهل السنة وأهل الإسلام في بقاء الجنة، وأنها لا تفنى، وإنما الخلاف الذي وقع بين أهل السنة في فناء النار: فذهب جماعة من السلف والخلف من أهل السنة والجماعة إلى أن النار تفنى، ونقل هذا القول عن جماعة من الصحابة منهم عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وأبو هريرة وغيرهما، ونصره ابن القيم.

والذي عليه جمهور السلف والخلف أن النار باقية، فإن الله سبحانه وتعالى ذكر عذاب النار وذكر خلوده، وذكر تأبيده في ثلاثة مواضع من كتابة، فما ورد يوهم انقطاع عذاب النار يجب حمله على المحكم الدال على بقائه وتأبيده.

فمثلاً قول الله تعالىٰ: ﴿**فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ (١٠٦) خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ إِلاَّ مَا شَاء رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ (١٠٧)**﴾،[1] قالوا: إن قوله تعالىٰ: ﴿**إِلاَّ مَا شَاء رَبُّكَ**﴾ يدل على عدم الخلود.

---

(1) **البخاري**: كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب الاقتداء بسنن الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حديث رقم (٧٢٨٧).

**مسلم**: كتاب صلاة الكسوف، باب ما عرض على النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في صلاة الكسوف من أمر الجنة والنار، حديث رقم (٩٠٥). وغيره من أحاديث الباب.

وكذلك قوله تعالىٰ: ﴿ لابِثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا (٢٣)﴾[٢] أي مدداً متطاولة، قالوا: مُدد متطاولة تنتهي.

وما أشبه ذلك من النصوص التي ليس فها ذكر التأبيد يجب حملها على ما جاء من النصوص الدالة على أنّ عذاب النار ممتد مؤبد لا ينقطع. وقد ذكر الله ذلك في ثلاثة مواضع من كتابه:

في سورة النساء في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا لَمْ يَكُنِ اللّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلاَ لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقاً (١٦٨) إِلاَّ طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللّهِ يَسِيرًا (١٦٩)﴾[٣] ولا يمكن أن يقال: هذا لا خلود فيه، فإن الله ذكر الخلود والتأبيد.

والموضع الثاني في سورة الأحزاب في قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا (٦٤) خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾.[٤]

والموضع الثالث في سورة الجن في قول الله تعالىٰ: ﴿وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا (٢٣)﴾.[٥]

فهذه المواضع الثلاثة التي ذُكر فيها التأبيد تقضي على غيرها من النصوص التي قد يتوهم منها أو يفهم منها أن النار تفنى، فعلم بهذا صحة ما ذهب إليه المؤلف رحمه الله وذكره في عقد أهل والجماعة حيث قال: (**لا تفْنيانِ**)، وهذا هو الصحيح الذي نؤمن به ونجزم بأنه الصواب؛ لدلالة الكتاب والسنة.

لكن هل هذه المسألة يُبدع فيها المخالف مسألة فناء النار؟

الجواب: لا؛ لأنه قد نُقل عن بعض سلف الأمة هذا القول، فهو من المسائل التي وقع فيها الخلاف بين أهل السنة.

الذي انفرد بقول:إن الجنة تفنى هو الجهم بن صفوان وتبعه عليه من تبعه، وهو قول مُحدث لم يسبق إليه، وليس به قائل لا من السلف ولا من الخلف، فيميز بين فناء النار وفناء الجنة.

---

=

([١]) سورة : هود (١٠٦-١٠٧).

([٢]) سورة : النبأ (٢٣).

([٣]) سورة : النساء (١٦٨-١٦٩).

([٤]) سورة : الأحزاب (٦٤-٦٥).

([٥]) سورة : الجن (٢٣).

يقول رحمه الله: (**فالجنَّةُ مأوى أوليائه**) (**مأوى**) أي مصير ومآل أوليائه، والأولياء هم أهل التقوى، قال الله تعالىٰ: ﴿**أَلا إِنَّ أَوْلِيَاء اللّهِ لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ (٦٢) الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ (٦٣)**﴾[1]. فكل من حقق الإيمان وكل من اتصف بالتقوى فإنه من أولياء الله عز وجل الموعودين بالجنة، كما قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كما في الحديث الذي في الصحيحين: ((**أعددت لعبادي**)) أي في الجنة ((**لعبادي الصالحين: ما لا عين رأت ولا أُذن سمعت ولا خطر على قلب بشر**))[2]. فالأولياء هم الصالحون الذين أصلحوا بواطنهم وظواهرهم. (**والنّارُ عِقابٌ لأعدائِهِ** ) وهم كل من حادّ الله من أهل الكفر وأهل المعصية؛ ولكنها متفاوتة، فالنار دركات: منها ما يكون للعصاة، ومنها ما يكون لأهل الكفر.

ثم قال رحمه الله: (**وأهلُ الجنَّةِ فيها مُخَلَّدونَ**) وسكت رحمه الله عن ذكر أهل النار؛ لكنه أجاب عن حال أهل النار بالآية، والسبب –والعلم عند الله– أن أهل الجنة لا خلاف في أنهم مخلدون كما ذكرنا، فلا قائل لا من السلف ولا من الخلف بأن أهل الجنة لا يخلّدون، لكن لما كان الخلاف في أهل النار، ماذا قال المؤلف رحمه الله؟ قال: ﴿**إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ (٧٤) لا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ (٧٥)**﴾[3] فأتى بالآية الدالة على تخليد أهل النار؛ لأنه قد وقع الخلاف في خلود أهل النار هل يخلدون أو لا، فأتى بالآية الدالة على بقائهم واستمرارهم.

والله تعالى أعلم وصلى الله وسلم على نبينا محمد.

---

(١) سورة : يونس (٦٢-٦٣).

(٢) **البخاري**: كتاب بدء الخلق، باب ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة، حديث رقم (٣٢٤٤).

**مسلم**: كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، حديث رقم (٢٨٢٤).

(٣) سورة : الزخرف (٧٤-٧٥).

# شرح لمعة الاعتقاد

# الهادي إلى سبيل الرشاد

لموفق الدّين بن قدامة المقدسي رحمه الله

لفضيلة الشيخ

خالد بن عبد الله المصلح

الدرس السادس عشر

www.almosleh.com

**بسم الله الرحمن الرحيم**

قال الإمام موفق الدِّين أبو محمد عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي رحمه الله تعالى[1]:

**(ويُؤْتَى بالموْتِ في صورَةِ كَبْشٍ أَمْلَحَ، فيُذبَحُ بين الجنَّةِ والنّارِ، ثم يُقال: "يا أهلَ الجنَّةِ خلودٌ ولا موْتَ، ويا أَهْلَ النَّارِ خلودٌ ولا موْتَ").**

بسم الله الرحمـٰـن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وأصلي وأسلم على المبعوث رحمة للعالمين نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه ومن اتبع سنته بإحسان إلى يوم الدين.

تقدم الكلام على أول هذا البحث في قول المؤلف رحمه الله: (**والجنَّةُ والنّارُ مخلوقتانِ لا تفْنيانِ**). صلة هذا قال رحمه الله: (**ويُؤْتَى بالموْتِ في صورَةِ كَبْشٍ أَمْلَحَ**) ويؤتى بالموت وهو المعروف الذي هو مفارقة الحياة، والموت خلقٌ من خلق الله عز وجل، هذا هو الصحيح أنه خلقٌ من خلق الله عز وجل، ولذلك يؤتى به في صورة كبش أملح، ودليل أن الموت خلقٌ من خلق الله عز وجل قول الله جلّ وعلا: ﴿**الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً**﴾[1]. فالموت ليس مجرّد العدم، إذ العدم ليس بشيء، إنما الموت خلق من خلق الله جلّ وعلا، وهو مفارقة الحياة. يؤتى به يوم القيامة إذا استقر كل أهل دار في دارهم، إذا استقر أهل الجنة في الجنة واستقر أهل النار في النار –نعوذُ بالله من الخسران–، (**ويُؤْتَى بالموْتِ في صورَةِ كَبْشٍ أَمْلَحَ**) أي يمثله الله عز وجل على صورة كبشٍ أملح، فيذبح بين الجنة والنار على مرأى من أهل الجنة وأهل النار، كل يرى الموت ويعرفه؛ لأنه قد ذاقه: ﴿**كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ الْمَوْتِ**﴾،[2] فإذا جاء لا يؤتى به على صورة منكّرة غير معروفة، مجهولة للمخاطبين؛ بل هي صورة معروفة معلومة لمن يُدعون ويخاطبون من أهل الجنة وأهل النار.

(**فيُذبَحُ بين الجنَّةِ والنّارِ**) أي يذبح وينتهي فلا موت بعد هذا الذبح،ولذلك (**ثم يُقال: "يا أهلَ الجنَّةِ خلودٌ ولا موْتَ، ويا أَهْلَ النَّارِ خلودٌ ولا موْتَ"**).كل هذا خبرٌ جاء في الصحيح: ((**أنه يؤتى بالموت وينادى: يا أهل الجنة! فينظرون فيرون الموت على صورة كبش أملح، فيذبح فيقال: يا أهل الجنة**

---

([1]) سورة : الملك (٢).

([2]) سورة : آل عمران (١٨٥)، الأنبياء (٣٥).

**خلودٌ فلا موت، ويا أهل النار خلودٌ فلا موت))**[1]. وهذا يدل على بقاء كل فرقة من هاتين فيما هي فيه إلى أبد الآباد.

وقد تقدم أن خلود الجنة لا خلاف فيه بين أهل العلم، وأن أول من أحدث القول بفناء الجنة هو الجهم بن صفوان، وهو قول مبتدع أنكره عليه أهل الإسلام.

وأما خلود النار ففيه قولان لأهل العلم من السلف والخلف:

جمهور العلماء من السلف والخلف على أن النار باقية خالدة لا تتحول ولا تفنى.

والقول الثاني: أنها تفنى، وهو قول لجماعة من الصحابة ومن بعدهم من سلف الأمة وخلفها.

والصحيح من هذين القولين بقاء النار وأنها لا تفنى، كما دل على ذلك ثلاث آيات في كتاب الله عز وجل في ثلاثة مواضع ذكرناها في الدرس السابق:

الأول: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا لَمْ يَكُنِ اللّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلاَ لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقاً (١٦٨) إِلاَّ طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللّهِ يَسِيرًا (١٦٩)﴾[2]. الشاهد في الآية ذكر التأبيد، وإلا ذكر التخليد في مواضع كثيرة؛ لكن الكلام على التأبيد وهو أنه لا نهاية له.

طيب الموضع الثاني: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا (٦٤) خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾.[3] هذا الموضع الثاني.

الموضع الثالث في سورة الجن: ﴿وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا (٢٣)﴾.[4]

هذه ثلاثة مواضع في كلام الله عز وجل تدل على صحة ما ذهب إليه جمهور العلماء من السلف والخلف من أن النار باقية لا تفنى، نسأل الله السلامة منها.

**سؤال**: أمّا أنت يا أخي الذي كنت تسأل قبل قليل تقول: كيف الصحابة فهموا؟

---

([1]) **البخاري**: كتاب التفسير، باب قوله: ﴿**وأنذرهم يوم الحسرة**﴾[مريم:٣٩]، حديث رقم (٤٧٣٠).

**مسلم**: كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضعفاء، حديث رقم (٢٨٤٩).

([2]) سورة : النساء (١٦٨-١٦٩).

([3]) سورة : الأحزاب (٦٤-٦٥).

([4]) سورة : الجن (٢٣).

الأفهام تختلف؛ لكن العبرة بفهم الغالب العام الذي عليه جمهور الصحابة ومن بعدهم من سلف الأمة وخلفها على أن النار باقية.

ماذا قالوا؟ ما ندري ماذا قالوا؛ لكنهم قد تكون خفيت عليهم هذه الآيات؛ يعني بمعنى ما استحضروها، وقد يكون أجابوا عليها بما في الآيات الأخرى، أن التأبيد طول المدة وليس التخليد المطلق، وهذه مسألة أطال العلماء البحث فيها؛ لكن الكلام على دلالات النصوص، لا ماذا قال المخالف فيها؛ لأن المخالف قد يكون خفي عليه النص لما تكلم بالكلام، قد يكون عنده مانع من القول بدلالة آية أخرى.

المراد أننا بالنظر إلى الأدلة تبين –فيما يظهر أنه الصواب– أن النار خالدة لا تفنى كما دلت عليه هذه النصوص.

لكن هل يبدّع من قال: إن النار تفنى؟ الجواب: لا؛ الذي يبدّع الذي يقول: إن الجنة تفنى، أما النار ففيها خلاف بين العلماء كما سمعتم. نعم.

(**فصل**

**ومحمدٌ رسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خاتَمُ النَّبِيِّينَ وسَيِّدُ المرسلينَ، لا يصحُّ إيمانُ عبْدٍ حَتّى يُؤمِنَ برسالته، ويشهَدَ بنبوتِه، ولا يُقْضَى بيْنَ النَّاسِ في يوم القيامَةِ إلاَّ بشفاعَتِهِ، ولاَ يَدْخُلُ الجنّةَ أُمّةٌ إلاّ بعْدَ دُخولِ أُمّتِه.**

**صاحِبُ لِواءِ الحمْدِ، والمقامِ المحمودِ، والحوْضِ المَوْرودِ، وهوَ إمامُ النَّبِيّينَ، وخَطِيبُهم، وصاحِبُ شفاعتِهم، أمّتُه خيْرُ الأممِ**) .

طيب، هذا الفصل ذكر المؤلف رحمه الله في أوله ما خص الله به محمداً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعلى آله وَسَلَّمَ من الفضائل والخصائص.

والنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أعطاه الله جلّ وعلا من الخصائص والفضائل ما لم يعط نبياً غيره، كما في حديث جابر في الصحيحين: ((**أُعطيت خمساً لم يعطهن أحد قبلي**)). فله من الخصائص والفضائل ما ليس لغيره، وهذه الخصائص منها ما يتعلّق به، ومنها ما هو له ولأمته، ومنها ما هو في الدنيا ومنها ما هو في الآخرة.

هذه الخصائص التي مُيِّز بها رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

منها ما هو له خاصة مثل: ((**وبعثت للناس عامة**)) بعثه لعامة الناس.

ومنها ما هو له ولأمته، كقوله: ((**نصرت بالرعب**)) على قول، وأوضح من هذا: ((**جُعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً**)).[1]

ومنها ما هو في الدنيا، كهذه التي ذكرناها.

ومنها ما هو في الآخرة، كشفاعته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الموقف، فهذا له دون غيره.

وكذلك أن أمته تدخل الجنة قبل الأمم، وهذا له ولأمته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آله وَسَلَّمَ، فما خصه الله به شيء كثير، وما شاركه فيه غيره من الأنبياء له فيه –في غالب موارده– التقدم، وإن كان في بعض الخصائص يتقدم عليه غيره، لكن هـٰذا التقدم لا يعني أنه أفضل منه؛ بل هو أفضل الخلق صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كما قال في حديث أبي هريرة وغيره: ((**أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر**))[2]. وسيادته يوم القيامة تدل على سيادته في الدنيا ولا شك؛ لأنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا قدمه الله في يوم الجزاء فهو المقدم في هذه الدنيا؛ لأن التقديم يوم القيامة دليل على التقدم في الدنيا، كما قال الله جلّ وعلا: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ (١٠)﴾.[3]

قال رحمه الله: (**ومحمدٌ رسولُ اللهِ**) أي أرسله الله جلّ وعلا، وأدلة هذا كثيرة جدّاً من الكتاب ومن السنة ومن الشواهد الدالة على صدقه والآيات والبراهين الدالة على صحة رسالته.

ودلائل النبوة كثيرة جدّاً لا تنحصر في قول الله ولا في قول النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ بل دلائل صدق نبوة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ منها ما هو حالي، ومنها ما هو في خبره، ومنها ما هو في أسماء الله عز وجل وصفاته، فدلائل النبوة متعددة كثيرة، كلها تدل على صحة رسالة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأنه رسول رب العالمين صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آله وَسَلَّمَ، أرسله الله عز وجل إلى الناس عامة.

---

([1]) **البخاري**: كتاب الصلاة، باب قول النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((**جعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً**))، حديث رقم (٤٣٨).
**مسلم**: كتاب المساجد ومواضع الصلاة، رقم (٥٢١).

([2]) **سنن ابن ماجه**: كتاب الزهد، باب ذكر الشفاعة، حديث رقم (٤٣٠٨). قال الشيخ الألباني: صحيح. وفي صحيح مسلم: كتاب الفضائل، باب فضل نسب النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حديث رقم (٢٢٧٨). دون ((**ولا فخر**)).

([3]) سورة : الواقعة (١٠).

يقول المؤلف رحمه الله: (**خاتَمُ النَّبيِّينَ**) أي ختم الله به النبيين، وقد جاء هذا في قول الله تعالى: ﴿ **مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ**﴾،[١] فختم الله به الرسالات.

(**خاتَمُ**) لها وجهان: خَاتَم وخاتِم.

الخَاتِم هو الذي ختمهم وأُغلقت به الرسالة.

والخاتَم هو الذي يلبس فيتجمّل به ويتزين به، رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هو جمال الأنبياء وزينتهم وإمامهم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهو خاتمهم أي هو الذي ختم الله عز وجل به الرسالات، فلا نبي بعد النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آله وَسَلَّمَ.

وخاتَم المرسلين أيضاً؟ الجواب: نعم، خاتَم المرسلين، إذا كان خاتَم النبيين فهو خاتَم المرسلين؛ لأن كل رسول نبي، فإذا كان قد ختم الله به النبوات فإنه ختم به الرسالات صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آله وَسَلَّمَ.

قال: (**وسَيِّدُ المرسلينَ**) أي صاحب الشرف والعلو والمقام الرفيع فيهم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولا ريب أنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سيد المرسلين، ويدلك لذلك تدافع أولي العزم من الرسل للشفاعة في ذلك الموقف، فإنهم يتدافعونها وتصير إليه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيقول: ((**أنا لها، أنا لها**))[٢]. فهذا يدل على سيادته وشرفه وعلو مكانته ورفيع منـــزلته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آله وَسَلَّمَ.

وقد قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كما في صحيح الإمام مسلم من حديث أبي هريرة: ((**أنا سيد ولد آدم يوم القيامة**))[٣]. فهو سيد كل من ولده آدم، فسيادته لولد آدم تدل على سيادته للمرسلين؛ لأن المرسلين جميعهم من ولد آدم.

قال رحمه الله: (**لا يصحُّ إيمانُ عبْدٍ حَتّى يُؤمِنَ برسالته**) ولا شك أنه لا يصح إيمان عبد حتى يؤمن بأن محمد بن عبد الله بن عبد المطلب القرشي الهاشمي رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بعثه الله بين يدي الساعة بالحق بشيراً ونذيراً، من لم يؤمن بهذا فإنه لا يصح له إيمان، ولا يثبت له عقد، ولا يستقر له في الإسلام قدم، ولذلك مفتاح الدخول إلى هذه الشريعة وهذا الدين أن يقول: أشهد أن لا إله إلا الله وأن

---

([١]) سورة : الأحزاب (٤٠).

([٢]) **البخاري**: كتاب التوحيد، باب كلام الرب عز وجل يوم القيامة مع الأنبياء وغيرهم، برقم: (٧٥١٠).

**مسلم**: كتاب الإيمان، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها، برقم: (١٩٣).

([٣]) تم تخريجه في الصفحة (٢).

محمداً رسول الله: ((**أُمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأني رسول الله**))[1]. فمن لم يشهد بذلك فإنه لم يتحقق له إسلام ولا إيمان.

يقول رحمه الله: (**ويشهَدَ بنبوتِه**) هذا مكمل للأول ودليله دليل السابق.

قال رحمه الله: (**ولا يُقْضَى بيْنَ النَّاسِ في القيامَةِ إلاَّ بشفاعَتِهِ**). وهذا قد جاءت به النصوص عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، منها ما في الصحيحين من حديث أبي سعيد وحديث أبي هريرة من أن الأنبياء يتدافعون الشفاعة، إذا جاءهم الناس يطلبونهم أن يشفعوا لهم، فتصير إلى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيقول: ((**أنا لها، أنا لها. فيذهب يخر تحت العرش، ثم يقول الله له: ارفع رأسك، وقل يُسمع، واشفع تُشفع**))[2]. فيشفع النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آله وَسَلَّمَ في فصل القضاء بين الناس؛ أي أن يأتي الله عز وجل لفصل القضاء والحكم بين الناس، فإذا شفع صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جاء الرب جلّ وعلا للفصل بين الناس فيما يكون بينهم وبيان جزائهم وأجرهم وأعمالهم.

هـٰذا معنى قوله رحمه الله: (**ولا يُقْضَى بيْنَ النَّاسِ في القيامَةِ إلاَّ بشفاعَتِهِ**) أي بتوسطه لدى الله جلّ وعلا أن يأتي لفصل القضاء، وهذا مما لا شك فيه، ثبتت به السنة، وجاءت الإشارة إليه في قول الله تعالىٰ: ﴿**وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَى أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا (٧٩)**﴾[3]. فالمقام المحمود جاء بيانه في سنة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأنه مقامه بين الناس يشفع لهم في فصل القضاء، فإنه يحمده على هذا كل أحد.

قال رحمه الله: (**ولاَ يَدْخُلُ الجنّةَ أُمّةٌ إلاّ بعْدَ دُخولِ أُمّتِه**)، (**ولاَ يَدْخُلُ الجنّةَ**) الجنة قلنا: إنها دار النعيم الكامل التي أعد الله فيها لعباده الصالحين ما لا عين رأت ولا أُذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، نسأل الله أن نكون من أهلها.

---

(1) **البخاري**: كتاب الإيمان، باب ﴿**فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم**﴾[التوبة:٥]، حديث رقم (٢٥).
**مسلم**: كتاب الإيمان، باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا: لا إلـٰه إلا الله محمد رسول الله..، حديث رقم (٢٢).

(2) تم تخريجه في الصفحة (٢).

(3) سورة : الإسراء (٧٩).

هذه الدار لا يدخلها أحد قبل أمة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقد قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((**نحن الآخرون الأولون يوم القيامة**))[1] الآخرون في الدنيا الأولون يوم القيامة، فإن أول الأمم دخولاً أمة الإسلام، أمة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مع كونها آخر الأمم من حيث الزمن والتاريخ في الحياة الدنيا؛ لكن هذا التأخر الزمني لم يمنع أن يسبقوا الأمم قبلهم في دخول الجنة؛ وذلك لما خصهم الله به من كمال الشريعة وتمام العبودية لله عز وجل، ويدل لهذا أن أول شفيع في الجنة هو النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أشفق ما يكون على أمته؛ ولذلك يشفع في أمته.

فالأحاديث التي جاءت في ذكر الشفاعة العظمى ومجيء الناس له -أي للنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لطلب الشفاعة- إذا نظرت إلى سياقها في أكثر ما ورد في الصحيحين وفي غيرهما من دواوين السنة تجد أنه إذا جاءه الناس لطلب فصل القضاء فيشفع لدى الله عز وجل، يذكر أهل العلم شفاعة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في أمته ((**فأقول: أمتي أمتي. فيقول الله عز وجل: أخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان**))[2]. فهذه الشفاعة التي ذكرها أهل العلم في دواوين السنة ليست هي الشفاعة العظمى التي هي المقام المحمود، إنما هي شفاعته في أمته في بعض من دخل النار أن يخرج منها أو من استحق النار أن يدخلها أن لا يدخلها، والسبب في ذكر هذا دون ذكر الشفاعة العظمى في أكثر هذه الأحاديث أنّ الشفاعة العظمى لم ينكرها الخوارج و لم تنكرها المعتزلة و لم ينكرها منكرو الشفاعة، إنما أنكروا وناقشوا وخالفوا في شفاعة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في أهل الكبائر، أما شفاعته في الأمم لفصل القضاء فإنهم لم ينكروا ذلك و لم يخالفوا فيه.

المراد أن هـٰذه الأمة هي أول الأمم دخولاً الجنة، وهـٰذا معنى قوله رحمه الله: (**ولاَ يَدْخُلُ الجنّةَ أُمّةٌ إلاّ بعْدَ دُخولِ أُمّتِه**).

ثم ذكر المؤلف رحمه الله شيئاً مما اختص الله به رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (**صاحِبُ لِواءِ الحمْدِ**) واللواء هو الراية التي يحملها قائد الجيش في الغالب، رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُرفع له يوم القيامة لواء يحمله، وهـٰذا اللواء يسمى بلواء الحمد، ولذلك أضاف اللواء إلىٰ الحمد فقال: (**صاحِبُ لِواءِ**

---

(1) **البخاري**: كتاب أحاديث الأنبياء، باب (٥٤)، حديث رقم (٣٤٨٦).

**مسلم**: كتاب الجمعة، باب هداية هـٰذه الأمة ليوم الجمعة، حديث رقم (٨٥٥).

(2)تم تخريجه في الصفحة: (٢).

**الحمْدِ**)، والحمد أي حمد الله جل وعلا، وهو ذكر المحمود بصفات الكمال محبةً وتعظيماً، فالنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هو أعلى الناس حمداً لربه في ذلك الموقف، ويدل لذلك ما في الصحيحين من حديث أبي هريرة وغيره أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما ذكر الشفاعة يقول: ((**فآتي فأسجد فأحمد الله عز وجل بمحامد يفتحها علي لا أعلمها الآن –أو: لا أعرفها الآن–**))[1]. محامد يدركها ويعلمها في تلك الساعة وفي ذلك الوقت، ولذلك يعطى لواء الحمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ لكونه أعظم الخلق والناس حمداً لربه في ذلك الموقف.

وهـٰذا اللواء للعلماء فيه قولان:

منهم من قال: إنه لواء معنوي.

ومنهم قال: إنه لواء حقيقي.

والصواب أنه لواء حقيقي؛ لأن الأصل فيما أخبر به النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الحقيقة لا المجاز، فهـٰذا اللواء لواء حقيقي، ولا تقل كيف يكون حقيقيّاً؟ نقول: أمر الآخرة ليس مما تدرك العقول حقائقه وتتبين كيفياته؛ بل إنه أمر نؤمن به على ما جاء عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دون أن نلج في كيف يكون ذلك.

فإن النصوص قد أخبرت بألوية تكون يوم القيامة، ففي الصحيحين أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: ((**ينصب لكل غادر يوم القيامة لواء، عند استه، يقال: هـٰذه غدرة فلان**))[2]. وهـٰذا اللواء حقيقي، ولذلك يشار إليه ويقال: هـٰذه غدرة فلان، هـٰذا اللواء الذي عقد للغادر لواء حقيقي يدرك ويشار إليه، فما المانع من أن يكون اللواء الذي ذكره النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هو لواءً حقيقيّاً؟ وهـٰذا هو الأصل.

واختلف العلماء رحمهم الله في ما هو سبب اللواء:

فقيل: إن اللواء سببه ما ذكرت قبل قليل من أنه يفتح للنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الحمد ما لا يفتح لغيره.

---

([1]) تم تخريجه في الصفحة: (٢).

([2]) **البخاري**: كتاب الجزية والموادعة، باب إثم الغادر للبر والفاجر، حديث رقم (٣١٨٦، ٣١٨٧).

**مسلم**: كتاب الجهاد والسير، باب تحريم الغدر، حديث رقم (١٧٣٨)، واللفظ له.

وقيل: إن هــٰذا اللواء سببه موقف النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في ذلك اليوم، حيث يَفتح الله له من الفضل والمكانة والعمل ما ينفع به جميع الناس مسلمهم وكافرهم، في الشفاعة في فصل القضاء؛ لأنه قد جاء في بعض الآثار أن الكفار يطلبون الخلاص من موقف القيامة حتى ولو كان ذلك إلىٰ النار؛ لأن الإنسان في الشدة قد يتصوّر أنها أعلى ما تكون، ويغيب عنه أن ما سيقبل عليه أعظم وأشد.

ولذلك جاء في بعض الآثار أن شدة الموقف على أهله تحمل الكفّار أن يقولوا: ربنا خلصنا ولو إلىٰ النار. يظنون أن النار أهون من ذلك الموقف، وهي أشد وأنكى نسأل الله السلامة والعافية.

المراد أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يحمده في ذلك الموقف كل أحد حتى الكفار، وهــٰذا من معاني اللواء المحمود.

وقيل أقوال أخرى في معاني اللواء المحمود أو سبب اللواء المحمود، قيل: إنه لإجلاس الله عز وجل نبيه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على العرش.

وقيل غير ذلك.

والذي يظهر أنه لما له من الفضائل والمنزلة في ذلك الموقف، الفضائل العامة التي تعم كل أحد والخاصة التي تختص أمته وتختصه هو صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آله وَسَلَّمَ.

ثم قال: (**صاحِبُ لِواءِ الحمْدِ والمقامِ المحمودِ**) أي صاحب المقام المحمود، والمقام هو مكان القيام، وذلك أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقوم المقام المحمود الذي يحمده عليه كل أحد، وهو شفاعته لفصل القضاء.

ثم قال: (**والحوْضِ الموْرودِ**) ذكرنا ذلك فيما تقدم في كلام المؤلف رحمه الله على الحوض في قوله: (**ولنبينا محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حوض في القيامة**) وقلنا: إن معنى الحوض مجمع الماء، وهو مجمع عظيم يكون للنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثبت له صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في قوله تعالىٰ: ﴿**إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ (١)**﴾[1] وبما جاء متواتراً عنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من إثبات حوضه يوم القيامة.

قال: (**وهوَ إمامُ النَّبِيّينَ**) أي مقدَّمهم الذي يؤمه الأنبياء ويأتمون به ويقتدون به؛ لعظيم منزلته ورفيع مكانته، وهو إمامهم في الدنيا وإمامهم في الآخرة.

---

(١) سورة: الكوثر (١).

أما إمامته لهم في الدنيا فلأنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعلى آله وَسَلَّمَ صلى بهم وأمهم في بيت المقدس ليلة المعراج.

وأما إمامته لهم في الآخرة: فأولو العزم وأصحاب العلو والرفعة والمكانة من الأنبياء يتدافعون الشفاعة حتى تصير إليه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهـٰذا من إمامته لهم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قال: (**وخَطِيبُهم**)، الخطيب معروف، وهو الذي يتكلم في بيان الحاجة، وقوله: (**وخَطِيبُهم**) أي خطيب الأنبياء، وقد جاء هـٰذا في جامع الترمذي من حديث أنس بن مالك رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أخبر ((**بأنه خطيب الأنبياء إذا وفدوا**))[1] أي إذا وفدوا على الله عز وجل في أرض المحشر؛ من ذلك أنه هو الذي يطلب الشفاعة للخلق ويتأخر كل الأنبياء لا يتكلم أحد ﴿**إِلا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلاً (١٠٩)**﴾،[2] وأولهم رسولنا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أول من يكلم الله جل وعلا في المحشر رسولنا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فهو خطيبهم إذا وفدوا.

وشعيب عليه السلام خطيب الأنبياء؛ فقد جاء في وصفه في بعض الآثار أنه خطيب الأنبياء، لكنه خطيبهم في الدنيا؛ وذلك لجميل بيانه وحسن كلامه في دعوته لقومه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أما الخطيب الذي يكون يوم القيامة فهو رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

(**وصاحِبُ شفاعتِهم**) يعني الذي تصير إليه الشفاعة في ذلك الموقف، فإن الأنبياء يتدافعونها إليه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

يقول: (**أمّتُه خيْرُ الأممِ**) ولاشك أن هـٰذه الأمة خير الأمم، قال الله تعالىٰ: ﴿**كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللّهِ**﴾ [3]. وقال تعالىٰ: ﴿**وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا**﴾[4]. فهاتان الآيتان دالتان على خيرية الأمة في الدنيا، والخيرية في الدنيا تدل على الخيرية في الآخرة.

---

[1] **سنن الترمذي**: كتاب المناقب، باب فضل النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حديث رقم (٣٦١٠)، وقال: هـٰذا حديث حسن غريب. قال الشيخ الألباني: ضعيف.

[2] سورة : طه (١٠٩).

[3] سورة : آل عمران (١١٠).

[4] سورة : البقرة (١٤٣).

وأما الخيرية في الآخرة: فقد قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -كما في حديث علي في مسند الإمام أحمد في بيان ما أعطاه الله عز وجل وخصه -: **((وجعلت أمتي خير الأمم))** [1]. فأمة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خير الأمم، خيريتها في التوحيد، خيريتها في العمل، خيريتها في الثواب، خيريتها في الشريعة، خيريتها في الآخرة بتقدمها على الأمم وسبقها لهم إلىٰ كل فضل، فخيرية الأمة لها من الأوجه والجوانب ما يطول تتبعه وذكره.

ثم قال رحمه الله: (**وأصحابُه خيْرُ أصحابِ الأنبياءِ عليهم السّلامُ**)، بدأ بهذا المقطع أو بهذه الجملة الكلام عن صحابة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آله وَسَلَّمَ، نجعل ذلك إن شاء الله تعالىٰ في الدرس القادم، والله تعالىٰ أعلم وصلى الله وسلم على نبينا محمد.

(1) أورده الشيخ الألباني في **السلسلة الصحيحة** برقم (٣٩٣٩) وقال: أخرجه أحمد والبيهقي في السنن.

# شرح لمعة الاعتقاد

# الهادي إلى سبيل الرشاد

**لموفق الدّين بن قدامة المقدسي رحمه الله**

**لفضيلة الشيخ**

خالد بن عبد الله المصلح

الدرس السابع عشر

**www.almosleh.com**

## بسم الله الرحمن الرحيم

قال الإمام موفق الدِّين أبو محمد عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي رحمه الله تعالىٰ:

(وأصحابُه خيْرُ أصحابِ الأنبياء عليهم السّلامُ.

وأفضلُ أمّتِه أبو بكْرٍ الصِّدِّيقُ، ثُم عمرُ الفاروقُ، ثُم عثمانُ ذو النُّورَين، ثُم عَليّ المُرْتَضَى رَضِيَ اللهُ عَنْهُم أَجْمَعِينَ. لِمَا رَوى عبْدُ الله بنُ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُما قال: كنَّا نقولُ والنبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حيٌّ:[1] أبو بكرٍ، ثمَّ عمرُ، ثم عثمانُ، ثم عليّ. فيبلغُ ذلك النبيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فلا يُنْكِرُه.[2]

وصحَّتِ الرِّوايَةُ عنْ عليّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أنَّهُ قالَ: خَيْرُ هذهِ الأمةِ بعد نبيِّها أبو بكرٍ ثم عمرُ، ولو شئْتُ سميْتُ الثَّالثَ.

وروى أبو الدّرْدَاءِ عَنِ النبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنّه قال: ((مَا طَلَعَتِ الشَّمْسُ وَلاَ غَرُبَتْ بَعْدَ النَّبِيِّينَ والْمُرْسَلِينَ عَلَى أَفْضَلَ مِنْ أَبِي بَكْرٍ)).[3]

وَهُو أَحَقُّ خَلْقِ اللهِ بالخِلافَةِ بعْدَ النبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ لفَضْلِهِ وسَابِقَتِه، وتَقْدِيمِ النبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ له في الصّلاةِ على جميع الصّحابةِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُم، وإجماعِ الصّحابة على تقْديمِه ومُبايَعَتِه، ولم يكنِ اللهُ ليَجْمَعَهم على ضَلالةٍ.

ثم مِنْ بعده عمرُ الفاروق؛ لفضْلِه وعَهْدِ أبي بكرٍ إليه.

ثم عثمانُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ؛ لتقْديمِ أهلِ الشُّورى له.

ثم عليٌّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ؛ لفَضلِه وإجماعِ أهلِ عصْرِه عليه) .

بسم الله الرحمـٰـن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وأصلي وأسلم على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه ومن اتبع سنته بإحسان إلىٰ يوم الدين.

---

[1] في نسخة: أَفْضَلُ هذه الأمّة بعْدَ نبيِّها.

[2] **البخاري**: كتاب فضائل الصحابة، باب فضل أبي بكر بعد النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حديث رقم (٣٦٦٥).

[3]

أما بعدُ:

فذكر المؤلف رحمه الله في هـذا الفصل ما يتعلّق بصحابة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بعد أن ذكر فضائل النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وفضائل أمته ذكر ما خصّ الله به أصحاب النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من عظيم المترلة ورفيع المكانة.

قال رحمه الله: (**وأصحابُه**) أي أصحاب النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، (**خيْرُ أصحابِ الأنبياءِ عليهم السّلامُ**) .وهـذا قد أجمعت عليه الأمة، ودلّ عليه قول النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بل دل عليه قول الله تعالىٰ: ﴿**كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ**﴾[1]. وقوله تعالىٰ: ﴿**وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاء عَلَى النَّاسِ**﴾[2]. فشهادة هـذه الأمة على غيرها من الأمم دليل على خيريتها، وخير هـذه الأمة هم أصحاب النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ لما في البخاري وغيره أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: ((**خير الناس قرني، ثم الذين يلوهم، ثم الذين يلوهم** ))[3] كما في حديث عمران بن حصين وفي حديث غيره.

هـذا الحديث يدل على أن أفضل الأمة بعد نبيها صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، هم أصحاب النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فهم في الجملة أفضل الأمة، وهم أفضل الناس بعد الأنبياء، كما ذكر المؤلف رحمه الله.

هـذا الفضل العام لجيل الصحابة رَضِيَ اللهُ عَنْهُم، وطبقة الصحابة عليهم رضوان الله يشملهم جميعاً، ثم هم بعد هـذا الفضل العام يتمايزون في الفضل على درجات متفاوتة: أعلاهم وأرفعهم مترلة وأعظمهم فضلاً أبو بكر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ؛ ولذلك قال المؤلف رحمه الله: (**وأفضلُ أمّتِه أبو بكْرٍ الصِّديقُ**)، فأفضل الأمة بعد نبيها صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أبو بكر الصديق عليه رضوان الله، وذلك أنّ أبا بكر له من الخصائص والفضائل والمزايا ما لا يشركه فيه غيره من أمة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وما كان له من الفضائل الخاصة لم يماثله فيه أحد؛ بل اختص بها وهي أعلى الفضائل الخاصة.

---

(1) سورة : آل عمران (١١٠).

(2) سورة : البقرة (١٤٣).

(3) **البخاري**: كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل أصحاب النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حديث رقم (٣٦٥١). عن ابن مسعود.

**مسلم**: كتاب فضائل الصحابة، باب فضل الصحابة رَضِيَ اللهُ تعالىٰ عَنْهُم ثم الذين يلوهم ثم الذين يلوهم، حديث رقم (٢٥٣٣). عن عمران بن حصين.

ثم وصفه رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بـ(**الصِّديقُ**) لكونه الذي صدق النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كما جاء ذلك في قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما وقع ما وقع بين أبي بكر وعمر من المخاصمة قال: ((**لقد جئتكم فكذبتموني وصدقني**))[1]. فشهد له النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالتصديق، فهو صديق هـٰذه الأمة وهو الصديق الأكبر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(**ثُم عمرُ الفاروقُ**) وعمر يصدق عليه أنه صديق، فقد صدّق النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أعظم تصديق، وهو خير الأمة بعد أبي بكر رضي الله عنه، لكنه اختص بهذا الوصف؛ لأن الله فرق به بين الحق والباطل، فعمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ معه من القوة ورباطة الجأش وعظيم العزيمة ما حقّق الله به على يديه الفرق بين الحق والباطل.

(**ثُم عثمانُ ذو النُّورَين**) أي صاحب النورين رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، والنوران هما بنتا النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ حيث إنه خصه الله بأن جمع له بين بنتين من بنات النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، تزوج إحداهما فماتت ثم تزوج الثانية.

ثم بعد ذلك قال: (**ثُم عَليّ المُرْتَضَى**) وعلي هو رابع الصحابة رَضِيَ اللهُ عَنْهُم في الفضل والمنزلة والمكانة، ووصفه بأنه (**المُرْتَضَى**) لما روى البخاري ومسلم من حديث سعد بن أبي وقاص رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وفيه أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خلّف عليّاً رَضِيَ اللهُ عَنْهُ في المدينة، استخلفه على المدينة لما خرج إلىٰ غزوة تبوك، فتبع علي رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: أتخلفني أو أتتركني في النساء والصبيان؟ فقال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((**أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسىٰ؟**))[2]. فرضي رضي الله عنه، فسمي بعد ذلك بالمرتضى.

هكذا ذكر بعض أهل العلم في سبب تسميته أو وصفه رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بالمرتضى.

وقيل: لأنه رضيه الله ورسوله.

وقيل غير ذلك.

وعلى كل حال هـٰذا وصف شاع بين أهل العلم في وصف علي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

---

(1) **البخاري**: كتاب فضائل الصحابة، باب قول النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((لو كنت متخذاً خليلاً))، حديث رقم (٣٦٦١).

(2) **البخاري**: كتاب المغازي، باب غزوة تبوك وهي غزوة العسرة، حديث رقم (٤٤١٦).
**مسلم**: كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل علي بن أبي طالب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، حديث رقم (٢٤٠٤).

(رَضِيَ اللهُ عَنْهُم أَجْمَعِينَ) أي إن المفاضلة بينهم لا يترتّب عليها النقص أو التنقص لمن؟ للمفضول عليه؛ بل بيان الفضل لا يترتب عليه همز المفضول ونقصه؛ بل ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء.

فإذا ترتب على المفاضلة أن يكون هناك تنقّص فإنه لا يجوز، لا تجوز المفاضلة في هـٰذه الحال؛ ولذلك قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((لا تفضلوني على يونس بن متى))،[1] فنهى عن تفضيل المفاضلة بين الأنبياء والتفضيل بينه وبين يونس بن متى وهو رسول نبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

السبب أنه إذا كانت المفاضلة تفضي إلىٰ تنقص المفضول فإنها لا تجوز، فإذا كانت هـٰذه في الأنبياء مع وضوح فضل النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وظهوره وتأكده وتقريره، فكيف بالمفاضلة بين غيره؟ فلا يسوغ المفاضلة بين أهل الفضل إذا كان ذلك على وجه التنقص للمفضول.

أما إذا كان على وجه بيان الفضل والسبق والمنزلة، وما خص الله به أحدهم، فإن هـٰذا لا بأس به.

وهـٰذا ليس خاصّاً في المفاضلة بين الأنبياء أو الصحابة؛ بل في المفاضلة بين كل من تجري بينهم مفاضلة، إذا كان يترتب على هـٰذه المفاضلة تنقص المفضول فإنه لا يجوز، ولا ينبغي أن يفاضل بين الناس في هـٰذا؛ لأنه يفضي إلىٰ مفسدة، والمفاضلة ليس المقصود منها إيغار الصدور ولا تنقص المفضول، إنما المقصود منها بيان فضل الله عز وجل وما خص به كلاًّ من أهل الفضل.

يقول رحمه الله: (لِمَا رَوى عبْدُ اللهِ بنُ عُمَرَ رَضِيَ الله عنهما قال: كنَّا نقولُ والنبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حيٌّ:) أي بين أظهرهم (أبو بكرٍ، ثمَّ عمرُ، ثم عثمانُ، ثم عليّ)، الذي في الصحيحين وفي سنن أبي داوود وفي غيرهما ذكر أبي بكر وعمر وعثمان دون ذكر علي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، ولذلك قال: (ثم نترك المفاضلة بين أصحاب النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعد ذلك).

فقد أجمع الصحابة وأقر النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على فضل أبي بكر ثم عمر ثم عثمان، وأنهم في الفضل والسبق للصحابة ما لا يحتاج إلىٰ منازعة ولا مناقشة؛ لكون الصحابة أجمعوا على هـٰذا، ولكون النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سمع ذلك منهم ولم ينكره، قال: (فيبلغُ ذلك النبيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فلا يُنْكِرُه).

---

(1) **البخاري**: كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله تعالىٰ: ﴿وإن يونس لمن المرسلين﴾ إلىٰ قوله ﴿وهو مليم﴾[الصافات:١٣٩-١٤٢]، حديث رقم (٣٤١٢-٣٤١٦).
**مسلم**: كتاب الفضائل، باب في ذكر يونس عليه السلام..، حديث رقم (٢٣٧٦، ٢٣٧٧).

(وصحَّتِ الرِّوايَةُ عنْ عليّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أنَّهُ قالَ: خَيْرُ هذهِ الأمةِ بعد نبيِّها أبو بكرٍ ثم عمرُ ولو شئْتُ سميْتُ الثَّالثَ) .واختلف أهل العلم في الثالث:

فقيل: إنه يعني نفسه.

وقيل: إنه يعني عثمان.

والصحيح والذي يظهر أنه يعني عثمان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وإنما امتنع من تسمية الثالث لكون كثير من أتباع علي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ في ذلك الوقت كانوا ممن وقع في الفتنة في موضوع عثمان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وما جرى له من الحصار والخروج عليه رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، فخشي أن يُبَيِّن الثالث فيكون ذلك سبباً لوقوع فتنة فيمن هم أتباع له ويقع في ذلك مزيد شر لأهل الإسلام؛ لأنه قد وقعت الفرقة وتشقق الناس وافترقوا إلى قسمين في مقتل عثمان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، فخشي من زيادة الشر، فقال: (ولو شئْتُ سميْتُ الثَّالثَ)، فالذي يظهر أن الثالث هو عثمان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

يقول رحمه الله: (وروَى [أبو الدّرْدَاءِ] عَنِ النبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنّه قال: ((مَا طَلَعَتِ الشَّمْسُ وَلاَ غَرَبَتْ بَعْدَ النَّبِيِّينَ والُمرْسَلِينَ عَلَى أَفْضَلَ مِنْ أَبِي بَكْرٍ))) . فأبو بكر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أفضل الأمة بعد نبيها صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ بل هو أفضل الناس بعد الأنبياء.

ثم بعد أن ذكر الفضل قال: (وَهُو أَحَقُّ خَلْقِ اللهِ بالخِلافَةِ بعْدَ النبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ). والعلماء رحمهم الله يذكرون مسألة المفاضلة بين الصحابة، ثم يذكرون الخلافة؛ وذلك لكون هاتين المسألتين من المسائل التي يجب اعتقادها في الصحابة.

فبدأ المؤلف رحمه الله بذكر الفضل وبين عقد أهل السنة والجماعة في المفاضلة.

واعلم أنه لا خلاف بين أهل العلم في تقديم أبي بكر ثم عمر على سائر صحابة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

أما عثمان وعلي فبعد أن أجمعت الأمة على أن الذي يلي الأوَّلَيْن هو عثمان وعلي اختلفوا في أيهما أفضل:

فمنهم من قال: الأفضل عثمان ثم علي؛ يعني يكون الترتيب أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي، وهـذا الذي عليه جمهور أهل السنة والجماعة، واستقر عليه قولهم، وأن ترتيبهم في الفضل والمنزلة كترتيبهم في الخلافة.

والقول الثاني: أن علياً مقدم على عثمان، وهـٰذا قال به جماعة من السلف من أشهرهم سفيان الثوري رحمه الله، وقيل: إنه رجع عنه لما ناقشه من ناقشه من أهل العلم وبيّن له تقدُّم عثمان على علي.

القول الثالث: التوقف، أي لا يقول إن عثمان أفضل ولا علياً أفضل، يتوقف.

والصحيح من هـٰذه الأقوال هو القول الأول الذي لا ريب في صحته واستقرار أهل السنة عليه.

وهـٰذه المسألة هل يضلل فيها المخالف؟ الجواب: لا يضلل فيها المخالف؛ لأنه قد وقع فيها الخلاف بين السلف.

لكن المسألة التي يضلل فيها المخالف هي مسألة الخلافة، فإن ترتيبهم في الخلافة لا إشكال فيه، وقد اتفق عليه أهل السنة، فمن قال: إن علياً أحق ممن تقدمه بالخلافة فقد أزرى بالمهاجرين والأنصار؛ لأن المهاجرين أجمعوا على تقدم عثمان في الخلافة على علي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وقد قال عبد الرحمـٰن بن عوف -وهو الذي أوكل إليه عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ النظر فيمن يخلفه بين من بقي من أهل الشورى، يقول بعد بحث ونظر واستشارة وسؤال -: لم أر الناس يعدلون بعثمان أحداً.

فأجمع المهاجرون والأنصار على خلافة عثمان؛ بل إن خلافة عثمان خلافة إجماعية لم يقع فيها خلاف بالكلية، حتى علي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بايع ووافق، فلم يجتمع الناس في خلافة أحد كما اجتمعوا في خلافة عثمان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، فالذي يطعن في خلافة عثمان أو يقول: إن علياً أولى بالخلافة منه فإنه أضل من حمار أهله -كما قال الإمام أحمد رحمه الله-؛ لظهور الإجماع على خلافة عثمان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

قال رحمه الله: (**وَهُو أَحَقُّ خَلْقِ اللهِ بالخِلافَةِ بعْدَ النبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ لفَضْلِهِ وسَابِقَتِه، وتَقْدِيمِ النبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ له في الصّلاةِ على جميع الصّحابةِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُم، وإجماع الصّحابة على تقْدِيمِه ومُبايَعَتِه، ولم يكنِ اللهُ ليَجْمَعَهم على ضَلالةٍ**) .هـٰذه المسوّغات التي ذكرها المؤلف رحمه الله والاستدلالات التي ذكرها المؤلف رحمه الله لبيان أحقية أبي بكر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بالخلافة وأنه أحق الصحابة بالخلافة بعد النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

واعلم أن خلافة أبي بكر للنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أجمع عليها أهل السنة، ولا خلاف بين علماء الملة في أن أحق الناس بالخلافة وأولاهم بالخلافة بعد النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أبو بكر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

وإذا نظرت إلىٰ خلافة أبي بكر وجدت أن خلافة أبي بكر قد أومأ إليها النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ بل قال بعض العلماء: إن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد نصّ عليها، وأقوى ما يستدل به في النص عليها ما رواه البخاري ومسلم من حديث عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْها أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال لها:

((**ادعي لي أباك وأخاك، أكتب لأبيك كتاباً لا يختلف عليه الناس بعد**)). ثم قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((**يأبى الله والمسلمون إلا أبا بكر**))[1]. فترك الكتابة بناء على أن استحقاق أبي بكر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أمر مجمع عليه، وأن الله سيصير الأمر إليه شاء من شاء وأبى من أبى ((**يأبى الله ورسوله والمؤمنون إلا أبا بكر**)). يعني إلا أن يكون هو الخليفة لرسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وعلى كل حال بالنظر إلىٰ ما جاء في السنة يجد الإنسان الشواهد المتضافرة العديدة التي تدلّ على استحقاق أبي بكر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ للخلافة، وأن خلافته أشبه ما يكون بالمنصوص عليها؛ لفضله وسابقته: فهو أفضل الصحابة رَضِيَ اللهُ عَنْهُم، وهو أسبقهم إلى الإيمان بالنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأسبقهم إلىٰ تصديقه، ولم يقارنه أحد في تصديق النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وتقديم النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ له في الصلاة على جميع الصحابة رَضِيَ اللهُ عَنْهُم؛ بل إن عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْها لما اعتذرت عن أبي بكر في التقديم وقالت: إنه بكّاء. قال لها النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((**إنكنّ صواحب يوسف**))[2]. لأن عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْها كرهت أن يتقدم أبوها الناس في مرض النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خشية أن يتشاءم الناس به، فاعتذرت بأنه بكّاء، فأبى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلا أن يكون المقدم في الصلاة أبا بكر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

قال رحمه الله: (**وإجماعِ الصّحابة على تقْديمه ومُبايَعَتِه**)، وهــٰذا مما وقع فإن الصحابة أجمعوا على مبايعته رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وإن كان في أول الأمر وقع نوع تردد كما جرى في سقيفة بني ساعدة، إلا أن خلافته رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أجمعت عليها القلوب، واستقر الأمر، وأجمع عليها الصحابة، وما ذكر من تأخر علي بن أبي طالب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فإنه لم يكن تأخراً فيه الرفض وعدم القبول لمبايعته، إنما كان لشيء في نفسه رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وأما المبايعة فإنه قد قبل بيعته وقبل المسلمون بيعته رَضِيَ اللهُ عَنْهُ. ثم إنه لو قدرنا أن عليّاً قد صح عنه التأخر في البيعة، فإنه لا يضر وقد أجمعت الأمة وسادات الصحابة وأشرافهم وكبراؤهم وأعيانهم رَضِيَ اللهُ عَنْهُم على بيعة أبي بكر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

فلا يضر أبا بكر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ تخلف عليٍّ عن بيعته، ثم إنه قد رجع إلىٰ الحق ووافق الجماعة إن قلنا بأنه تأخر في بيعته رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

---

(1) أورده الشيخ الألباني في الجنائز (١٤٨) وقال: أخرجه أحمد بإسناد صحيح على شرط الشيخين، وهو في صحيح البخاري بنحوه، وفي مسلم مختصراً.

(2) **مسلم**: كتاب الصلاة، باب استخلاف الإمام إذا عرض له عذر، حديث رقم (٤١٨).

ثم قال رحمه الله: (**ولم يكنِ اللهُ ليَجْمَعَهم على ضَلالةٍ**) . ولا شك أن هـٰذه الأمة لا يمكن أن يجمعها الله على ضلالة، لا سيما أولئك الذين الإجماع المعتبر هو إجماعهم رَضِيَ اللهُ عَنْهُم، فإن الإجماع المعتبر ما كان عليه صحابة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فأجمعوا واتفق أمرهم وانتظم عقْدهم على تقديم أبي بكر وخلافته رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

قال: (**ثم مِنْ بعده عمرُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ؛ لفضْلِه وعَهْدِ أَبي بكرٍ إليه**) . (**لفضْلِه**) لاستحقاقه الفضل، فإنه قرين أبي بكر في الفضل، وقد قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((**اقتدوا باللّذين من بعدي: أبي بكر وعمر**))[1]. وقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كما في صحيح الإمام مسلم في حديث أبي قتادة: ((**إن يطيعوا أبا بكر وعمر يرشدوا**))[2]. فعمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قرين أبي بكر في الفضل والمكانة والمنزلة رَضِيَ اللهُ عَن الجميع، وإن كان السبق لأبي بكر ولا شك؛ لكنه قرنه به رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في مواضع عديدة.

(**ثم عثمانُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ؛ لتقْديم أهلِ الشُّورى له**) . وأهل الشورى هم الذين أوكل إليهم عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ النظر في من يكون خليفة بعده رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وهم بقية الستة: عبد الرحمـٰـن بن عوف، ولكن ليس له من الأمر شيء، وسعد بن أبي وقاص، وطلحة بن عبيد الله، والزبير بن العوام، وعلي، وعثمان رَضِيَ اللهُ عَن الجميع، ابن عمر ليس من الستة، ابن عمر يحضر وليس له من الأمر شيء.

ثم ذكر قال: (**ثم عليٌّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ**) هـٰذا رابع الخلفاء الراشدين، (**لفَضلِه، وإجماعِ أهلِ عصْرِه عليه**). (**لفَضلِه**) فهو له من الفضل والمكانة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ما تشهد به أهل السنة والجماعة له وتعتقده فيه.

وأما إجماع أهل عصره عليه، فإنه لم يجمع على خلافة علي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، الحقيقة أنه لا إجماع في خلافته ، وإن كان هو الأحق بالخلافة والمقدم فيها؛ لكن لم يكن إجماع؛ بل خالف في ذلك من خالف

(1) **سنن الترمذي**: كتاب المناقب، باب في مناقب أبي بكر وعمر، حديث رقم (٣٦٦٢).
**ابن ماجه**: باب في فضائل أصحاب رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حديث رقم (٩٧).
قال **الشيخ الألباني**: صحيح.
(2) **مسلم**: كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب قضاء الصلاة الفائتة واستحباب تعجيل قضائها، حديث رقم (٦٨١).

من الصحابة، ووقعت الفتنة بينهم رَضِيَ اللهُ عَنْهُم، فانقسم الناس إلىٰ أهل الشام بقيادة معاوية رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ومن معه، وأهل العراق بقيادة علي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ومن معه.

ثم قال بعد ذلك:

**(وهؤلاءِ الخلفاءُ الرّاشدون المهديّون الذين قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيهم: ((عَلَيْكُمْ بِسُنّتِي وَسُنّةِ الْخُلَفَاءِ الرّاشِدِينَ الْمَهْدِيّـــين مِنْ بَعْدِي، عَضّوا عَلَيْهَا بِالنّوَاجِذِ)).** [1]

**وقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((الخِلاَفَةُ مِنْ بَعْدِي ثَلاَثُونَ سَنَةً))**[2] **فكان آخرُها خلافةَ عليٍّ** رَضِيَ اللهُ عَنْهُ) .

هــٰذا المقطع يقول فيه المؤلف رحمه الله: **(وهؤلاءِ الخلفاءُ الرّاشدون المهديّون)** أي هٰؤلاء الأربعة: أبو بكر، عمر، عثمان، علي. هم أولى وأصدق من يدخل في قول النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **((عَلَيْكُمْ بِسُنّتِي وَسُنّةِ الْخُلَفَاءِ الرّاشِدِينَ الْمَهْدِيّـــين مِنْ بَعْدِي))** فإنهم أصدق من يصدق عليه هــٰذا الوصف، وأحق من يتنزّل عليه هــٰذا القول: **((عَلَيْكُمْ بِسُنّتِي وَسُنّةِ الْخُلَفَاءِ الرّاشِدِينَ الْمَهْدِيّـــين مِنْ بَعْدِي))**، ووصفهم بوصفين عظيمين أو بثلاثة أوصاف:

الوصف الأول أنهم خلفاؤه، وهم من أتى بعده صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وقام مقامه.

**(الرّاشِدِينَ)** وهــٰذا ضد الغي.

و**(الْمَهْدِيّـــين)** وهــٰذا ضد الضلال.

فجمع لهم بين الهدى والرشد، وبهما يكمل العلم النافع والعمل الصالح والهدي المستقيم.

**((عَضّوا عَلَيْهَا بِالنّوَاجِذِ))** أي تمسكوا بها تمسك العاضّ على الشيء بأضراسه ونواجذه.

---

(١) **سنن الترمذي:** كتاب العلم عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، باب ما جاء في الأخذ بالسنة واجتناب البدع، حديث رقم (٢٦٧٦). وقال: حسن صحيح.

**سنن أبي داود:** كتاب السنة، باب في لزوم السنة، حديث رقم (٤٦٠٧) .

**سنن ابن ماجه:** باب اتباع سنة الخلفاء الراشدين المهديين، حديث رقم (٤٢، ٤٣) .

قال **الشيخ الألباني:** صحيح.

(٢) **سنن أبي داوود:** كتاب السنة، باب في الخلفاء، حديث رقم (٤٦٤٦).

**سنن الترمذي:** كتاب الفتن، باب ما جاء في الخلافة، حديث رقم (٢٢٢٦)، وقال: وهــٰذا حديث حسن.

قال الشيخ الألباني: صحيح.

ثم قال رحمه الله -في الاستدلال على أن هٰؤلاء هم الخلفاء الراشدون-: **((الخِلافَةُ مِنْ بَعْدِي ثَلاثُونَ سَنَةً))**. وهذا قد جاء في مسند الإمام أحمد وغيره أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: **((الخلافة من بعدي ثلاثون سنة ثم تكون ملكاً أو ثم يؤتي الله ملكه من يشاء))**[1]. فدل ذلك على أن الذين يلونه مدة ثلاثين سنة هٰؤلاء يصدق عليهم الخلافة.

وبالنظر إلىٰ مدة خلافة هٰؤلاء رَضِيَ اللهُ عَنْهُم التي ابتدأت في السنة الحادية عشرة إلىٰ السنة الأربعين يتبين أنهم رَضِيَ اللهُ عَنْهُم كلهم داخلون في قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **((الخِلافَةُ مِنْ بَعْدِي ثَلاثُونَ سَنَةً))**، فإن خلافة علي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ انتهت على رأس الثلاثين، فهـٰذا من الأدلة على أنهم المقصودون بقوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **((وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرّاشِدِينَ الْمَهْدِيّينَ مِنْ بَعْدِي))**، **(فكان آخرُها خلافةَ عليٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ)**.

نقف على هـٰذا، ونكمل إن شاء الله تعالىٰ في الدرس القادم، والله تعالىٰ أعلم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد.

ஐஐ◊ஐஐ

[1] تم تخريجه في الصفحة: (٢).

# شرح لمعة الاعتقاد

# الهادي إلى سبيل الرشاد

**لموفق الدّين بن قدامة المقدسي رحمه الله**

**لفضيلة الشيخ**

خالد بن عبد الله المصلح

## الدرس الثامن عشر

## بسم الله الرحمن الرحيم

قال الإمام موفق الدِّين أبو محمد عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي رحمه الله تعالىٰ:

**(ونَشْهَدُ للعشَرةِ بالجنّةِ، كما شَهِدَ لهم النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: ((أبُو بَكْرٍ فِي الجَنَّةِ، وعُمَرُ فِي الجنَّةِ، وعُثْمَانُ في الجنَّةِ، وعَلِيٌّ في الجنّةِ، وطَلْحَةُ فِي الجَنَّةِ، والزُّبَيْرُ فِي الجَنَّةِ، وسَعْدٌ فِي الجنَّةِ، وسَعِيدٌ فِي الجنّةِ، وعبدُ الرّحمنِ بنُ عوفٍ في الجنّةِ، وأبُو عُبَيْدَةَ بنُ الجَرَّاحِ في الجَنَّةِ)).[1]**

**وكُلُّ مَنْ شَهِدَ له النبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالجنَّةِ شَهِدْنَا له بها، كقوله: ((الحَسَنُ والحُسَيْنُ سَيِّدَا شَبَابِ أَهْلِ الجَنَّةِ))،[2] وقولِه لثابتِ بنِ قيْسٍ: ((إنَّهُ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ)).[3]**

**ولا نَجْزِمُ لأحدٍ مِنْ أهلِ القِبْلَةِ بجنَّةٍ ولا نَارٍ إلاَّ مَنْ جَزَمَ لَهُ الرّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لَكِنَّا نَرجو للمُحْسنِ ونَخَافُ على المُسيء) .**

بسم الله الرحمـٰن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وأصلي وأسلم على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه ومن اتبع سنته بإحسان إلىٰ يوم الدين.

أما بعد:

فَصِلَة ما تقدم فيما يتعلق بفضائل الصحابة رَضِيَ اللهُ عَنْهُم الشهادة لمن شهد له النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آله وَسَلَّمَ منهم بالجنة.

واعلم أن الشهادة بالجنة نوعان:

شهادة لأصحاب أوصاف، أو شهادة لموصوفين.

---

[1] **سنن أبي داوود**: كتاب السنة، باب في الخلفاء، حديث رقم (٤٦٤٩، ٤٦٥٠).
**سنن الترمذي**: كتاب المناقب، باب مناقب عبد الرحمـٰن بن عوف الزهري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، حديث رقم (٣٧٤٧، ٣٧٤٨).
**سنن ابن ماجه**: باب في فضائل أصحاب رسول الله، فضل العشرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُم، حديث رقم (١٣٣).
قال الشيخ الألباني: صحيح.

[2] **سنن الترمذي**: كتاب المناقب، باب مناقب أبي محمد الحسن بن علي بن أبي طالب والحسين بن علي بن أبي طالب رَضِيَ اللهُ عَنْهُما، حديث رقم (٣٧٦٨). قال الشيخ الألباني: صحيح.

[3] **البخاري**: كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، حديث رقم (٣٦١٣).
**مسلم**: كتاب الإيمان، باب مخافة المؤمن أن يحبط عمله، حديث رقم (١١٩).

وشهادة لمعينين.

أما الشهادة التي تكون للموصوفين، فهي كثيرة في كتاب الله عز وجل وفي سنة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يأتي فيها ذِكر أن من فعل كذا فله كذا أو له الجنة، كقول النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **((لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا،و لا تؤمنوا حتى تحابوا، ألا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم))**.[1] فكل من أفشى السلام وحصل منه التحابّ لإخوانه المسلمين فإنه موعود بهذا الفضل، وهو دخول الجنة. هذه شهادة لمن اتصف بهذا الوصف، وهذا النوع لا إشكال فيه، وهو مجمع عليه.

النوع الثاني من أنواع الشهادات بالجنة: الشهادة لمعينين، كالشهادة لمن ذكر المؤلف رحمه الله.

وأول وأبرز من يشهد لهم بالجنة من خصوا بشهادة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في حديث عبدالرحمٰن بن عوف وحديث غيره، وفيه قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **((أبُو بَكْرٍ فِي الجَنَّةِ، وعُمَرُ فِي الجنَّةِ، وعُثْمَانُ في الجنَّةِ، وعَلِيٌّ في الجنّةِ، وطَلْحَةُ فِي الجنّةِ، والزُّبَيْرُ فِي الجَنَّةِ، وسَعْدٌ فِي الجنَّةِ، وسَعِيدٌ في الجنّةِ، وعبدُ الرّحمنِ بنُ عوفٍ في الجنّةِ، وأبُو عُبَيْدَةَ بنُ الجَرَّاحِ في الجَنَّةِ))**[2]. هذه الشهادة لهؤلاء المعينين هي أشهر الشهادات، وهم المعروفون بأنهم العشرة المبشرون بالجنة؛ لكون النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جمع ذكرهم في حديث واحد.

يقول المؤلف رحمه الله: (**وَنَشْهَدُ للعشَرةِ**) وهم من سيأتي ذكرهم في الحديث (**بالجنَّةِ**) أي نشهد ونوقن بأنهم من أهل الجنة، وهـٰذه الشهادة مبنية على خبر النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آله وَسَلَّمَ، يقول رحمه الله: (**كما شَهِدَ لهم النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: ((أبُو بَكْرٍ فِي الجَنَّةِ))**) وأبو بكر هو أبو بكر الصديق رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، (**وعُمَرُ**) هو عمر بن الخطاب ثاني الخلفاء، (**وعُثْمَانُ**) وهو ثالث الخلفاء؛ عثمان بن عفان، وعلي بن أبي طالب، وطلحة بن عبيد الله، والزبير بن العوام، وسعد بن أبي وقاص، وسعيد بن زيد، وعبد الرحمٰن بن عوف، وأبو عبيدة عامر بن الجراح رَضِيَ اللهُ عَن الجميع.

---

([1]) **مسلم**: كتاب الإيمان، باب بيان أنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون وأن محبة المؤمنين من الإيمان، حديث رقم (٥٤).

([2]) تم تخريجه في الصفحة: (٢).

هؤلاء كلهم شهد لهم النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالجنة، فنشهد لهم بأنهم في الجنة، وأن خبر النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيهم صدق، فهم من أهل الجنة قبل أن يموتوا، بخبر النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آله وَسَلَّمَ.

كذلك شهد النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لغيرهم من الصحابة، يقول المؤلف رحمه الله: (**وكُلُّ مَنْ شَهِدَ له النبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالجَنَّةِ شَهِدْنَا له بها**) اتباعاً للنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وطاعة لأمره وتصديقاً لخبره.

يقول رحمه الله: (**كقوله: ((الحَسَنُ والحُسَيْنُ))**) الحسن بن علي والحسين بن علي رَضِيَ اللهُ عَنْهُما سبطا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، (**((سَيِّدَا شَبَابِ أَهْلِ الجَنَّةِ))**) أي لهما السيادة على شباب أهل الجنة، والسيادة هي العلو والشرف والارتفاع، فهٰذه شهادة من النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لهٰذين الصحابيين الجليلين بالجنة.

يقول رحمه الله: (**وقولِه لثابتِ بنِ قيْسٍ: ((إنَّهُ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ))**) فقد شهد له النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالجنة، وقصة شهادته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لثابت بن قيس بالجنة مشهورة معروفة، وسببها نزول قول الله تعالىٰ: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لا تَشْعُرُونَ (٢)**﴾[1]. فإن هٰذه الآية لما نزلت اعتزل ثابت بن قيس بن شماس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ في بيته وبكى ففقده النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقالوا له: إنه يبكي لقوله تعالىٰ: ﴿**أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لا تَشْعُرُونَ**﴾ فإنه كان رفيع الصوت جهوري الصوت فخشي أن يدخل في هٰذه الآية، فقال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((**إِنَّهُ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ**))، فكانت بشارة له بأنه من أهل الجنة.

---

(1) سورة : الحجرات (٢).

كذلك شهد النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لخديجة،(1) وشهد لبلال،(2) ولجماعة من الصحابة رَضِيَ اللهُ عَنْهُم بأنهم من أهل الجنة.

فكل من شهد له النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعلى آله وَسَلَّمَ بالجنة فإنّ من تمام الإيمان به صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن نصدقه في ذلك، وأن نشهد لمن شهد له صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

يقول رحمه الله: (**ولا نَجزِمُ لأحدٍ مِنْ أهلِ القِبْلَةِ بجنَّةٍ ولا نَارٍ**) بعد أن فرغ من بيان حكم من شهد له النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالجنة، وما الواجب تجاهه.

انتقل إلىٰ بيان المسكوت عنهم ما حكمهم؟ من سكت عنه و لم يبين رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هل هو من أهل الجنة أو لا؟ هل نشهد له بالجنة أو لا؟

الجواب يقول: (**ولا نَجْزِمُ لأحدٍ مِنْ أهلِ القِبْلَةِ بجنَّةٍ ولا نَارٍ**) ففُهم من هـٰذا أننا لا نجزم لأحد كائناً من كان بأنه من أهل الجنة أو بأنه من أهل النار؛ بل الواجب التوقف حتى يأتي بيانٌ من الله أو بيان من رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأنه من أهل الجنة أو أنه من أهل النار.

وقوله: (**ولا نَجْزِمُ**) أي لا نقول ذلك على وجه الجزم والقطع.

هل نقوله على وجه الرجاء؟ الجواب: نعم، نقول فيمن قام فيه دليل الصلاح وعلامات الاستقامة: إننا نرجو أن يكون من أهل الجنة، فنرجو للمحسن ونخاف على المسيء؛ لكن الرجاء أمر دون الشهادة والجزم، فالبحث في الجزم فإننا (**لا نَجْزِمُ لأحدٍ مِنْ أهلِ القِبْلَةِ بجنَّةٍ ولا نَارٍ**)؛ لأن هـٰذا من الغيب، وهو من الخبر الذي لا يمكن أن يقبل إلا بقول الله أو بقول رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقول المؤلف رحمه الله: لأحد من أهل القبلة سواء كان من أهل الفضل والإحسان أو كان من أهل الإساءة والتقصير، وقوله رحمه الله: (**مِنْ أهلِ القِبْلَةِ**) يشمل كل من توجه إلى القبلة من أهل الإسلام، وأهل القبلة هم أهل الإسلام.

---

(1) **البخاري**: كتاب مناقب الأنصار، باب تزويج النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خديجة وفضلها رَضِيَ اللهُ عَنْها، حديث رقم (٣٨١٩، ٣٨٢٠).

**مسلم**: كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل خديجة رَضِيَ اللهُ تعالىٰ عَنْها، حديث رقم (٢٤٣١-٢٤٣٤).

(2) **البخاري**: كتاب التهجد، باب فضل الطهور بالليل والنهار..، حديث رقم (١١٤٩).

**مسلم**: كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل بلال رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، حديث رقم (٢٤٥٨).

ويعبر العلماء رحمهم الله عن المسلمين بهذا الاسم لكونهم يجتمعون في هـٰذا الأمر، فالكل يجتمع، كل من ادعى الإسلام فإنه لا بد أن يتوجه إلىٰ القبلة، وقد قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كما في الصحيح: **((من استقبل قبلتنا وذبح ذبيحتنا -أو نسك نسيكتنا- فهو المسلم الذي له ما للمسلمين وعليه ما على المسلمين))**[1]. وهـٰذا يبين أن كل من اتصف بهذا الوصف فإنه من أهل القبلة، فهـٰذا الوصف مأخوذ من هـٰذا الحديث ونظائره.

ويوصف أهل الإسلام بأنهم أهل الصلاة؛ ولذلك سمّى بعض من ألف في مقالات المسلمين قال: ومقالات المصلين. يريد بذلك أهل الإسلام، فقوله رحمه الله: (**ولا نَجْزِمُ لأحدٍ مِنْ أهلِ القِبْلَةِ**) يعني لأحد من أهل الإسلام (**بجَنَّةٍ ولا نَارٍ**) أي لا نقول إنه في الجنة ولا نقول إنه في النار، (**إلاَّ مَنْ جَزَمَ لَهُ الرّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**) فلا نجزم لمعين بأنه في الجنة إلا إذا جاءنا الخبر عن الله أو عن رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولا أنه في النار إلا إذا جاء الخبر عن الله أو عن رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

يقول: (**لَكِنَّا نَرجو للمُحْسِنِ ونَخَافُ على المُسيءِ**) . نرجو الإثابة والفضل والأجر والجنة للمحسن، والمحسن هو الذي حقق الإسلام بالعمل الصالح والنية الخالصة، هـٰذا هو المحسن، وأما المسيء فهو من خالف ذلك: إما فساد في العمل، وإما فساد في النية.

فالمحسن نرجو له فضل الله عز وجل ورحمته، وأما المسيء فإننا نخاف عليه، وذلك أن الحساب بين يدي الله عز وجل لا يجري على الظواهر فحسب؛ بل إنه يجري على ما يقوم في القلب.

وقد يظهر من الإنسان الاستقامة وحسن الحال والباطن على خلاف ذلك، فالعبرة بما يقوم بالقلوب وتصدِّقه الأعمال، كما في حديث أبي هريرة في صحيح الإمام مسلم قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **((إن الله لا ينظر إلى صوركم ولا إلىٰ أجسادكم، ولكن ينظر إلىٰ قلوبكم))** وفي رواية: **((وأعمالكم))**[2]. فالنظر والحساب والجزاء على ما يقوم في القلوب من الإيمان والتصديق وحسن الاعتقاد الذي يتبعه صلاح العمل، فإنه لا يمكن أن يستقيم القلب ويصلح وتكون الجوارح على خلاف ذلك ما لم يوجد مانع.

---

([1]) **البخاري**: كتاب الصلاة، باب فضل استقبال القبلة، الحديث رقم (٣٩١-٣٩٣).

([2]) **مسلم**: كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم دم المسلم..، حديث رقم (٢٥٦٤).

فهمنا من كلام المؤلف رحمه الله أن الشهادة والجزم بالجنة لا يمكن أن يكون إلا لمن شهد له النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأخبر، وكذلك الشهادة بالنار لا يمكن أن تكون إلا لمن أخبر به النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه من أهل النار، وقد أخبر النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ بل جاء في الكتاب الخبر عن جماعة أنهم من أهل النار.

من ذلك على وجه التعيين أبو لهب وامرأته، فقد شهد الله لهما بالنار: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ (١) مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ (٢) سَيَصْلَى نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ (٣) وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ (٤) فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ (٥)﴾[1]. فهذان شهد لهما الله جل وعلا بأنهما من أهل النار.

كذلك جاءت الشهادة لمعينين بالنار، كشهادة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لعمرو بن عامر الخزاعي أول من بدل دين إبراهيم عليه السلام من العرب بأنه في النار، حيث قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعلى آله وَسَلَّمَ: ((رأيته يجر قصبه في النار)) وهٰذا يدل على أنه في النار.

فالشهادة للمعينين جاءت في خبر رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

كذلك شهد لأبي طالب بأنه في النار.

وجاء في صحيح مسلم الخبر عنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن أباه في النار، لما سأله الرجل عن أبيه فقال: ((أبوك في النار))؟ كأن الرجل وجد في نفسه واشتد عليه الأمر فهوّن عليه النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الخبر فقال له: ((إن أبي وأباك في النار)).[2]

فهٰذه شهادة لمعينين؛ لكن هل هٰؤلاء من أهل القبلة؟ الجواب: لا، ليسوا من أهل القبلة؛ لأنهم ممن لم يبعث فيهم النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كانوا قبله، أما أهل القبلة فإنه لا يجوز الشهادة لأحد منهم مهما بلغ عصيانه وساءت أحواله وكثرت سيئاته أن يشهد له بالنار، ما لم يرتكب مكفراً يخرج به عن ملة الإسلام ويخلع به عن رقبته ربقة الإيمان، فبهذه الحال يكون كافراً مرتدّاً.

أما ما مادام عصيانه لا يصل به إلىٰ حد الكفر، فإنه لا يحكم بكفره ولا يشهد له بالنار.

كذلك الشهادة بالنار للمرتد هٰذه محل خلاف بين أهل العلم؛ لأن كلام المؤلف الآن في الناس عموماً أو في أهل القبلة؟ كلامه في أهل القبلة.

---

([1]) سورة : المسد.

([2]) **مسلم**: كتاب الإيمان، باب بيان أن من مات على الكفر فهو في النار..، حديث رقم (٢٠٣).

طيب غير أهل القبلة من الكفار هل يشهد لهم بالنار؟ اختلف في هـٰذا العلماء على قولين:

منهم من قال: إنه يشهد لمن علم موته على الكفر بأنه في النار.

وقال آخرون: إن عقد أهل السنة والجماعة أن لا نشهد لمعين بجنة ولا نار، ولو كان من أهل الكفر؛ لأننا ما نعلم حكم الله فيه؛ لكننا من حيث الحكم الدنيوي نحكم بكفره وأنه من أصحاب الجحيم على وجه العموم، أما على وجه التعيين فنحتاج إلىٰ نص ودليل.

فهـٰذه المسألة فيها قولان لأهل العلم، لكل قول ما يسنده ويعضده، والسلامة أن لا نشهد لمعين بنار حتى يقوم الدليل والنص والخبر عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بذلك.

ثم قال رحمه الله:

**(ولاَ نُكفِّرُ أحدًا مِنْ أهلِ القِبلةِ بذَنْبٍ، ولاَ نُخرْجُهُ عَنِ الإسلامِ بعَمَلٍ.**

**ونَرَى الحَجَّ والجِهَادَ ماضيين مع طاعَةِ كلِّ إمامٍ بَرًّا كان أو فَاجرًا، وصلاةُ الجمعةِ خلفَهم جائزةٌ.**

**قال أنَسٌ: قال النبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((ثَلاَثٌ مِنْ أصْلِ الإيمَانِ: الكَفّ عن مَنْ قَالَ: لاَ إلَهَ إلاّ الله. وَلاَ تُكَفّرْهُ بِذَنْبٍ، وَلاَ تُخرِجْهُ مِنَ الإسْلاَمِ بعَمَلٍ. وَالْجِهَادُ مَاضٍ مُنْذُ بَعَثَنِي الله عزّ وجلّ حتّى يُقَاتِلَ آخِرُ أُمّتِي الدّجّالَ، لاَ يُبْطِلُه جَوْرُ جَائِرٍ وَلاَ عَدْلُ عَادِلٍ، وَالإيْمَانُ بالأقْدَارِ)).[1] رواه أبو داود) .**

يقول رحمه الله: (**ولاَ نُكفِّرُ أحدًا مِنْ أهلِ القِبلةِ بذَنْبٍ**)، معنى قوله رحمه الله: (**ولاَ نُكفِّرُ**) أي لا نحكم بالكفر، على أحدٍ (**مِنْ أهلِ القِبلةِ**) أي من أهل الإسلام الذين ثبت إسلامهم بإقامة الصلاة واستقبال البيت، (**بذَنْبٍ**) أي بسبب ذنب، وقوله: (**بذَنْبٍ**) يشمل الصغير والكبير، الدقيق والجليل من الذنوب، ما عدا ما يحصل به الكفر والردة.

فمن كفر بالله عز وجل كفّرناه.

ومن سب النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أو كذّبه كفرناه.

ومن امتهن القرآن ودنسه كفرناه.

فقوله رحمه الله: (**بذَنْبٍ**) يعني من كبائر الذنوب التي لم يأت النص بأنها كفر؛ كشارب الخمر والزاني والسارق، وغير ذلك من أصحاب الكبائر والذنوب، فإنه (**لاَ نُكفِّرُ أحدًا مِنْ أهلِ القِبلةِ بذَنْبٍ**)؛ لأن الأصل أن من كان إسلامه ثابتاً بيقين فإنه لا ينقل عنه إلا بيقين، وهـٰذه قاعدة مهمة

---

([1]) **سنن أبي داوود**: كتاب الجهاد، باب في الغزو مع أئمة الجور، حديث رقم (٢٥٣١). قال الشيخ الألباني: ضعيف.

يستفيدها طالب العلم، لا سيما عند الاشتباه هل هٰذا وقع في مكفر أو لا؟ الأصل بقاء ما كان على ما كان، وأن من حكم بإسلامه فهو باقٍ على هٰذا الوصف، لا يرتفع عنه إلا بدليل.

فإذا اشتبه الإنسان هل هٰذا يحصل به الكفر أو لا يحصل به الكفر؟ فالأصل أنه لا يحصل به الكفر، الأصل أنه باق على الإسلام.

(**وَلاَ نُكفِّرُ أحدًا مِنْ أهلِ القِبلةِ بذَنْبٍ**) ينبغي أن تقيد هٰذه الجملة بما عدا ما وقع الخلاف فيه بين أهل العلم من المسائل هل يكفر بها صاحبها أو لا.

فهناك من المسائل ما وقع فيها الخلاف بين العلماء وهي من جملة الذنوب، فمثلاً ترك الصلاة هٰذا من الذنوب، اختلف فيه العلماء رحمهم الله من حيث الكفر على قولين: فمنهم من يرى التكفير بترك الصلاة ولو كانت صلاة واحدة إذا تركها عمداً دون عذر حتى خرج وقتها، فمن العلماء من يرى أنه يكفر بهذا؛ لقول النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((**العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة، فمن تركها فقد كفر**))[1]. وللحديث الآخر قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((**بين الرجل والشرك –أو الكفر– ترك الصلاة**)).[2] فهٰذا خارج عن قول المؤلف رحمه الله: (**وَلاَ نُكفِّرُ أحدًا مِنْ أهلِ القِبلةِ بذَنْبٍ**) فما وقع فيه الخلاف بين أهل العلم من الذنوب هل يكفر به صاحبه أو لا؟ فإنه لا يدخل في هٰذه الجملة؛ لوقوع الخلاف بين السلف فيه.

المقصود بالذنوب ما اتفق العلماء على أنه ذنب كالكبائر من الزنى وشرب الخمر وما أشبه ذلك، أما أركان الإسلام فقد اختلف العلماء رحمهم الله في تاركها يكفر أو لا، الصلاة والزكاة والصيام والحج، الخلاف فيها مشهور بين العلماء في تاركها هل يحكم بكفره أو لا، فهٰذه خارجة عن بحثنا.

---

(1) **سنن الترمذي**: كتاب الإيمان، باب ما جاء في ترك الصلاة، حديث رقم (٢٦٢١).
**سنن ابن ماجه**: كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، باب ما جاء فيمن ترك الصلاة، حديث رقم (١٠٧٩).
**سنن النسائي**: كتاب الصلاة، باب المحاسبة على الصلاة، حديث رقم (٤٦٣).
قال **الشيخ الألباني**: صحيح.

(2) **سنن الترمذي**: كتاب الإيمان، باب ما جاء في ترك الصلاة، حديث رقم (٢٦١٩).
**سنن ابن ماجه**: كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، باب ما جاء فيمن ترك الصلاة، حديث رقم (١٠٧٨، ١٠٨٠).
**سنن النسائي**: كتاب الصلاة، باب المحاسبة على الصلاة، حديث رقم (٤٦٤).
قال **الشيخ الألباني**: صحيح.

قوله رحمه الله: (**ولاَ نُخرِجُهُ عَنِ الإسلامِ بِعَمَلٍ**) ما لم يكن هـٰذا العلم ينتقض به إسلامه، ويرتفع به عنه وصف الإسلام.

مثاله: الذبح لغير الله، هـٰذا عمل أو ليس بعمل؟ هل نخرجه من الإسلام بذلك؟ الجـواب: نعـم؛ لكن المقصود بالعمل يعني ما كان من كبائر الذنوب والخطايا والآثام، أما الشرك فإنه كفر، ﴿**إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللّهُ عَلَيهِ الْجَنَّةَ**﴾[1] فلا بد من الحكم بمقتضى ما قام بالإنسان من وصف، فـإذا قام به وصف الكفر مع اعتقاده دون عذر، مع توفر الشروط وانتفاء الموانع فإنه يحكم بكفره.

ثم قال رحمه الله: (**ونَرَى الحَجَّ والجِهَادَ ماضِيين مع طاعَةِ كلِّ إمامٍ بَرًّا كان أو فَاجِرًا**)، وهـٰذا بيان لعقد أهل السنة والجماعة في هذا الشأن، وهو ما يتعلق بنظر أهل السنة والجماعة للأئمة وهم ولاة الأمر الذين يتولون أمر أهل الإسلام.

يقول: (**نَرَى الحَجَّ والجِهَادَ**) لماذا ذكر الحج والجهاد؟ لأن الحج والجهاد من الأعمال التي لا بد فيها من الاجتماع، ولا بد لكل اجتماع من أمير يُصدر عن رأيه ويرجع إليه في تدبير شأنه، فـذكر الحـج والجهاد ليس قصْراً على هذين العملين؛ بل هو نموذج للأعمال التي تحتاج إلىٰ اجتماع.

فقوله رحمه الله: (**نَرَى الحَجَّ والجِهَادَ**) لأنها من العبادات التي يحتاج فيها الناس إلىٰ رأس وإلى أمـير يأتمرون به ويقتدون بعمله ويسيرون خلفه يرتبهم وينظمهم ويدير شؤونهم ويصلح أمورهم:

لا يصلح الناس فوضى لا سراة لهم		ولا سراة إذا جهالهم سـادوا

فلا بد للناس في مثل هـٰذه الاجتماعات من تدبير، ولذلك نص العلماء رحمهم الله على مضيّ الجهاد و الحج مع كل أمير برّاً كان أو فاجراً.

(**ونَرَى الحَجَّ والجِهَادَ ماضيين**) أي قائمين، لا يجوز إبطالهما ولا التوقف عنهما لفساد من يتولاهما أو لتقصيره.

ولذلك قال: (**مع طاعَةِ كلِّ إمامٍ بَرًّا كان أو فَاجِرًا**).( **برّاً**) أي قائماً بالطاعة عاملاً بها عادلاً بين الخلق، (**أو فَاجِرًا**) أي فيما يتعلق بنفسه أو فيما يتعلق بولايته.

فيما يتعلق بنفسه كأن يكون شارباً للخمر، أو زانياً، أو غاشّاً.

---

(1) سورة : المائدة (٧٢).

فيما يتعلق برعيته كالغاش أو الذي يظلم ويأخذ حقوق الناس، فإن هذا يجب له من الطاعة ما يجب لغيره من ولاة الأمر؛ لما أخبر به النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من وجوب الاجتماع والطاعة حتى ولو حصل التقصير من ولي الأمر. وهـٰـذا مما تميز به أهل السنة والجماعة، وإنما تميزوا به لاستمساكهم بهدي النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولاستمساكهم بما أرشد إليه الله عز وجل من الاعتصام بحبله والاجتماع على طاعته، وحذراً وتجنباً لما نهى عنه من الفرقة والاختلاف، فإن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى نهى عن الفرقة والاختلاف.

ولو أن كل أحد رأى من أميره أو إمامه أو وليه ما يكره من المعصية فيكون ذلك مسوغاً لترع يده عنه وعدم طاعته لما استقام الأمر لأحد؛ لأنه ما من أحد إلا ويخطئ، وما من أحد إلا وعنده تقصير، يتفاوت التقصير؛ لكن ينبغي للمؤمن أن يصبر على الخطأ وألا يوافق على المعصية، لكن ينبغي له ألا يترع يداً من طاعة، كما دلت على ذلك النصوص المتضافرة.

يقول رحمه الله: (**وصلاةُ الجمعةِ خلفَهم جائزةٌ**) صلاة الجمعة وهي الاجتماع خلفهم مع فجورهم وتقصيرهم جائزة، أي تبرأ بها الذمة، وقوله: (**جائزةٌ**) رد على من يرى أنه لا يجوز الصلاة خلف أئمة الجوْر، ولا يعني أن الإنسان مخير بين أن يصلي أو لا يصلي؛ بل الواجب عليه أن يصلي خلفهم، وإنما ذكر الجواز هنا لا لاستواء الطرفين، إنما لرد قول من يقول: إنه لا يصلى خلفهم.

وقد صلى صحابة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خلف الحجاج، وحجوا مع الحجاج، مع ظلمه وظهور شره وقتله لأهل الفضل والعلم وتسلطه على عباد الله، مع ذلك لم يترعوا يداً من طاعة؛ بل صلوا خلفه وحجوا معه، ولم يكن في ذلك تثريب عليهم؛ بل كانوا في ذلك مهتدين بهدي النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ متبعين لسنته.

ثم قال رحمه الله: (**قال أنسٌ: قال النبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((ثَلاَثٌ مِنْ أصْلِ الإيمَانِ))**). (**ثَلاَثٌ**) أي ثلاث خصال وصفات ((**مِنْ أصْلِ الإيمَانِ**)) أي من قواعده وأسسه التي يُبنى عليها، ((**الكَفّ عن مَنْ قَالَ: لاَ إلَهَ إلاّ الله**)). ثم بيّن قال: ((**وَلاَ تُكَفِّرْهُ بِذَنْبٍ وَلاَ تُخْرِجْهُ مِنَ الإسْلاَمِ بِعَمَلٍ**)) ثم قال: ((**وَالْجِهَادُ مَاضٍ مُنْذُ بَعَثَني الله عزّ وجلّ حتّى يُقَاتِلَ آخِرُ أُمّتِي الدّجّالَ، لاَ يُبْطِلُه جَوْرُ جَائِرٍ وَلاَ عَدْلُ عَادِلٍ، وَالإيمَانُ بالأقْدَارِ**)) فاجتمع لنا في هـٰـذا الحديث ثلاث خلال:

الصفة الأولى قوله: ((**الكَفّ عن مَنْ قَالَ: لاَ إِلَهَ إِلاّ الله**)) ثم بين معنى (الكف) قال: ((**وَلاَ تُكفّرْهُ بِذَنْبٍ وَلاَ تُخْرِجهُ مِنَ الإِسْلاَمِ بِعَمَلٍ**))، فهـٰذا معنى الكف عمن قال: لا إلـٰه إلا الله، ((**لا تُكفّرْهُ بِذَنْبٍ**)) ما لم يكن هـٰذا الذنب مكفراً ودلت النصوص على أنه كفر ((**وَلاَ تُخْرِجْهُ مِنَ الإِسْلاَمِ بِعَمَلٍ**)) ما لم تدل النصوص الأخرى على أنه من الكفر والشرك الذي يخرج به الإنسان عن ملة الإسلام.

ثم قال: (**والحَجُّ والجِهَادَ ماضيان**) ماضيان أي مستمران لا ينقطعان ولا يقفان (**مُنْذُ بَعَثَنِي الله عزّ وجلّ حتّى يُقَاتِلَ آخِرُ أُمّتِي الدّجّالَ**) وذلك بقيادة عيسىٰ بن مريم عَلَيْهِ السَّلاَمُ.

يقول: (**لاَ يُبْطِلُه**) أي لا يبطل الحج (**جَوْرُ جَائِر**) أي ظلم ظالم (**وَلاَ عَدْلُ عَادِلٍ**)، بل هو ماضٍ باقٍ، إلىٰ قيام الساعة.

قال: (**وَالإِيمَانُ بالأَقْدَارِ**) هـٰذا ثالث ما يجب من الأصول التي ذكرها النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في هـٰذا الحديث.

قال المؤلف رحمه الله: (**رواه أبو داود**) وهـٰذا الحديث أخرجه أبو داود وسكت عنه، وقد ذكر أبو داود في سننه أن ما رواه وسكت عنه فإنه حسن عنده؛ إلا أن هـٰذا الحديث في بعض رجاله بعض المقال الذي يقصر به عن درجة الصحة، وما جاء فيه من خلال هي خلال تشهد لها الأحاديث الأخرى، فلا إشكال فيما تضمنه من المعاني.

ثم ذكر المؤلف رحمه الله ما يجب لأصحاب النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأزواجه، نجعل هـٰذا إن شاء الله تعالىٰ في الدرس القادم، والله تعالىٰ أعلم وصلى الله وسلم على نبينا محمد.

# شرح لمعة الاعتقاد

# الهادي إلى سبيل الرشاد

لموفق الدّين بن قدامة المقدسي رحمه الله

لفضيلة الشيخ

خالد بن عبد الله المصلح

الدرس التاسع عشر

www.almosleh.com

## بسم الله الرحمن الرحيم

قال الإمام موفق الدِّين أبو محمد عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي رحمه الله تعالىٰ:

**(ومِنَ السُّنّةِ تَوَلِّي أصحاب رسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ومحبَّتُهُم، وذِكْرُ محاسنهم، والتَّرَحُّمُ عليهم، والاستغفارُ لهم، والكَفُّ عن ذِكْرِ مساوئِهم، ومَا شَجَرَ بَيْنَهُم، واعتِقادُ فَضْلِهِم، ومعرفةُ سابِقَتِهِم. قال الله تعالىٰ: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بالإِيمان وَلا تَجْعَلْ فِي قُلُوبنا غِلاًّ لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾،[1] وقال تعالىٰ: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾.[2]**

**وقال النبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((لا تَسبّوا أصحابي، فإنّ أحدَكم لو أنفقَ مثلَ أُحُدٍ ذهَباً ما بَلغَ مُدّ أحدِهِم ولا نَصيفَه)))[3].**

بسم الله الرحمـٰن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وأصلي وأسلم على نبينا محمد المبعوث رحمة للعالمين، وعلى آله وأصحابه ومن اتبع سنته بإحسان إلىٰ يوم الدين.

أما بعد:

فيقول المؤلف رحمه الله في بيان ما يجب عقْده فيما يتعلق بصحابة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **(ومِنَ السُّنّةِ تَوَلِّي أصحاب رسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)**، **(ومِنَ السُّنّةِ)** أي التي يجب اعتقادها والعمل بها، وليس المقصود بالسنة هنا السنة الاصطلاحية التي يثاب فاعلها ولا يعاقب تاركها؛ بل السنة هنا الطريقة التي يسلكها أهل السنة والجماعة فيما يتعلق بالصحابة رَضِيَ اللهُ عَنْهُم.

**(تَوَلِّي أصحاب رسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)** والتولي مـأخوذ من ولي الشيء إذا والاه؛ أي قرب منه، والمقصود بالتولي هنا القرب من صحابة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وذلك بمحبتهم وإجلالهم وتقديرهم ومعرفة سابقتهم، وما ذكره المؤلف رحمه الله مما يجب لهم.

---

[1] سورة : الحشر (١٠).

[2] سورة : الفتح (٢٩).

[3] **البخاري**: كتاب فضائل الصحابة، باب قول النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **((لو كنت متخذاً خليلاً))**، حديث رقم (٣٦٧٣).
**مسلم**: فضائل الصحابة، باب تحريم سب الصحابة، حديث رقم (٢٥٤١).

فقوله: (**ومِنَ السُّنّةِ تَوَلِّي أصحاب رسولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**) هـٰذا بيان مجمل لما يجب للصحابة رَضِيَ اللهُ عَنْهُم.

ثم جاء تفصيل ذلك في قوله: (**ومحبَّتُهُم، وذِكْرُ محاسنِهم، والتَّرَحُّمُ عليهم، والاستغفارُ لهم، والكَفُّ عن ذِكْرِ مساوئِهم، ومَا شَجَرَ بَيْنَهُم، واعتِقادُ فَضْلِهِم، ومعرِفةُ سابِقَتِهم**) . كل هـٰذا إنما هو من معاني التولي، فإن من لوازم التولي ما ذكره رحمه الله من هـٰذه الواجبات التي تجب لصحابة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قول المؤلف رحمه الله: (**تَوَلِّي أصحاب رسولِ اللهِ**)، (**أصحاب**) جمع صاحب والصاحب هو من لقي النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مؤمناً به ومات على ذلك ولو كان ذلك ساعة من نهار، فالصحبة اسم جنس يصدق على كل من لقي النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مؤمناً به ومات على ذلك ولو كان ذلك ساعة من نهار؛ لكن لا شك أن الأصحاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُم يتفاوتون في الحقوق بقدر تحقق الصحبة لهم، فالذين صحبوه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أطول وكانت صحبتهم أحسن وأكمل لهم من الحق والفضيلة والمزية ومن هـٰذه الأمور المذكورة أكثر ممن قصُر نصيبه من ذلك.

فالصحبة وصف كلما ازداد في الشخص تحققه علا حقه وارتفعت قدمه فيما ذكره المؤلف من المحبة وذكر المحاسن.

أعلى الصحابة صحبة هو أبو بكر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، فله من المحبة والفضل والسبق والتولي ما ليس لغيره من صحابة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

على سبيل المثال من أسلم بعد الفتح ليس كمن أسلم قبل الفتح، كما ميّز الله جل وعلا ذلك فقال: ﴿**لا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلاًّ وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى**﴾[1]. فهـٰذه الآية ميّزت بين طبقات جماعات من الصحابة؛ من أسلم بعد الفتح –وهو صلح الحديبية– دون من أسلم قبل الفتح، فحق الذين أسلموا قبل الفتح من المحبة وذكر المحاسن والترحم والاستغفار والولاية أعظم من حق من جاء بعد ذلك. لماذا؟ لأن من قبل الفتح تحقق الصحبة فيهم أعظم من تحقق الصحبة فيمن جاء بعد الفتح.

---

([1]) سورة : الحديد (١٠).

هـٰذا معنى قولنا: الصحبة وصف يزداد الحق بازدياد هـٰذا الوصف، فكلما ازداد نصيب الإنسان من صحبة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ازداد حقه من هـٰذه الخصال التي ذكرها المؤلف رحمه الله.

يقول رحمه الله: (**ومِنَ السُّنّةِ تَوَلِّي أصحابِ رسولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ومحبَّتُهُم**) محبة قلبية؛ وذلك لما كانوا عليه من عظيم الإيمان وصدق اليقين ورسوخ القدم في سبيل المتقين، وما كانوا عليه من الذب عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وما كانوا عليه من الدعوة إلىٰ الله عز وجل والنصح للخلق، فهم رَضِيَ اللهُ عَنْهُم لهم القدم المعلّى الذي لا يمكن أن يلحق في هذه الأمور كلها رَضِيَ اللهُ عَنْهُم.

ويكفيهم فضلاً أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال فيهم: ((**خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم**))[1]. فهم خير الناس وقد قال الله جل وعلا، هم أحق من يدخل في قوله تعالىٰ:﴿**كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ**﴾،[2] وهم أحق من يدخل في قول الله تعالىٰ: ﴿**وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا**﴾؛[3] بل هم المعنيون بقوله تعالىٰ: ﴿**وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ**﴾ [4]. فالمهاجرون والأنصار السابقون منهم هم الذين رَضِيَ اللهُ عَنْهُم رضاً مطلقاً، فلم يقيد ذلك باتباع بإحسان أو بإحسان فيما كان منهم، بل قال: ﴿**وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ**﴾ فاشترط الإحسان في التابعين لا فيهم هم رَضِيَ اللهُ عَنْهُم ﴿**رَّضِيَ اللّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ**﴾ فهم رَضِيَ اللهُ عَنْهُم لهم من الفضائل ما ليس لغيرهم، ولهم من المنزلة والمكانة ما ليس لغيرهم، فحقُّهم أن يحبوا؛ لأن محبة الصالحين من عبادة الله عز وجل ومن طاعته التي يؤجر عليها الإنسان ويثاب عليها.

---

(1) **البخاري**: كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل أصحاب النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حديث رقم (٣٦٥١). عن ابن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

**مسلم**: كتاب فضائل الصحابة، باب فضل الصحابة رَضِيَ اللهُ تعالىٰ عَنْهُم ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم، حديث رقم (٢٥٣٣). عن عمران بن حصين رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(2) سورة : آل عمران (١١٠).

(3) سورة : البقرة (١٤٣).

(4) سورة : التوبة (١٠٠).

فينبغي للمؤمن أن يستشعر هـٰذا المعنى وأن يلاحظه، فليست المحبة لكوننا مأمورين بمحبتهم؛ بل نحن نحبهم محبة قلبية؛ لما كانوا عليه من الفضل، ولما كانوا عليه من الخير، ولما وصلنا عن طريقهم من الشريعة، فهم حفظة الشريعة وحملتها رَضِيَ اللهُ عَنْهُم.

يقول: (**وذِكْرُ محاسنِهم**) فالواجب ذكر محاسنهم؛ لأن ذكر المحاسن مما يزداد به حبهم ويزداد به توليهم.

(**والتَّرَحُّمُ عليهم**) أي والواجب أيضاً أن نترحم عليهم، أي أن ندعو لهم بالرحمة والمغفرة وأن ندعو لهم بالرضا وبكل خير.

(**والاستغفارُ لهم**) أي طلب المغفرة لهم؛ لأنه ما من إنسان إلا ويخطئ، كما قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((**كل ابن آدم خطاء، وخير الخطائين التوابون**))[1]. فنحن لا نقول إنهم معصومون؛ لكننا نقول: هم من السبق والفضل والمكانة والخير والتقوى بما يستوجب أن يحبُّوا وأن يذكروا بإحسان وأن يترحم عليهم وأن يستغفر لهم رَضِيَ اللهُ عَنْهُم.

يقول رحمه الله: (**والكَفُّ عن ذِكْرِ مسَاوِئِهم**) الكف الامتناع، (**عن ذِكْرِ مسَاوِئِهم**) أي عن ذكر ما ينسب إليهم من المساوئ، ولا يلزم أن تكون هـٰذه المساوئ صحيحة النسبة لهم؛ بل سواء كانت صحيحة النسبة أو لم تصح الواجب الكف عن مساوئهم؛ لأنهم رضي الله عنهم قد رضي الله عنهم، ومن رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فلا يسوغ لمؤمن أن يبحث عن عيوبه أو أن يتلقط زلاته، أو أن يبحث عن عثراته، فإن هـٰذا مما يضعف مكانتهم وينزل منزلتهم التي أنزلهم الله عز وجل إياها.

ثم اعلم أن كثيراً مما يذكر من المساوئ المنسوبة إلىٰ الصحابة:

- إما أنها آثار لا تصح.
- وإما أنها صحيحة لكنْ فيها زيادة ونقص.
- وإما أنها غُيِّرت عن الوجه الذي جاءت به، فبدل أن تكون إحساناً حُولت إلىٰ أن تكون سيئة ومثلبة.

هـٰذا فيما نقل.

---

([1]) **سنن الترمذي**: كتاب صفة القيامة والرقائق والورع، باب (٤٩)، حديث رقم (٢٤٩٩).
**سنن ابن ماجه**: كتاب الزهد، باب ذكر التوبة، حديث رقم (٤٢٥١).

كذلك إذا ثبت هـٰذا الذي ينسب إليهم، فالواجب أن نعتقد أنهم مجتهدون رَضِيَ اللهُ عَنْهُم، لا يخلو حالهم من إصابة فيكون لهم أجران، أو أن يكونوا قد أخطؤوا فيكون لهم أجر رَضِيَ اللهُ عَنْهُم.

وهـٰذا لا يعني أننا نقول: إنهم معصومون كما تقدم قبل قليل؛ لكننا نعتقد فيهم كل خير ونعتقد فيهم كل بر، ونسأل الله لهم العفو والعافية والمغفرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُم وأرضاهم.

قال: (**ومَا شَجَرَ بَيْنَهُم، واعتِقادُ فَضْلِهِم**) يعني الكف عن ذكر مساوئهم وذكر ما شجر بينهم. (ما شجر) أي اشتبك واشتبه ووقع بينهم من خلاف.

الواجب الكف عما شجر بينهم، فلا يجوز لمؤمن يرغب النجاة ويحب السلامة أن يقع في ذكر ما وقع بين الصحابة من خلاف؛ بل الواجب الإعراض عن تلك الفتنة، وعدم الوقيعة فيها أو التكلم فيها أو ذكرها، فإن الواجب الإعراض عن ذلك.

قال رحمه الله: (**واعتِقادُ فَضْلِهِم، ومعرِفةُ سابِقَتِهِم**) . فالواجب أن نعتقد فضلهم رَضِيَ اللهُ عَنْهُم وأن نعرف ما لهم من السابقة والمكانة، ولذلك قال: (**واعتِقادُ فَضْلِهِم، ومعرِفةُ سابِقَتِهِم**) .وأنهم سبقوا إلى الخير وسبقوا إلىٰ الفضل وسبقوا إلىٰ نصرة الشريعة ونصرة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آله وَسَلَّمَ.

استدل المؤلف رحمه الله لما تقدم من واجبات في حق صحابة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: (**قال الله تعالىٰ: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإيمان وَلا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلاًّ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ (١٠)﴾**[1]). هـٰذه الآية جاء في سياق بيان الذين يستحقون الأخذ من الفيء، والفيء هو ما يوقف عليه من أموال الكفار بلا قتال، فجعل الله عز وجل الحق فيها ﴿**لِلْفُقَرَاء الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ**﴾،[2] ثم ذكر الله عز وجل ممن يستحق الفيء بعد ذكر المهاجرين والأنصار ﴿**وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ**﴾ أي من بعد المهاجرين والأنصار، لكن ليس كل من جاء بعدهم إنما من كان على هـٰذه الصفة: ﴿**يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإيمان وَلا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلاًّ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ (١٠)**﴾. فهـٰذا فيه الدعوة لهم بالرحمة والدعوة لهم بالمغفرة.

---

(١) سورة : الحشر (١٠).

(٢) سورة : الحشر (٨).

(وقال تعالىٰ: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ [1]). وهـٰذا من أبرز ما تميز به الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُم: أنهم أشداء على أعداء الله الذين يحادّون الله ويكذبون رسله، وهم فيما بينهم أهل رحمة وتواضع وخفض جناح وذلة وتقارب، حتى إنه وصفهم الله عز وجل بهذا الوصف في قوله تعالىٰ: ﴿رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ الرحماء جمع رحيم، والرحيم هو الذي يسعى في إيصال الخير وقطع الشر عن المرحوم، فهم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُم كانوا يسعون في إيصال كل خير لكل من يعرفونه من أهل الإسلام، ويسعون في قطع كل شر عمن يعرفونه من أهل الإسلام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُم وأرضاهم.

وكفى بتزكية الله عز وجل لهم تزكية في هـٰذه الآية وفي غيرها من الآيات.

(وقال النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((لا تَسبّوا أصحابي، فلو أنّ أحدَكم أنفقَ مثلَ أُحُدٍ ذهَباً ما بَلغَ مُدّ أحدِهم ولا نَصيفَه)) [2]). هـٰذا الحديث رواه الإمام البخاري ومسلم من حديث أبي سعيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وقد ذكر مسلم له قصة وهي أن شيئاً وقع بين خالد بن الوليد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وبين عبد الرحمـٰن بن عوف، فتكلم خالد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في عبد الرحمـٰن، سبَّه، فبلغ ذلك النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((لا تَسبّوا أصحابي)) يقول هـٰذا لمن؟ النهي موجه لمن؟ لخالد بن الوليد، خالد صحابي أو ليس بصحابي؟ خالد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ صحابي؛ لكنه من الذين أسلموا بعد الفتح، أي بعد صلح الحديبية، فهو ممن تأخر إسلامه، فنهى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أصحابه الذين تأخر إسلامهم أن يسبوا وأن يتكلموا فيمن تقدم إسلامهم، كعبد الرحمـٰن بن عوف وغيره من الصحابة الذين أسلموا قبل الفتح؛ لما لهم من المكانة والمنزلة، فكيف بمن جاء من غير الصحابة من بعدهم؟

حق الصحابة فيما بينهم إذا كان يتفاضلون هـٰذا التفاضل، ففضل الصحابة على وجه الإجمال على من بعدهم كفضل الأولين منهم على المتأخرين.

معنى هـٰذا أن هـٰذا النهي نهي لكل مسلم أن يسب أحداً من أصحاب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، سواء كان ممن تقدم إسلامه أو ممن تأخر إسلامه؛ لأن نسبة من بعد الصحابة للصحابة كنسبة المتأخرين منهم إلىٰ المتقدمين.

---

([1]) سورة : الفتح (٢٩).

([2]) تم تخريجه في الصفحة: (٢).

وهـٰذا دليل لما ذكرنا قبل قليل من أنه كلما ازداد وصف الصحبة في شخص فإنه يستحق من الفضل والمكانة والمحبة وسائر ما يلزم من التولي أكثر من غيره، فإن عبد الرحمـٰن بن عوف يستحق من المحبة والتولي والاستغفار والترحم وما ذكر المؤلف رحمه الله أكثر ممن جاء بعده كخالد بن الوليد، وإن كان الجميع يشتركون في أصل الحق وهو التولي والمحبة والاستغفار والكف عن مساوئهم والكف عن ما شجر بينهم والاستغفار لهم، وما إلىٰ ذلك مما تقدم ذكره في كلام المؤلف.

فنهى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أهل الإسلام أن يسبوا أصحابه، فكل من كان صاحباً للنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فإنه لا يجوز سبه.

لكن أسأل أيهما أعظم وأشد في السب: أن يسب الإنسان أبا بكر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أو أن يسب وحشيّاً رَضِيَ اللهُ عَنْهُ؟ أن يسب أبا بكر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

أيهما أعظم: أن يسب عمر أو يسب من تأخر إسلامه أو من تأخر إيمانه من الصحابة رَضِيَ اللهُ عَنْهُم؟ لا شك أن سب عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أعظم.

ولذلك يجب أن يكف المؤمن عن سب كل صحابة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؛ لكن يشتد الأمر في المؤاخذة والذم بقدر ما يكون من الوقيعة فيهم رَضِيَ اللهُ عَنْهُم.

فمثلاً سب معاوية رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وهو ممن أسلم بعد فتح مكة وعمرو بن العاص رَضِيَ اللهُ عَنْهُ محرم، لكن سب أبي موسىٰ، وأبي هريرة أعظم من سب معاوية.

وكذلك سب طلحة والزبير وسعد وسعيد أعظم من سب أبي موسىٰ وأبي هريرة.

كذلك سب أبي بكر وعمر أعظم من سب من دونهم من الصحابة رَضِيَ اللهُ عَنْهُم.

فقوله: ((**لا تَسبّوا أصحابي**)) نهي عن سب الجميع، ويتأكد هـٰذا النهي في حق من عظمت منزلته في الصحبة، وطالت صحبته لرسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. ((**فإنّ أحدَكم لو أنفقَ مثلَ أُحُدٍ ذهَباً**)) أي مثل جبل أحد، وهو جبل معروف في المدينة في جهة الشمال منها، لو أنفق غير الصحابي مثل أحد ذهباً ((**ما بَلغَ مُدّ أحدِهم**) ) أي ما بلغ في الأجر والمثوبة قدر ما ينفق أحد المتقدمين من الصحابة ملء يديه، فالمد هو ملء اليدين، ونصيفه أي نصف المد.

وهـٰـذا يبين أن الفضل فيما يقوم في القلب، وأن السابقة لها فضل عند الله عز وجل، كما قال الله جل وعلا: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ (١٠)﴾[1]. فكل من سبق إلىٰ الفضل فله من المترلة والمكانة ما ليس لغيره ممن تأخر عن هـٰـذا الفضل وعن هـٰـذا الخير.

واضح معنى الحديث: ((**فإنّ أحدَكم لو أنفقَ مثلَ أُحُدٍ ذهَباً ما بَلغَ مُدّ أحدِهم**)) ما معنى ((**مُدّ أحدِهم**))؟ يعني قدر ما تملأ اليدين نفقة في سبيل الله، فإن نفقة الواحد منهم المد ونفقة الواحد منهم نصف المد خير من أن ينفق غيرهم مثل جبل أحد ذهباً.

يقول:

(**ومِنَ السُّنّةِ التَّرَضِّي عَنْ أَزْواجِ رسولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أُمَّهاتِ المؤمنينَ، المُطهَّراتِ، المُبَرَّآتِ مِنْ كلِّ سوءٍ، أفضلُهنّ خديجةُ بنتُ خُوَيْلِدٍ وعائشةُ الصّديقةُ بنتُ الصّديقِ التي بَرّأَهَا اللهُ فِي كتابِهِ، زوْجُ النبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الدنيا والآخرةِ، فمَنْ قَذَفَهَا بما بَرَّأَها اللهُ مِنْهُ فَقَدْ كَفَرَ باللهِ العظيم.**

**ومعاويةُ خالُ المؤمنينَ، وكاتِبُ وحْيِ اللهِ، وأحدُ خلفاءِ المسلمينَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُم**) .

قول المؤلف رحمه الله: (**ومِنَ السُّنّةِ التَّرَضِّي عَنْ أَزْواجِ رسولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**) قبل أن نتكلم عن هـٰـذا المقطع: ما حكم سب أصحاب رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟

سب أصحاب رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا يخلو من أحوال:

**الحال الأولى:** أن يسبهم بالكفر؛ بمعنى أن يكفر من علم إسلامه منهم، ويقول مثلاً: الصحابة كفروا إلا نفراً قليلاً، أو أنهم فسقوا جميعاً إلا نفراً قليلاً. فهـٰـذا لا شك في كفره.

**الحال الثانية من أحوال السب:** أن يسبهم ويلعنهم ولا يتهمهم بالكفر، فهـٰـذا لا شك أنه ذنب عظيم كبير يوجب المؤاخذة والعقوبة، وهـٰـذا باتفاق أئمة الدين، لا خلاف بينهم فيه.

**الثالثة:** أن يصفهم بما لا يقدح في دينهم من بخل أو ما أشبه ذلك، فهـٰـذا أيضاً من المحرمات.

والفارق بين هـٰـذا والذي قبله: أن الذي قبله قيل بكفر صاحبه، اختلف العلماء فيه على قولين:

فقيل: إنه يكفر.

وقيل إنه لا يكفر.

---

[1] سورة : الواقعة (١٠).

أما هـٰذا الذي هو سب بما يقدح فيهم وينقص منزلتهم لكن بما لا يلحقهم به نقص في دينهم فإنه يكون من الكبائر والآثام.

هـٰذه منازل ومراتب سب الصحابة رَضِيَ اللهُ عَنْهُم.

وأشهر من عرف بسب الصحابة الباطنية الرافضة عليهم من الله ما يستحقون، فإنهم يتقربون إلىٰ الله بسب الصحابة، وهم لا يزدادون بهـٰذا من الله إلا بعداً، ويسوغون هـٰذا ويبررونه بحب آل البيت، وأهل السنة والجماعة أعظم منهم حبّاً لآل البيت وأعظم منهم نصرة لله ورسوله، وجمعوا بين الفضيلتين، فلم يجعلوا بين حب آل البيت وحب الصحابة تعارضاً، بينما عندهم هم أنه لا ولاء إلا ببراء، لا ولاء لأهل البيت إلا بالبراءة من أبي بكر وعمر والسابقين الأولين من الصحابة رَضِيَ اللهُ عَنْهُم.

ونحن نقول: لا ولاء إلا بولاء، لا ولاء لأهل البيت إلا بمحبة وولاء صحابة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آله وَسَلَّمَ.

من جملة حقوق الصحابة ما بيّنه المؤلف رحمه الله في هـٰذا المقطع حيث قال: (**وَمِنَ السُّنَّةِ التَّرَضِّي عَنْ أَزْوَاجِ رسولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أُمَّهاتِ المؤمنينَ، الْمُطهَّراتِ، الْمُبَرَّآتِ مِنْ كلِّ سوءٍ**). أزواج النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أي من نكحهن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهن رَضِيَ اللهُ عَنْهُن أثنى الله عليهن وبيّن منزلتهن في قوله تعالىٰ: ﴿النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ﴾ أي أزواج النبي ﴿أُمَّهَاتُهُمْ﴾.[1] وهـٰذا الخبر من الله عز وجل فيه بيان ما لهن رَضِيَ اللهُ عَنْهُن من المنزلة، فهن أمهات المؤمنين.

ومعنى الأمومة هنا أي في الحرمة والاحترام والتوقير والإعظام والإكرام، وليست أمومة نسب بلا شك، وليست أمومة خلوة يعني أمومة تبيح الخلوة وتبيح ما يستبيحه الإنسان من النظر لأمه وما أشبه ذلك، إنما هي أمومة احترام وإجلال وتقدير؛ لما لهن رَضِيَ اللهُ عَنْهُن من المنزلة، فهن أزواج النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الدنيا وأزواجه في الآخرة.

المؤلف رحمه الله أثبت هـٰذا لجميع أزواج النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهو كذلك، فهن رَضِيَ اللهُ عَنْهُن في أصل هـٰذه المنزلة سواء؛ لاستحقاقهن ذلك.

---

(1) سورة : الأحزاب (٦).

يقول : (**المُطهَّراتِ، المُبَرَّآتِ مِنْ كلِّ سوءٍ**) المطهرات اللواتي طهرهن الله جل وعلا، وذلك في قوله تعالى: ﴿**إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا (٣٣)**﴾[1]. فلا شك أن المراد بأهل البيت في هـٰذه الآية زوجات النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فهن من أهل البيت بنص القرآن؛ لأن الكلام السّابق واللاحق كله كان في شأن نساء النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وقوله: (**المُبَرَّآتِ مِنْ كلِّ سوءٍ**) أي: إنهن سليمات بريئات من كل سوء يُلحقه أحد بهن.

وزوجات النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ منهن من توفي في حياته وهن: **خديجة** بت خويلد أول زوجات النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، **وزينب** بنت خزيمة الهلالية رَضِيَ اللهُ عَنْها، وهي المشهورة بأم المساكين، هاتان الزوجتان توفيتا في حياة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

بقي من أزواجه: **عائشة** بنت أبي بكر رَضِيَ اللهُ عَنْها، **وحفصة** بنت عمر، **وأم حبيبة** [رملة] بنت أبي سفيان، **وصفية** بنت حيي، **وزينب** بنت جحش، **وجويرية** بنت الحارث الهلالية، **وميمونة** بنت الحارث المخزومية، **وأم سلمة** هند بنت أبي أمية المخزومية، **وسودة** بنت زَمعة. تسع هن اللواتي توفي عنهن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أضف إليهن الثنتين فيكون المجموع إحدى عشرة امرأة تزوجها النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

هٰؤلاء هن زوجات النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولهن من الحق والمكانة ما ذكر رحمه الله.

ثم ذكر التفضيل بين زوجات النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (**أفضلُهنّ خديجةُ بنتُ خُوَيْلِدٍ**) وهي أولى زوجاته، (**وعائشةُ الصّديقةُ بنتُ الصّديقِ التي بَرّأَهَا اللهُ فِي كتابِهِ**)، ذكر المؤلف رحمه الله في الفضل عائشة وخديجة، وقد اختلف العلماء رحمهم الله في التفضيل بين هاتين الزوجتين من أزواج النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأما من بقي من الزوجات، فإنهن لم يذكرن، أي لم يذكر العلماء رحمهم الله التفضيل بينهن.

فالخلاف في التفضيل بين زوجات النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في خديجة وعائشة، فعلم بذلك أن أفضل زوجات النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هما خديجة بنت خويلد وعائشة بنت أبي بكر رَضِيَ اللهُ عَنْهُما.

أما أقوال العلماء:

فمنهم من قال: خديجة أفضل.

---

(1) سورة : الأحزاب (٣٣).

ومنهم من قال: عائشة أفضل.

ومنهم من توقف وقال: لا نفضل.

ومنهم من قال: إن خديجة أفضل من وجه، وعائشة أفضل من وجه: خديجة أفضل في صدر الإسلام؛ لما كان لها من المكانة في نصرة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وتثبيته على الرسالة وإعانته. وعائشة أفضل في آخر حياة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ لما كان لها من حفظ الشريعة وحسن التبعل للنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حتى إنه لما سأله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رجل: من أحب الناس إليك؟ قال: ((عائشة))، ثم قال: فمن الرجال؟ قال: ((أبوها)) [1]. فلها من المنزلة رَضِيَ اللهُ عَنْها ما لم يوافقها ويشاركها فيه أحد، فيكون الفضل مقسوماً بين خديجة رَضِيَ اللهُ عَنْها وبين عائشة، كل لها فضل.

يقول رحمه الله في حق عائشة: (**التي بَرّأَهَا اللهُ فِي كتابِهِ**) برأها مم؟ من الإفك الذي اتهمت به رَضِيَ اللهُ عَنْها (**زوْجُ النبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الدنيا والآخرةِ**). وهـٰذا لا تختص به عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْها؛ بل يشركها فيه جميع زوجات النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، (**فمَنْ قَذَفَهَا**) أي قذف عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْها، (**بما بَرَّأَها اللهُ مِنْهُ**) أي بما طهرها الله منه من الإثم ومن الزنى والفاحشة (**فَقَدْ كَفَرَ باللهِ العظيم**) لماذا؟ لأنه كذب القرآن الذي تضمن البراءة واضحة جلية في قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ لا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾[2]. فسماه الله عز وجل إفكاً؛ لكذبه، وبيان فداحة ما وقعوا فيه من وصف عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْها بما وصفوها به من الزنى الذي برأها الله منه رَضِيَ اللهُ عَنْها.

يقول رحمه الله: (**ومعاويةُ خالُ المؤمنينَ، وكاتِبُ وحْيِ اللهِ، وأحدُ خلفاءِ المسلمينَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُم**) . جاء ذكر معاوية على وجه الخصوص للرد على الذين سبوه وكفروه ووقعوا فيه رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، فمعاوية بن أبي سفيان وقع فيه الرافضة والخوارج، فكفره الخوارج وكفره الرافضة وسبوه وشتموه، وهو رَضِيَ اللهُ عَنْهُ من صحابة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، له من الحق مثل ما لغيره، فهو داخل في ما للصحابة من الفضائل وما لهم من الحقوق رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

---

(1) **البخاري**: باب فضائل الصحابة، باب قول النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((لو كنت متخذاً خليلاً))، حديث رقم (٣٦٦٢).
**مسلم**: كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل أبي بكر الصديق رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، حديث رقم (٢٣٨٤).

(2) سورة : النور (١١).

ووصفه المؤلف رحمه الله بقوله: (**خالُ المؤمنينَ**) لأنه أخو أم حبيبة رملة بنت أبي سفيان رَضِيَ اللهُ عَنْها زوج النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وهـٰذا الوصف اختلف العلماء رحمهم الله فيه على قولين: هل يوصف إخوان زوجات النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأنهم أخوال المؤمنين، وأخواتهن بأنهن خالات المؤمنين، فتكون مثلاً أسماء بنت أبي بكر خالة المؤمنين، ويكون عبد الله بن عمر مثلاً خال المؤمنين، وكذلك اختلفوا في بناتهن هل يوصفن بأنهن أخوات المؤمنين، واختلفوا أيضاً في آبائهن –آباء أمهات المؤمنين– هل يوصفون بأنهم أجداد المؤمنين وجدات المؤمنين؟

الذي عليه جمهور العلماء أنهم لا يوصفون بذلك؛ لأن هـٰذه الفضيلة خاصة بزوجات النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دون غيرهن، وهي أمومة حرمة واحترام وتقدير وفضل وإجلال، وليست أمومة نسب حتى تنتشر وتتسع، فوصفه بخال المؤمنين من هـٰذا الوجه، وقد ذهب الشافعي رحمه الله إلى أنه يوصف بهذا الوصف.

يقول: (**وكاتِبُ وحْيِ اللهِ**) أي إنه كتب الوحي للنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فهو من كتبة الوحي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(**وأحدُ خلفاءِ المسلمينَ** رَضِيَ اللهُ عَنْهُم) إذ اجتمع عليه المسلمون بعد تنازل الحسن بن علي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عن الخلافة، فاجتمع في سنة إحدى وأربعين المسلمون على معاوية رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وأصبح بذلك الخليفة للمسلمين الذي ولي من قبله من الخلفاء.

نقف على هـٰذا ونكمل إن شاء الله تعالىٰ في الدرس القادم.

والله تعالىٰ أعلم وصلى الله وسلم على نبينا محمد.

# شرح لمعة الاعتقاد

# الهادي إلى سبيل الرشاد

لموفق الدّين بن قدامة المقدسي رحمه الله

لفضيلة الشيخ

خالد بن عبد الله المصلح

الدرس العشرون

www.almosleh.com

## بسم الله الرحمن الرحيم

قال الإمام موفق الدِّين أبو محمد عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقِدسي رحمه الله تعالىٰ:

(ومِنَ السُّنَّةِ السَّمْعُ والطاعَةُ لأئمةِ المسلمينَ وأُمَرَاءِ المؤمنينَ بَرِّهِمْ وفَاجرِهمْ، ما لم يأمروا بمعصيةِ اللهِ، فإنَّه لا طاعةَ لأحدٍ في معصيةِ الله.

ومَنْ وَلِي الخلافةَ، واجتمعَ عليه النّاسُ ورَضُوا بِهِ، أوْ غلبَهُم بسيْفِهِ حتَى صَارَ خليفة، وسُمِّيَ أميرَ المؤمنينَ، وجبَتْ طاعتُهُ، وحَرُمَتْ مُخَالَفَتُهُ والخُروجُ عَلَيهِ وشَقُّ عصَا المسلمينَ) .

بسم الله الرحمـٰن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وأصلي وأسلم على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

أما بعد:

فالمؤلف رحمه الله عاد إلىٰ ذكر ما يجب لولاة الأمر من أئمة المسلمين، يقول رحمه الله: (ومِنَ السُّنَّةِ)، بينا أن قوله رحمه الله: (ومِنَ السُّنَّةِ) أي من الطريقة التي سار عليها أهل السنة والجماعة وسلكها أئمة هـٰذا الدين من الصحابة فمن بعدهم، (السَّمْعُ والطاعَةُ لأئمةِ المسلمينَ). (السَّمْعُ) معناه القبول، (والطاعَةُ) معناها الامتثال، وليس المراد بالسمع إدراك الأصوات، إنما المراد بالسمع في مثل هـٰذا المقام القبول، والطاعة التنفيذ والامتثال، ومنه قول القائل في صلاته: سمع الله لمن حمده. أي أجاب الله من حمده، فالسمع ليس المراد منه –في مثل هـٰذه الموارد– إدراك الأصوات، بل المراد به ما هو أكثر من ذلك من قبول ما يقول وامتثال ما يأمر.

قال رحمه الله: (السَّمْعُ والطاعَةُ لأئمةِ المسلمينَ). (أئمةِ) جمع إمام والإمام هو من يؤتم به ويُقتدى ويجتمع عليه.

وقوله رحمه الله: (لأئمةِ المسلمينَ) أي الذين يأتم بهم أهل الإسلام ويجتمعون عليهم.

قال: (وأُمَرَاءِ المؤمنينَ) أي من تأمّروا على أهل الإيمان، فحقّهم أن يُسمع لهم وأن يُطاع لهم، وأدلة هـٰذا أكثر من أن تحصر، قال الله تعالىٰ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ﴾[1]. فأمر الله عز وجل بطاعته وطاعة رسوله وطاعة أولي الأمر الذين لهم ولاية، وهـٰذه الآية لا تختص من له الولاية العليا فحسب؛ بل هي شاملة لمن له الولاية العليا ومن كان دونه من

(1) سورة : النساء (٥٩).

أصحاب الولايات، فإنه يطاع كل ولي فيما له فيه ولاية، هـٰذا هو الواجب، وهـٰذا الذي دلت عليه الآية.

وأما السنة فجاء ذلك في أحاديث كثيرة، ففي الصحيحين من حديث ابن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **((على المرء المسلم السمعُ والطاعة))** ويمكن أن تقول: **((على المرء المسلم السمعَ والطاعة))** يعني يلزمه السمع والطاعة، **((على المرء المسلم السمع والطاعة فيما أحب وكره، ما لم يؤمر بمعصية، فإذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة))**[1]. وهـٰذا يدل على وجوب السمع والطاعة لولاة الأمر.

وقد قال جرير بن عبد الله رَضِيَ اللهُ عَنْهُ -في بيان ما بايع عليه رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: بايعت رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على شهادة أن لا إلـٰه إلا الله وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، والسمع والطاعة، والنصح لكل مسلم.

وفي حديث عبادة بن الصامت رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: بايعنا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على السمع والطاعة في المنشط والمكره والعسر واليسر، وعلى أثرة علينا، وأن نقوم أو نقول بالحق حيث ما كنا لا نخاف في الله لومة لائم.

كل هـٰذه الأدلة وغيرها كثير في سنة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تدل على السمع والطاعة؛ بل إن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أخبر بوجوب السّمع والطاعة عند الاختلاف والتفرق، كما في حديث العرباض بن سارية: **((إنه من يعش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين))**[2]. وسنة الخلفاء ومن سنته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ السمع والطاعة، ولو كان المتأمر عبداً حبشيّاً، أي ممن لا يرى له العرب حقّاً في الولاية، هـٰذا المقصود من التمثيل بالعبد الحبشي، وليس ذمّاً

---

(1) **البخاري:** كتاب الأحكام، باب السمع والطاعة للإمام ما لم تكن معصية، حديث رقم (٧١٤٤).

**مسلم:** كتاب الإمارة، باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية وتحريمها في المعصية، حديث رقم (١٨٣٩).

(٢) **سنن الترمذي:** كتاب العلم عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، باب ما جاء في الأخذ بالسنة واجتناب البدع، حديث رقم (٢٦٧٦). وقال: حسن صحيح.

**سنن أبي داود:** كتاب السنة، باب في لزوم السنة، حديث رقم (٤٦٠٧) .

**سنن ابن ماجه:** باب اتباع سنة الخلفاء الراشدين المهديين، حديث رقم (٤٢، ٤٣) .

قال الشيخ الألباني: صحيح.

له أو انتقاصاً له؛ لكن لما كانت العرب تأبى نفوسهم في ذلك الوقت أن يتأمّر عليهم مثل هـٰذا ذكره رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يعني حتى ولو كان على هـٰذه الصفة.

ولما أخبر صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ باختلاف الأمور بعده كما في صحيح الإمام مسلم قالوا: أفلا ننابذهم؟ قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **((لا، ما أقاموا فيكم الصلاة))**.[1]

وفي حديث عبادة: أن لا ننازع الأمر أهله. قال: **((إلا أن تروا كفراً بواحاً عندكم فيه من الله سلطان أو برهان))**.[2]

فهـٰذا كله يدل على وجوب السمع والطاعة في المعروف، وفيما فيه مصلحة العباد والبلاد، أما إذا كان الأمر في معصية الله فلا طاعة لمخلوق في معصية الله كائناً من كان؛ لأن الله فرض الطاعة، طاعة ولاة الأمر وجعلها فرعاً عن طاعته، وهـٰذا هو السر في أن الله لم يعد ذكر الأمر بالطاعة في ذكر طاعة ولاة الأمر؛ لأن طاعتهم ليست طاعة مستقلة، بل هي طاعة تابعة، قال الله تعالىٰ: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾**، ثم ماذا قال؟ وأطيعوا أولي الأمر منكم ؟ لا، ما قال كذا، قال: **﴿وَأُولِي الأَمْرِ مِنكُمْ﴾**،[3] فلم يذكر وجوب الطاعة باللفظ في حق ولاة الأمر؛ لأنها تابعة لطاعة الله ورسوله، فجعلها تابعة لطاعة الله وطاعة رسوله، أما طاعة الله فهي واجبة استقلالاً، وطاعة النبي واجبة استقلالاً: **﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا﴾**[4].

وهـٰذه مسألة تميز بها أهل السنة والجماعة عن غيرهم، وإذا راقبت وتأملت سيرة سلف الأمة من الصحابة فمن بعدهم وجدتها على هـٰذه السنة الظاهرة المشتركة بينهم رحمهم الله ورَضِيَ اللهُ عَنْهُم؛ لتضافر الأدلة عليها، ولا يعني هـٰذا أن لا يأمر الإنسان بالمعروف ولا ينهى عن المنكر، لا؛ بل الواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لكن على ما تقتضيه الشريعة.

---

(1) **مسلم**: كتاب الإمارة، باب خيار الأئمة وشرارهم، حديث رقم (١٨٥٥).

(2) **البخاري**: كتاب الفتن، باب قول النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **((سترون بعدي أموراً تنكرونها))**، حديث رقم (٧٠٥٦).

**مسلم**: كتاب الإمارة، باب وجوب طاعة الأمراء في غير المعصية وتحريمها في المعصية، حديث رقم (١٧٠٩).

(3) سورة : النساء (٥٩).

(4) سورة : الحشر (٧).

يقول رحمه الله: (**بَرِّهِمْ وفَاجِرِهِمْ**) أي تجب الطاعة لمن كان برّاً ولمن كان فاجراً، سواء كان برّاً في خاصة نفسه وولايته أو كان فاجراً في خاصة نفسه وولايته، ما لم يبلغ الفجور الكفر فلا طاعة لكافر، وهـذا مما حكى عياض إجماع المسلمين عليه، أنه لا طاعة للكافر إذا تولى على المسلمين.

قال رحمه الله: (**ما لم يأمروا بمعصيةِ اللهِ، فإنَّه لا طاعةَ لأحدٍ في معصيةِ الله**) . لا إشكال في هـذا والأدلة على هـذا الأمر واضحة وجلية.

قال رحمه الله: (**ومَنْ وَلِي الخلافةَ**) أي من تولى الأمر، و(**الخلافةَ**) المقصود بها الولاية، سواء كانت الخلافة متسعة الرقعة كخلافة الراشدين وخلافة بني أمية وبني العباس في أولها، أو كانت الخلافة ضيقة كالحال في أواخر الدولة الإسلامية، فإن حال الناس في آخر الخلافة الإسلامية خلافة بني العباس تقسّمت بلاد المسلمين وأصبح لكل جهة ولاية وولي؛ بل إن هـذا الأمر كان في عهد الصحابة رَضِيَ اللهُ عَنْهُم، فكان معاوية على أهل الشام وكان علي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ على العراق والحجاز.

فهـذا التقسّم ليس أمراً حادثاً، ومع هـذا يجب طاعة كل من ولي أمر المسلمين في تلك الجهة التي هو فيها.

(**ومَنْ وَلِي الخلافةَ، واجتمعَ عليه النّاسُ ورَضُوا بِهِ**) وجبت طاعته، كذلك قال: (**أَوْ غلبَهُم بسيْفِهِ حتَى صَارَ خليفة**) وجبت طاعته، وهـذا فيه بيان طريقة الولاية:

- منها ما يكون عن اجتماع ورضاً.
- ومنها ما يكون عن غلبة وظهور.

والواجب في الولايتين من حيث السمع والطاعة واحد، فإنه يجب السمع والطاعة لمن اجتمع عليه أهل الإسلام ورضوا به ونصبوه خليفة عليهم أو إماماً لهم، وكذلك يجب طاعة من تغلّب وظهر بقوة على المسلمين؛ جمعاً للكلمة ودفعاً للشر الحاصل بالفرقة والاختلاف والمنازعة وإراقة الدماء.

قال رحمه الله: (**وسُمِّيَ أميرَ المؤمنينَ، وجبَتْ طاعتُهُ، وحَرُمَتْ مُخَالَفَتُهُ والخُروجُ عَلَيهِ وشَقُّ عصَا المسلمينَ**) .كل هـذا مما يجب لولاة الأمر، وبه تنتظم مصالح الدنيا ومصالح الآخرة، بهذا الأصل تنتظم مصالح الناس في دينهم وفي دنياهم، فإنه لا استقامة للناس في دنياهم بلا ولاة، ولا يمكن أن يقوم الدين بلا ولاية، وهـذا أمر لا إشكال فيه؛ ولذلك جاءت الشريعة بالتأمير في الاجتماع العارض، فإذا سافر

ركب من ثلاثة أمّروا عليهم أميراً كما جاء ذلك في السنة، فكيف بالاجتماعات الدائمة القائمة؟ الإمارة فيها والولاية من باب أولى ومن باب آكد، ولا خلاف في هـٰذا، وقد قال الشاعر:

لا يصلح الناس فوضى لا سَراة لهم		..............................

وأمثلة هـٰذا وشواهد هـٰذا في حال غياب الولاية ما يحصل من فساد قائمة في تاريخ الناس في التاريخ الحديث والتاريخ القديم؛ لأن الناس إذا لم يكن لهم سلطان يردعهم ويصلح شؤونهم ويدير أمورهم ولو كان في سلطته جور وظلم وتعدٍّ ومعصية فسدت أمورهم.

يقول رحمه الله بعد أن فرغ من ذكر ما يتعلق بهذا الأصل: **(ومِنَ السُّنّةِ هُجْرانُ أهْلِ البِدعِ)**. **(من السنة)** أي من طريقة السلف التي كان عليها صحابة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ومن بعدهم من أئمة الدين، **(هُجْرانُ أهْلِ البِدعِ)**. **(هُجْرانُ)** أي هجر، والهجر هو الترك والإعراض.

والهجر سنة في محله، وهو فيمن يستحق الهجر، فقد هجر النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الثلاثة الذين تخلّفوا عنه في غزوة تبوك وأمر المسلمين بهجرهم، فالهجر يختلف حكمه باختلاف الباعث له وما يحققه؛ لكن ندرك أن الهجر مصلحة، أي الهجر مقصوده تحصيل المصلحة، كما هو الشأن في جميع أحكام الشريعة، فإذا كان الهجر يترتب عليه مفسدة فإنه لا يؤمر به وليس من الشرع، إنما يؤمر به ويعمل به إذا كان مصلحة.

يقول رحمه الله: **(هُجْرانُ أهْلِ البِدعِ)** المقصود بأهل البدع هنا من كانوا على طريقة مخالفة لطريق السلف ينافحون عنها ويدعون إليها ويعملون بها، وليس المراد بأهل البدع هم من وقع في مخالفة لطريق أهل السنة والجماعة في أمر من الأمور، إنما المقصود من كان طريقه مختلفاً عن طريق أهل السنة، يدعو إلىٰ غير هدي السلف الصالح ويعمل به وينافح عنه.

ومثّل المؤلف رحمه الله لأهل البدع الذين يقصدهم ويعنيهم بكلامه قال: **(كالرافضةِ، والجهميةِ، والخوارِجِ، والقَدَريّةِ، والمرجئةِ، والمعتزلةِ، والكَرَّامية، والكُلاّبيّة، ونَظَائِرِهِم)** أي ممن كان على مرتبتهم ودرجتهم، فالمقصود بأهل البدع الذين من السنة هجرهم هم من كان على طريق مخالف لطريق أهل السنة والجماعة في قوله وعقده وعمله ودعوته.

قال رحمه الله: **(هُجْرانُ أهْلِ البِدعِ ومُبَايَنَتُهُم)** مباينتهم أي عدم الاختلاط بهم، حتى لا يشتبه حالهم على الناس فيقبلوا منهم.

(وتَرْكُ الجِدَالِ والخُصُومَاتِ في الدّينِ). (وتَرْكُ الجِدَالِ) الجدال المقصود به المماراة والمناقشة التي لا مصلحة فيها ولا فائدة، وليس المراد بالجدال ما كان محققاً للمصالح، مبيناً للحق، ذابّاً عن السنة، فإن هــٰذا مأمور به، قال الله تعالىٰ فيمن هم أشد من أهل البدعة- أهل الكفر -: ﴿وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾[1] فأمر الله بالمجادلة، وأمر بصفة هــٰذا الجدال بأن يكون بالتي هي أحسن، يعني بأحسن ما يحصل به بيان الحق وتوضيحه وإيصاله إلىٰ المقصود بالمجادلة.

فقوله رحمه الله : (وتَرْكُ الجِدَالِ والخُصُومَاتِ في الدّينِ) المقصود الجدال الذي لا نفع فيه، الذي يقصد فيه المجادل إظهار قوة عقله وسرعة بديهته وعظيم حجته، لا يقصد منه إظهار الحق وبيانه، فإن هــٰذا لا يقبل، وليس من هدي السلف.

قال رحمه الله: (وتَرْكُ النَّظَرِ في كُتُبِ المبتدعةِ) لما في ذلك من الشّر، فإن القلوب إذا لم تتمكن من الحق يُخشى عليها أن تنصرف وأن تزيغ وأن تضل وأن تفتتن، فكان حقّاً على أهل السنة أن يجتنبوا كتب المبتدعة على وجه العموم؛ لكن إذا دعت حاجة أن يطالع إنسان كلامهم ليرد عليهم أو يبين باطلهم أو يكشف زيف قولهم فهــٰذا لا بأس به.

قال: (والإصْغاءُ إلى كلامِهم) كذلك كمطالعة كتبهم، فإنه ينبغي أن لا يصغي لكلامهم.

قال: (وكلُّ مُحْدَثَةٍ في الدِّينِ بِدْعَةٌ) . بعد أن بين هجر المبتدع بين ما هي البدعة، البدعة هي كل محدثة في الدين، أي كل محدثة في طريق التعبد لله عز وجل.

فالبدعة هي طريقة في الدين مخترعة يقصد بها صاحبها مضاهاة الشريعة. فهــٰذه هي التي عنى المؤلف رحم الله أهلها بقوله: (هُجْرانُ أهْلِ البدعِ).

قال رحمه الله: (وكلُّ مُتَسَمٍّ بِغَيْرِ الإسلامِ والسُّنّةِ مبتدعٌ) أي كل من خلع على نفسه اسماً خلاف ما رضيه الله لأهل هــٰذه الملة من الأسماء فإنه مبتدع، قال الله تعالىٰ: ﴿هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمينَ مِن قَبْلُ وَفِي هَذَا﴾[2]. فالله عز وجل سمّى هــٰذه الملة وأهل هــٰذه الملة بالمسلمين، وقيل: إن الضمير يعود إلىٰ إبراهيم، فيكون هــٰذا من تسمية إبراهيم التي رضيها الله ورضيها رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فكل من تسمى بغير هــٰذا الاسم فهو مبتدع.

---

(1) سورة : النحل (١٢٥).

(2) سورة : الحج (٧٨).

قال رحمه الله: (**وكلُّ مُتَسَمٍّ بغَيْرِ الإسلامِ والسُّنّةِ مبتدعٌ**) أما السنة فالتسمي بها لقوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((**عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين**))، فالمستمسك بالسنة مستمسك بهدي النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فالانتساب إلىٰ السنة مفخرة وفضيلة؛ لأنه انتساب إلىٰ ما أمر الله عز وجل ورسوله بالانتساب إليه ﴿**وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا**﴾،[1] ((**عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، عضوا عليها بالنواجذ**))[2]. أما ما عدا هذين الوصفين فإنه ينبغي للمؤمن أن لا ينتسب إليه، حتى تلك الأوصاف التي يُقصد بها شيء من التمييز عن غير أهل السنة من الألفاظ الحادثة ينبغي أن يتجنبها الإنسان، ويكتفي بما اكتفى به سلف الأمة، فالانتساب الذي هو فضل ومفخرة الانتساب لكتاب الله عز وجل ولسنة رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

يقول رحمه الله: (**كالرافضةِ**) مثّل لأسماء من أسماء الطرق المبتدعة التي سلك أهلها طريقاً مخالفاً لأهل السنة والجماعة وانتسبوا لها، (**كالرافضةِ**) والرافضة هم الاثنا عشرية الذين رفضوا زيد بن الحسين بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فإنهم سموا رافضة؛ لأنهم سألوا زيداً عن أبي بكر وعمر فترضى عنهما وترحم عليهما فرفضوه، فسموا من ذلك الوقت رافضة، وهم لا يرضون بهذا الاسم، هم يتسمون بالشيعة؛ لكن هــٰذا الاسم قد علق بهم وعرفوا به، فلا مناص لهم من التخلي عنه إلا بالرجوع إلىٰ كتاب الله وسنة رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وما كان عليه سلف الأمة الأبرار من أهل البيت وغيرهم، فإن الفضل والسبق لم يختص بأهل البيت؛ بل غير أهل البيت كأبي بكر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أفضل من كثير ممن هم من أهل البيت من حيث العموم، وإن كان أهل البيت لهم هــٰذه الخاصية والسبق بكونهم من بيت النبوة؛ لكنه ليس فضلاً مطلقاً يسقط كل فضل ويغيِّب كل منقبة.

قال رحمه الله: (**والجهميةِ**) والجهمية هم الذين ينتسبون إلىٰ الجهم بن صفوان، وهم أهل بدعة وضلال، وهم درجات: منهم الغلاة ومنهم دون ذلك، ويطلق هــٰذا الوصف على المعتزلة؛ لأن المعتزلة في كثير من أقوالهم جهمية.

---

(1) سورة : الحشر (٧).

(2) تم تخريجه في الصفحة (٢).

قال: (**والخوارِج**) هم الذين خرجوا على علي بن أبي طالب وكفروه وكفروا من معه وكفروا من يقابله، فقد كفروا عليّاً وعثمان وكفّروا معاوية وسائر صحابة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأهل الإسلام في ذلك الزمان.

وأما (**القَدَرِيّةِ**) فهم الذين قالوا بالقدر، وقالوا: إن الله جل وعلا لم يخلق أفعال العباد؛ بل العباد هم الذين يخلقون فعل أنفسهم.

(**والمرجئة**) هم الذين أرجؤوا العمل عن الإيمان فقالوا: لا تضر مع الإيمان معصية، كما لا ينفع مع الكفر طاعة.

قال: (**والمعتزلةِ**) والمراد بالمعتزلة هم الذين عطلوا الصفات، فلم يثبتوا صفة لله عز وجل، وهم أتباع واصل بن عطاء.

وأما (**الكرّامية**) فهم أتباع وهب بن كرام، وهم من الممثلة الذين غلوا في إثبات الصفات حتى قالوا: يد الله كأيدينا.

(**والكلابية**) هم أتباع عبد الله بن سعيد بن كلاب، وهو ممن حاول التقريب أو حاول أن يختط طريقاً يرد به على المعتزلة، فكان على طريق مخالف لطريق السلف وطريق المعتزلة، فلم يصب قول السلف فيما ذهب إليه، ومنه أخذ الأشعري كثيراً من أقواله.

وهـٰذه الفرق أُلف فيها مؤلفات وتكلم عليها العلماء رحمهم الله كلاماً ضافياً واسعاً، والمقصود إعطاء لمحة عن أصول هـٰذه الفرق، وإلا فالذي يطلب الزيادة يجدها في مظانها.

ثم قال رحمه الله: (**وَنَظَائِرِهِم، فَهَذِهِ فِرَقُ الضَّلالِ وطَوَائفُ البِدَعِ أعاذَنَا اللهُ منْها**) . (**هـٰذه**) أي المذكورات (**فِرَقُ الضَّلال**) التي خالفت هدي سلف الأمة وما كان عليه الصحابة رَضِيَ اللهُ عَنْهُم (**وطَوَائفُ البِدَعِ أعاذَنَا اللهُ منْها**) آمين، نسأل الله أن يعيذنا وإياكم من البدع ما ظهر منها وما بطن.

قال: (**وأمَّا النّسْبَةِ إلى إمامٍ في فُروعِ الدِّينِ**) النسبة أي الانتساب (**إلى إمامٍ في فُروعِ الدِّينِ**) أي في مسائل الأحكام العملية، المقصود بفروع الدين الأحكام العملية التي تكون في الصلاة والحج والزكاة والمعاملات، فالانتساب إلى إمام من الأئمة في هـٰذا يقول: (**كالطَّوَائِفِ الأرْبَعِ فَلَيْسَ بِمَذْمُومٍ**)، كالذي ينتسب إلىٰ مذهب أبي حنيفة، أو ينتسب إلىٰ الإمام أحمد، أو ينتسب إلىٰ مالك، أو ينتسب إلىٰ الشافعي، فإنه لا بأس بهذه النسبة، وهـٰذه النسبة لا تخرجه عن أهل السنة والجماعة؛ لأن هٰؤلاء الأئمة هم أئمة

أهل السنة والجماعة، فتقليدهم تقليد لإمام من الأئمة الذين أخذوا بقول من أقوال الصحابة أو بقول يسعه ويقبله مذهب أهل السنة والجماعة.

قوله رحمه الله: (**كَالطَّوَائِفِ الأَرْبَعِ**) المراد بالطوائف الأربع مذهب أبي حنيفة، مذهب مالك، مذهب الشافعي، مذهب الإمام أحمد.

وهل هــٰذا محصور في هٰؤلاء؟ الجواب: لا، إنما هو على وجه التمثيل، فمن اقتدى في قول من الأقوال بقول إمام من الأئمة من الصحابة فمن دونهم فإنه لا بأس به، وإن انتسب إليه فلا بأس به، وإنما ذكر الطوائف الأربع لأنها الأشهر في الانتساب، وهي المذاهب التي بقيت واشتهرت وظهرت وأصبح لها أتباع ومؤلفات.

قال رحمه الله: (**فَإِنَّ الاخْتِلافَ فِي الفُرُوعِ رَحْمَةٌ**) الاختلاف في الفروع رحمة، وقد جاء ما يشهد بهذا في كلام المؤلف رحمه الله قال: واختلافهم رحمة.

(**الاخْتِلافَ فِي الفُرُوعِ**) أي في العمليات (**رَحْمَةٌ**) لما فيه من السعة، قال عمر بن عبد العزيز: لا يسوؤني أن أصحاب النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اختلفوا، فإن في اختلافهم رحمة. وقال غير واحد من السلف: الخلاف توسعة. والمقصود بالخلاف: الخلاف في مسائل العمل؛ لما فيه من التوسعة ورفع الحرج عن الناس.

يقول رحمه الله: (**وَالمخْتَلِفونَ فِيهِ مَحْمُودُونَ**) يعني هــٰذا الاختلاف لا يلحق المختلفين فيه ذم، بخلاف الاختلاف الذي يكون في أصول الدين، فإن أصحابه مذمومون، وهم الذين قال الله جل وعلا فيهم: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللّهِ﴾[1] فإن هٰؤلاء الذين فرّقوا دينهم وكانوا شيعاً هم الذين فرقوه في أصل الاعتقاد فتشعبت بهم الطرق وكانوا شيعاً، قال الله عز وجل: ﴿لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾ أي ليسوا أتباعك، وقد برّأ الله عز وجل رسوله منهم، فكل من فرّق دينه ولم يعتصم بما جاء به الكتاب وما جاءت به السنة، فقد دخل في الاختلاف المذموم.

إذاً عندنا اختلاف مذموم واختلاف سائغ مقبول:

أما الاختلاف المذموم فهو الاختلاف الذي يكون في أصل الدين، الذي يخالف به الإنسان طريق السلف الصالح.

---

(1) سورة : الأنعام (١٥٩).

أما الاختلاف السائغ المقبول فهو الاختلاف في مسائل الأحكام الفرعية.

وقوله رحمه الله: (**وَالمخْتَلِفونَ فِيهِ مَحْمُودُونَ**) أي إنهم لا يذمُّون؛ لأنهم مجتهدون في ما وقع بينهم من اختلاف فلا يخرجون عن الأجر والأجرين: من أصاب منهم فله أجران، ومن أخطأ منهم فله أجر.

قال رحمه الله: (**مُثَابُونَ فِي اجْتِهَادِهِمْ**) سواء أصابوا أو أخطؤوا.

ثم قال: (**وَاخْتِلاَفُهُمْ رَحْمَةٌ وَاسِعَةٌ**) هـٰذا جاء في كلام كثير من العلماء؛ لكن ليس له إسناد. (اختلاف أمتي رحمة) هـٰذا حديث مشهور، لكن ليس له إسناد يعتمد عليه، وتناقله بعض العلماء في كلامهم واستشهدوا به؛ لكن ليس له ما يستند إليه من حيث السند.

أما الذي جاء بسند ضعيف فهو ما رواه البيهقي من حديث ابن عباس: ((**واختلاف أصحابي رحمة**)) لكن الحديث ضعيف ففيه انقطاع وأيضاً في سنده متروك.

قال رحمه الله: (**وَاخْتِلاَفُهُمْ رَحْمَةٌ وَاسِعَةٌ**) رحمة واسعة باعتبار الاختلاف ذاته، أو باعتبار ما حصل به من التوسعة على الناس؟ الجواب: باعتبار ما حصل به من التوسعة على الناس، طيب هل يعني هـٰذا أن الاتفاق عذاب؟ الجواب: لا، فكون (الاختلاف رحمة) لا يعني أن الاتفاق عذاب، بل الاتفاق مطلوب، ولذلك قال: (**وَاتِّفَاقُهُمْ حُجَّةٌ**) وإنما كان الاختلاف رحمة لما فيه من التوسيع على المجتهدين وعلى العاملين.

أما على المجتهدين فالتوسيع عليهم أنهم إذا أخطؤوا لا ينالهم ذنب باجتهادهم أو بخطئهم؛ بل ينالون الأجر لأجل اجتهادهم، وإن كانوا لم يصيبوا الصواب.

أما الناس الذين يقلدون ويسألون العلماء فهؤلاء أيضاً يحصل عندهم سعة إذا أخذوا بقول أحد العلماء فيما ذهب إليه.

ولذلك قال يحيى بن سعيد: لم يكن الخلاف سبباً للهلاك فيمن كان قبلنا، يعني من الصحابة، فإنهم كانوا يختلفون فيحلل أحدهم أمراً ويحرمه الآخر، فلا يرى من حلل أن المحرم قد هلك لتحريمه، ولا يرى من حرم أن المحلل قد هلك بتحليله، فالخلاف فيه رحمة وتوسعة للناس.

ولكن لا يعني أنه رحمة أن اتفاقهم عذاب، فكون الشيء رحمة لا يلزم منه أن يكون المقابل عذاباً، فالمقصود بالرحمة هو ما يحصل به من الرفق بهم والإحسان إليهم، ولا يعني هـٰذا أن مضادّه ومقابله يكون عذاباً.

قال رحمه الله: (**وَاتِّفَاقُهُمْ حُجَّةٌ قاطِعَةٌ**) يشير بذلك إلىٰ الإجماع، فإن الإجماع حجة بكتاب الله عز وجل وبسنة رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وبإجماع السلف؛ لكن الاتفاق الذي يكون حجة قاطعة هو ما اتفق عليه علماء الإسلام.

والإجماع المعتبر المنضبط هو ما كان عليه صحابة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ثم قال المؤلف رحمه الله في آخر هــٰذه العقيدة: (**نَسْأَلُ الله أَنْ يَعْصِمَنا مِنَ الْبِدَعِ وَالْفِتْنَةِ، وَيُحْيِينَا عَلَى الإِسْلامِ وَالسُّنةِ، وَيَجْعَلَنا مِمَّنْ يَتَّبِع رَسُولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الحَياةِ، وَيَحْشُرَنَا في زُمْرَتِهِ بَعْدَ المَمَاتِ بِرَحْمَتِهِ وَفَضْلِهِ آمِينَ.**

**وَهَذَا آخِرُ الْمُعْتَقدِ. وَالحَمْدُ لله وَحدهُ، وَصلَّى الله علىَ سَيِّدنَا مُحمدٍ وَآلهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا**).

ختم المؤلف رحمه الله هــٰذه الرسالة بالدعاء، بسؤال الله عز وجل العصمة من شرين: البدعة والفتنة، والبدعة من الفتنة؛ لكنه ذكرها لما لها من الخطورة، والفتنة تكون بالبدعة وتكون بالمعصية وتكون بغير ذلك.

ثم قال: (**وَيُحْيِينَا عَلَى الإِسْلامِ وَالسُّنةِ**) والحياة على الإسلام رحمة وفضل، ويكمل ذلك باتّباع سنة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ثم سأل الله عز وجل مسألتين: المسألة الأولى في الدنيا وهي مقدمة ما يكون في الآخرة، فسأله أن يكون في الدنيا ممن يتبع رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الحياة في ظاهر الأمر وباطنه، في عقده وقوله وعمله، ونتيجة ذلك ما سأل الله عز وجل في الآخرة: (**وَيَحْشُرَنَا في زُمْرَتِهِ بَعْدَ المَمَاتِ**)؛ أي في جماعته وفي حزبه بعد الممات، فإن الحشر في حزبه من أسباب الفلاح والنجاة.

قال: (**بِرَحْمَتِهِ وَفَضْلِهِ**) يعني لا بجهدنا وعملنا، إنما ذلك محض فضل الله ورحمته،(**لن يدخل أحد منكم الجنة بعمله**) .

(**آمِينَ**) أي اللهم استجب، هــٰذا معنى قولنا: (**آمِينَ**) أي اللهم استجب.

ثم قال: (**وَهَذَا آخِرُ الْمُعْتَقدِ.وَالحَمْدُ لله وَحدهُ، وَصلَّى الله علىَ سَيِّدنَا مُحمدٍ وَآلهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا**). ختم هــٰذه الرسالة بالحمد لله عز وجل علىٰ التوفيق إلىٰ هــٰذا العقد، وإلى كتابة هــٰذا العقد، لينتفع به من ينتفع.

نسأل الله سبحانه وتعالىٰ أن يرزقنا وإياكم العلم النافع والعمل الصالح، وأن يجعل ما تعلمناه نافعاً لنا يوم العرض عليه.

وبهذا نكون قد انتهينا من هـٰذه العقيدة المباركة متن لمعة الاعتقاد تأليف الإمام الموفق ابن قدامة رحمه الله.

ﮋﮋ◊ﮌﮌ